

آدم عليه السلام بين التطور والتطور الموجه والوحي



إبراهيم الشحات محمد خميس

آدم ﷺ بين التطور والتطور الموجه والوحي


بسم الله الرحمن الرحيم

آدم عليه السلام بين التطور والتطور الموجه والوحي

كتبه

إبراهيم الشحات

أطروحة تم تقديمها لإكمال متطلبات
درجة الماجستير في الآداب
(الدراسات الإسلامية)

تحت إشراف البروفيسور

د. غلام حسين رسول
رئيس قسم علم النفس (السيكولوجيا)
في الجامعة الإسلامية عبر الإنترنت

٢٠١٧م

آدم عليه السلام بين التطور والتطور الموجه والوحي

إبراهيم الشحات

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ/٢٠١٩م

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب
لا تعبر بالضرورة عن نظر المركز»



Business center 2 Queen
Caroline Street, Hammersmith,
London W6 9DX, UK

www. Takween-center.com
info@Takween-center.com

تصميم الغلاف :



+966 5 03 802 799
المملكة العربية السعودية - الخبر
eyadmousa@gmail.com

ملخص البحث

هذا البحث هو دراسة نوعية A Qualitative Study تم من خلالها بحث الرؤى العلمية والدينية المختلفة حول آدم (أبو البشر). وسلك الباحث مسلكًا تدرجيًّا ينتقل من قضية إلى أخرى مترتبة عليها في سياق البحث العلمي أو الديني. وتنوعت أساليب الدراسة بين الأساليب الوصفية والتحليلية والنقدية كل بحسب ما يقتضيه المقام. فتم إجراء تحليل نقدي لأسس «**نظرية التطور**» ومقاربات «**التطور الموجه**» المختلفة لتفسير قصة آدم المذكورة في النصوص الدينية. كما قارنت الدراسة بين الأطروحات الدينية المختلفة للوصول إلى أوثقها فيما يتعلق بآدم (أبو البشر). وخلصت الدراسة إلى أن المحاولات المتناقضة وغير المنهجية لتفسير النصوص الدينية المتعلقة بآدم عليه السلام من منظور تطوري باءت بالفشل، وأن خلق آدم عليه السلام كان خلقًا معجزًا حسب ما جاء في القرآن الكريم والسُّنَّة واتفاق علماء الأمة.

الإهداء والشكر

أهدي هذا العمل إلى
أمي
شمس حياتي

أوّلًا: أود أن أعبّر عن خالص شكري لمشرفي العزيز الدكتور **غلام حسين رسول**، رئيس قسم علم النفس، الجامعة الإسلامية على الإنترنت، لدعمه وتشجيعه المستمر لي خلال الدراسة، والإفادات العلمية والمنهجية التي ساهمت في تجويد البحث. وأيضًا أشكر الدكتور **محمد إحسان**، عميد كلية الدراسات العليا والأبحاث بالجامعة على محاضراته القيمة في مناهج البحث والتي أفادتني كثيرًا، وكذلك على توجيهه وتشجيعه المستمر طوال فترة البحث. كما أود أن أشكر إخوتي وأساتذتي الفضلاء الشيخ **يوسف السعيد** على دعمه بكافة أوجه الدعم الممكنة والدكتور **هشام عزمي** والدكتور **أشرف قطب** والشيخ **عبد الله العجيري** والدكتور **هيثم طلعت** والدكتور **حسان عابد** والأستاذ **خالد الشايع** والأستاذة **كاترين تونيت** على مراجعاتهم وملاحظاتهم القيمة العلمية واللغوية على الرسالة . ﷺ جميعًا وجزاهم خيرًا.

وأخيرًا وليس آخرًا، أود أن أشكر عائلتي: زوجتي وأخي وأخواتي لدعمهم المعنوي خلال كتابة هذه الرسالة وفي حياتي بشكل عام.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الفصل الأول

المقدمة

١ ـ ١ توطئة:

تعتبر قضية أصل الحياة وأصل الإنسان من معضلات علوم الحياة ومجالات البحث الأساسية فيها. وربما تكون هذه القضية بالذات هي اللغز الأكبر الذي تحدى العقل البشري في أي وقت مضى. يقول المفكر الإسلامي علي عزت بيغوفيتش: «قضية أصل الإنسان هي حجر الزاوية لكل أفكار العالم. فأي مناقشة تدور حول كيف ينبغي أن يحيا الإنسان، تأخذنا إلى الوراء إلى حيث مسألة «أصل الإنسان»[١]. وتكمن أهمية جواب هذا الموضوع في كونه يتناول الجوانب العقدية والعلمية والاجتماعية والفكرية والأخلاقية للإنسان. وبغض النظر عن المبررات أو الحجج التي يستخدمها المؤمنون أو الملحدون لدعم رؤاهم حول الإيمان والحياة؛ فإن كلا الطرفين يحاولان توظيف العلم والمنطق والحجج المسبوكة لدعم هذه الرؤى. وقد تمحورت حروب النقاش والمناظرة بين الفريقين حول أصل الإنسان على عدد من القضايا، مثل: هل تطور الإنسان من سلف مشترك أم خلقه الله خلقًا خاصًا؟ هل هناك تشابه بين جوهر الإنسان والحيوانات الأخرى أم أن لديه تفوقًا وتميزًا؟ هل يقدم العلم التجريبي إجابة شافية كافية لمسألة أصل الحياة أم أننا ما زلنا بحاجة إلى الوحي؟ هل هناك أي تناغم بين الحقائق العلمية الراسخة

---

(١) علي عزت بيجوفيتش (١٩٩٤)، الإسلام بين الشرق والغرب، ميونخ، ألمانيا: مؤسسة بافاريا للنشر والإعلام والخدمات، ص٤٧.

والتفسيرات الدينية فيما يتعلق بمسألة أصل الإنسان أم أن هناك تناقضًا كليًّا أو جزئيًّا؟

ومنذ فجر التاريخ، كانت هناك العديد من الأطروحات والنظريات التي تناولت قضيتي أصل الحياة وأصل الإنسان، سواء من وجهة النظر المادية أو الغيبية. إلا أن المنظورين الرئيسين الشائعين في بحث مسألة «أصل الإنسان» هما المنظور الإلحادي والمنظور الإيماني. فمن جانب، يتمسك الملحدون بقوة بالرأي القائل بأن أصل الإنسان والحيوانات الأخرى هي عملية التطور. ويؤمنون بنظرية التطور على أنها المنهج العلمي الموثوق والوحيد لتفسير قضية أصل الإنسان والكائنات الحية، ويحاولون عدم ترك أي مجال لتدخل أي تفسيرات أو رؤى غيبية في هذه القضية. وأول تناقض يقعون فيه يظهر جليًّا عند عرض حقيقتي الدين ونظرية التطور ـ كما ينظرون إليهما ـ على خط واحد. فرغم أنهم يؤمنون أن التطور ينحي الصفات السلبية التي تؤدي إلى هلاك الضعيف، ويؤمنون كذلك بأن الدين أحد الصفات السلبية الكبرى في حياة البشر، لا يجدون ملجأ أو مغارات يولون إليها لتفسير سبب بقاء أحد أهم الصفات السلبية على مدار تاريخ البشر دون محاولة الانبثاق منها إلى فضاء التطور الإلحادي المزعوم. ونجد حادي الملحدين الجدد ريتشارد دوكينز يتساءل في حيرة قائلًا: «كوننا نعلم أننا نتاج التطور الدارويني يدفعنا للتساؤل: ما هي الضغوط التي مارسها الانتخاب الطبيعي في البداية لتفضيل التوجه إلى الدين. فالدين توجه مهلك ومتطرف إلى حد بعيد، والانتخاب الدارويني عادة ما يستهدف ويستبعد الأمور المهلكة»[١] ومن جانب آخر، يتمسك المؤمنون بعجز «التطور» عن إبعاد الخالق عن مشهد الخلق، ويتمسك فريق منهم كذلك بعجزه عن الوقوف عند فتنة المنهجية العلمية الصحيحة، والأدلة التجريبية المحايدة. فالتطور قعيد لا ينصر ملحدًا في دعواه، ولا ينصر حتى نفسه حين تتطاول عليه المنهجية العلمية الصارمة المتجردة من التحيز والأجندات

---

(١) Dawkins, R. (2006). The God Delusion. UK: Bantam Press. P. 163.

الخاصة. فهناك العديد من الانتقادات «العلمية» التي تناولت نظرية التطور من قبل العديد من العلماء من التخصصات العلمية المختلفة، على اختلاف دياناتهم، وأثبتوا للمتجردين غير المغفلين أو المنهزمين أن نظرية التطور، وخاصة التطور الداروينى كما سيأتي، ليس لها أساس ولا قدم من حيث المنهجية العلمية فضلا عن الاستدلال بها في تقرير أهم القضايا العقدية والفكرية. على سبيل المثال، يقول الكيميائي الأمريكي مايكل بيهي: «إن التنبؤ الأكثر أهمية في الداروينية هو أنه يمكن للعمليات غير الواعية أن تنشئ أنظمة تبدو مصممة، مثل تلك التعقيدات الموجودة في الخلية، وذلك بافتراض عدد فلكي من الفرص التي يمكن أن تسمح بذلك. وينكر التصميم الذكي هذا التنبؤ على وجه التحديد، ويؤكد على أنه في حال غياب تدخل ذكي لا يمكن أن تتطور هذه الأنظمة. ولذلك، فإن الداروينية والتصميم الذكي يقدمان تصورات واضحة متباينة حول استنتاجات دراسة النتائج الوراثية لعدد هائل من الكائنات الحية التي تتعرض لضغوط لا هوادة فيها من الانتخاب الطبيعي. وكان الاختبار الصارم لكلا التصورين يكمن في النتائج الوراثية الأخيرة: حيث أظهرت النتائج:

١ ـ كذب التصور الداروينى.

٢ ـ تأكيد تصور التصميم[(١)].

فالتطور المادي العشوائي أو التصميم الإلٰهي الذكي (أو الخلق) هما قطبا رحى الرؤى حول أصل الحياة وأصل الإنسان. ويدعي أنصار هذا وذاك بأن الاكتشافات والأبحاث العلمية الحديثة تدعم مسلكهم. وبغض النظر عن ذلك، فهناك المزيد من الرؤى والأطروحات دخلت مسرح هذه المعارك الشرسة.

بعد نشر الكتاب الشهير «لغة الإلٰه»[(٢)] بقلم فرانسيس كولينز، رئيس

(١) Behe, M. (2008). The Edge of Evolution. Free Press. 2008.

(٢) Free Press Publications, New York- London-Toronto-Sydney, July 2006.

مشروع الجينوم البشري، شاع توجه ثالث في محاولة للربط بين المنظورين المذكورين. هذا التوجه يعتمد على مقدمتين متباينتين هما: التطور حقيقة ثابتة بملايين الأدلة ـ حسب زعمهم ـ، وليس هناك تعارض بين التطور وبين الاعتقاد بوجود خالق أعلى، أو القول بأنه ليس هناك تعارض بين العلم والإيمان (بناءً على التعارض الظاهري عند من ينظرون إلى القضية من المنظور التطوري). ويعرف هذا التوجه بـ«التطور الموجه» أو «التطور الإلٰهي». ذكر كولينز في مقدمة كتابه بعد عرض المنظورين السابقين: «هذا التنافر المتزايد للرؤى المتعادية يترك العديد من الباحثين المخلصين في حالة من الإرتباك والإحباط. وبالتالي؛ فإن ذوي العقول يدركون أن عليهم الاختيار بين هذين النقيضين اللذين لا يوفران الكثير من الراحة. وبين حدة استقطاب هذين المنظورين سقط العديد في رحى رفض موثوقية الاستنتاجات العلمية وقيمة الدين، وانزلقوا بدلًا من ذلك إلى أشكال مختلفة من التفكير غير العلمي أو الضحالة الروحانية أو اللامبالاة الساذجة. بينما قرر آخرون قبول القيم العلمية والروحية، ولكن بالتفريق بين مكونات وجودهم المادي والروحي لتجنب أي شكوك حول هذه التناقضات الظاهرة[1] فأنصار التطور الموجه يحاولون مسك العصا من المنتصف بجمع طرفيها إلى بعضهم البعض. وحينئذ، لابد أن تكون العصا «لينة» بما يكفي بحيث يتنكر كل طرف إلى أصوله التي يقوم عليها!

تهدف هذه الأطروحة إلى استكشاف قضية أصل الإنسان من المنظور العلمي والديني، وبحث نقاط الاتفاق والافتراق بين الرؤى المختلفة حولها ومآلاتها. كما ستركز الأطروحة على العلاقة بين المناهج العلمية والتفسيرات الغيبية الدينية حول هذه القضية.

هناك العديد من الأعمال التي تناولت قضية أصل الإنسان من العديد من وجهات النظر المختلفة والمتباينة:

---

(١) Collins, F. (2006). The Language of God. USA: Free Press. P. 6.

فمن الجانب التطوري، تناول عدد من الأعمال قضية أصل الحياة وأصل الإنسان داخل إطار نظرية التطور، مستبعدة أي تدخل إلهي أو غيبي فيها. ومن طلائع هذه الكتب وأهمها كتاب عالم الأحياء الإنجليزي تشارلز داروين «أصل الأنواع». حاول داروين أن يبلور نظرته لأصل الأنواع في إطار فلسفة تطورية مادية بناها على أسس الصدفة والانتخاب الطبيعي الواهية. وقد ختم داروين كتابه قائلًا: «إن معاني العظمة تتجلى في هذا المنظور للحياة، بأنماط القوة المتعددة فيها، وقد نشأت من مصادر قليلة أو مصدر واحد. وبينما يسير هذا الكوكب في فلكه بانتظام في ظل قانون الجاذبية، ومن بداية غاية في البساطة، تطورت أشكال الحياة إلى أجمل وأروع ما تكون، وما زالت قيد التطور»[١] ومنذ ذلك الحين، فإن العديد من الأعمال التطورية تتناول قضية أصل الإنسان والقضية الرئيسة المتعلقة بها وهي وجود الله. ومن أهم الأعمال الأخيرة التي تناولت القضيتين كتاب «وهم الإله» لريتشارد داوكينز، والذي يعد من أكثر الكتب مبيعًا.

ومن جانب التطور الموجه، هناك العديد من الأعمال التي تحاول التوفيق بين نظرية التطور ووجود الإله. ومن بين أهم الأعمال التي كتبت باللغة الإنجليزية يبرز كتاب كولينز «لغة الإله» عام ٢٠٠٦، وكتاب كينيث ميلر «البحث عن إله داروين» عام ١٩٩٩، وكتاب مارشال «التطور. النسخة ٢,١» عام ٢٠١٥. وأيضًا هناك عدد من الأعمال المحسوبة على التطور الموجه كتبت باللغة العربية فجر سدّها دكتور عبد الصبور شاهين في كتابه «أبي آدم» الذي صدر عام ١٩٩٨ وفاضت تأصيلاتها في كتب الأستاذ الدكتور عمرو شريف مثل: «كيف بدأ الخلق» و«أبي آدم من الطين إلى الإنسان».

وعلى الجانب المقابل، قدم مؤيدو الخلق والتصميم الذكي العديد من

---

(١) Darwin, C. (1859). The Origin of Species By Means of Natural Selection. USA: Dover Publications, Inc. P. 307.

وفي النسخ الأخرى من الكتاب، وبداية من الطبعة الثانية أضاف داروين كلمة الإله في سياق العبارة السابقة لتصبح «بأنماط القوة المتعددة فيها، وقد نشأت من مصادر قليلة أو مصدر واحد بواسطة الإله» وذلك بعد موجة الانتقادات الدينية التي أثيرت حول الطبعة الأولى.

الأعمال التي تدحض فكرة تطور الإنسان من خلال الانتخاب الطبيعي من جهة وتؤصل مبدأ «الخلق» من جهة أخرى. ومن بين أهم الأعمال التي دحضت المفاهيم التطورية السائدة في إطار علمي كتاب «صندوق داروين الأسود»، صدر عام ١٩٩٦ لمايكل بيهي، وكتاب «تصميم الحياة»، صدر عام ٢٠٠٨ لويليام ديمبسكي وجوناثان ويلز، وكتاب «أيقونات التطور: علم أم خرافة؟ لماذا غالب ما درسناه عن التطور خطأ»، صدر عام ٢٠٠٠ لجوناثان ويلز أيضًا، ثم كتاب «شك داروين»، صدر عام ٢٠١٣ لستيفين ماير. وهناك القليل من الأعمال باللغة العربية التي ركزت على نقد منظوري التطور والتطور الموجه. ومن أهم الأعمال الأخيرة التي تناولت هذا الجانب كتاب «التطور الموجه بين العلم والدين»، صدر عام ٢٠١٥ للدكتور هشام عزمي. وقد تناول دكتور هشام في هذا الكتاب المسألة من وجهة نظر علمية بشيء من التفصيل، وتناول إجمالًا الجانب الشرعي، وترك تفصيله لأعمال أخرى لاحقة. ومن هذه النقطة، تطورت فكرة هذه الأطروحة.

١,٢ الإطار المفاهيمي للأطروحة:

هذه الأطروحة مبنية على القرآن والسُّنَّة في تقرير القضايا المتعلقة بالغيب مثل خلق آدم والتفاصيل الموثوقة المتعلقة به. كما تتمحور حول نقد ونقض كافة الأطروحات حول نفس الموضوع من الناحية التطورية، سواء كانت إلحادية أو ما يسمى بالتطور الموجه. وتهدف الدراسة إلى عرض القصة بصورة صحيحة ومتسقة بالنظر إلى الخلق المعجز لآدم عليه السلام كما دل عليه السياق القرآني والأحاديث الصحيحة الواردة في الموضوع. ويوضح المخطط التالي التحليل النقدي التدريجي للأطروحات حول آدم عليه السلام لتحديد موقفهم منه بدقة:

أولًا: التفريق بين نطاقي المعارف المستمدة من العلم التجريبي والمعارف المستمدة من الوحي.

ثانيًا: التفريق بين الأطروحات المختلفة حول آدم عليه السلام، سواء كانت قائمة على العلم التجريبي أو الوحي أو الجمع بينهما.

ثالثًا: إظهار عجز العلم التجريبي، ممثلًا في نظرية التطور، عن تقديم تفاصيل دقيقة ومتسقة عن آدم عليه السلام.

رابعًا: إظهار عجز أي منهج يخلط على غير هدى بين نطاقي العلم التجريبي والوحي في هذه القضية.

خامسًا: إظهار عدم معقولية ومنطقية قصة آدم عليه السلام في الكتب السماوية المحرفة.

سادسًا: إظهار أن القصة في سياق الوحي الإسلامي، ممثلًا في القرآن والسُّنَّة الصحيحة، هي ضوء الحقيقة الوحيد اللامع وطريقها الواضح بين ظلمات الأهواء وتيه الظنون والشكوك. ولا تعارض بينها وبين الحقائق العلمية «اليقينية» ولا الآثار الواقعية ولا أساليب التفكير العقلانية المنطقية.

شكل ١. هيكل البحث الذي يوضح إطاره المفاهيمي



١,٣ مشكلة البحث:

من المعلوم أن العلم والدين لهما مدخل لقضية أصل البشر، إلا أن مدخليهما ونطاق بحثيهما مختلفان متكاملان متوافقان. وما يثير المشكلات هو الخلط بين المعارف المستمدة من هذين النطاقين أو بين مناطات وآليات البحث فيهما. وبالتالي؛ ينشأ هذا التعارض الظاهري الموهوم عند من يقع في

هذا الإشكال. وتتناول الأطروحة أحد انعكاسات هذه النقطة الهامة التي تنطوي على الكثير من التداعيات؛ وهو الصدام بين النظريات العلمية، سواء كانت صحيحة أو غير صحيحة، وبين النصوص الدينية، سواء كانت حقًّا أو باطلًا، فيما يتعلق بخلق آدم أو تطور البشر.

١,٤ أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى بحث واستكشاف المشكلات العلمية والعقدية التي تحدث عند الخلط غير الصحيح وغير المنضبط بين نطاقي العلم والوحي في واحدة من أهم القضايا الوجودية؛ ما هو أصل البشر؟ ويمكن تلخيص الأهداف العامة للدراسة في النقاط التالية:

١ ـ تقرير وتحديد ومعالجة نطاق المعارف المستمدة من «العلم التجريبي» و«الوحي» وتطبيقها على مشارب البحث في قضية أصل الإنسان والرؤى المختلفة المعتمدة على أحدهما أو كليهما.

٢ ـ تقرير وتحديد ومعالجة العلاقة بين «التطور» و«التطور الموجه» من جهة وبين «الدين» من الجهة الأخرى.

٣ ـ تفنيد مزاعم كون «التطور» حقيقة من الناحية العلمية والمنطقية.

٤ ـ تحليل الأفكار العقدية في أدبيات التطور الموجه من المنظور الإسلامي وغير الإسلامي.

٥ ـ مقارنة قصة آدم من منظور التطور والتطور الموجه والوحي (البايبل والقرآن).

٦ ـ تكثير سواد الأدبيات الإسلامية التي تعنى بنقد الأفكار الإلحادية وجذورها.

٧ ـ لفت أنظار الباحثين المسلمين إلى التركيز على نقض الإلحاد بدلًا من التعارك حول دعم فرضيات لا أساس لها من الصحة، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بتفسير النصوص الدينية في ضوئها.

١,٥ أسئلة البحث:

ستحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما هو التطور؟ وما هو التطور الموجه؟
- ما هي العلاقات المتداخلة للتطور والتطور الموجه والدين والتصميم الذكي ببعضهم البعض؟
- هل يعارض التطور الموجه النصوص الدينية (العهد القديم والجديد والقرآن)؟
- ما هو وضع آدم (أبو البشر) بين أطروحات التطور والتطور الموجه والخلق كنقطة محورية مشتركة بين الأطروحات الثلاث؟
- هل هناك أي إمكانية للتوفيق بين التطور (في صورته الداروينية الكلاسيكية أو الداروينية الحديثة) وبين النصوص الدينية؟

١,٦ أهمية الدراسة:

- تقديم المنظور الإسلامي الصحيح للقارئ حول آدم وأصل البشر، والذي لا يتعارض مع الحقائق العلمية ولا الدلالات الصحيحة للآيات القرآنية والصحيح من الأحاديث النبوية.
- زيادة رقعة الأعمال الموجهة لتفنيد الأفكار الإلحادية ونظرية التطور الداروينية ونقد الاستدلال بالآيات القرآنية على الأفكار التطورية.
- لفت نظر الباحثين من المسلمين إلى التوحد تحت مظلة واحدة لمجابهة خطر الإلحاد وذراعه العلمي - نظرية التطور الدارويني - بدلًا من الانشغال ببعضهم البعض في تأييد التطور الموجه من عدمه.

١,٧ المصطلحات الهامة وتعريفها:

يتعرض البحث في طياته لبعض المصطلحات الفنية المختصة بالمجال العلمي أو المجال الديني. وفيما يلي تعريفات مختصرة لمعظم هذه الاصطلاحات:

التعريف	المصطلح
كلمة Science في أصلها الإنجليزي تشير إلى: المعرفة، ثم استخدمت الكلمة للإشارة إلى نطاق محدد من نطاقات المعرفة وهو النطاق المادي أو التجريبي. وعلى الجانب الآخر، فإن مصطلح «العلم» في الاستخدام العربي يشير بشكل إجمالي إلى المعرفة التي تم التحقق منها أو المعرفة التي ثبتت صحتها. وفي سياق البحث، يشير هذا المصطلح (Science) إلى العلم في صورته التجريبية أو المادية.	العلم
هو ما أنزله الله ﷻ على رسله لهداية الناس. وفي سياق البحث، يشير المصطلح إلى الوحي بصورته الموجودة في الأديان التي تصنف على أنها أديان توحيدية: اليهودية والنصرانية والإسلام.	الوحي
لمصطلح «التطور» معاني مختلفة، إلا أن التطور في سياق هذا البحث يشير إلى نظرية التطور البيولوجي المنسوبة إلى داروين لتفسير أصل وآلية وجود الكائنات الحية وتنوعها بنسخها الكلاسيكية أو الحديثة. وبهذا المعنى قد يتم استخدام عدة مصطلحات بصورة متبادلة مثل التطور والتطور الدارويني والتطور الكبير والتطور البيولوجي والداروينية. وتشير كافة هذه المصطلحات إلى معنى تطور الأنواع من أنواع سابقة لها، أو التطور خارج نطاق النوع الواحد، أو التطور من نوع إلى نوع.	التطور نظرية التطور التطور الدارويني التطور الكبير الداروينية

التعريف	المصطلح
من الصعب إعطاء تعريف موحد لما يعرف بـ «التطور الموجه» لكثرة آراء وتوجهات القائلين به واختلافهم فيما بينهم في مدى حدوث التطور أو مدى توجيه (أو تدخل) الإلٰه لعملية التطور، ولكنه بشكل عام هو الفرضية التي تحاول التوفيق بين منظوري «الدين» و«التطور» حول أصل الحياة بالادعاء بأن التطور لا يعارض الإيمان بوجود إله، وبتفسير النصوص الدينية التي تناولت القضية تفسيرًا يتماشى مع معطيات النظرية التطورية. وفي سياق البحث، يشير المصطلح إلى هذه الفرضية وتوابعها. بشكل عام بغض النظر عن اختلافات أصحابها إلا إذا اقتضى المقام التفريق بين أقوالهم.	التطور الموجه
أحد التوجهات التي تتناول قضية أصل البشر من خلال التفسير الحرفي لما ورد في الكتب المقدسة. ويدعون أيضًا أن العلم (بصورته التجريبية) يعضد دعواهم. ومن الجدير بالذكر أن معنى المصطلح يختلف بين سياق الأدبيات الغربية والأدبيات الإسلامية. ومن الظلم البين الذي يقع فيه غالب أنصار التطور الموجه من المسلمين هو مساواة ثقل قول من يعارضهم من الباحثين المسلمين بالادعاءات الجوفاء للخلقويين في الأوساط الغربية.	الخلقوية

التعريف	المصطلح
يعرف أنصار التصميم الذكي توجههم بأنه: نظرية علمية مبنية على الأدلة حول أصل الحياة، والتي تتحدى بصورة أساسية الرؤى المادية للتطور. حيث ترى نظرية التصميم الذكي بأن أفضل تفسير لدلالات ميزات الأنظمة الحية والكون ـ مثل صفات حمل المعلومات في الـ (DNA) والمنمنمات والماكينات الموجودة في الخلية وضبط القوانين والثوابت الفيزيائية ـ هو أن وراءها سبب ذكي وليس عمليات مادية عشوائية. والنظرية لا تعترض على فكرة «التطور» بمعناها التغير عبر الزمن أو السلف المشترك، ولكنها تشكك في فكرة داروين بأن سبب التنوع البيولوجي أعمى وعشوائي بالكلية. فإما أن تكون الحياة نتيجة عمليات مادية عشوائية بالكلية أو أن هناك ذكاءً موجهًا قام بدور ما فيها. ويتعمد مؤيدو هذا التوجه الابتعاد عن الانتساب إلى أي خلفيات دينية، وإظهار توجههم في ثوب علميّ فقط.	التصميم الذكي
بقايا أو بصمات الكائنات الحية التي عاشت في الفترات الجيولوجية السابقة والمحفوظة في الصخور الرسوبية. وتمت الإشارة إلى المصطلح في سياق البحث لتفنيد أحد أهم مزاعم التطوريين بخصوص أدلتهم على حدوث التطور من خلال دراسة الحفريات.	سجل الحفريات

المصطلح	التعريف
الأنواع	ليس هناك تعريف متفق عليه بين الطبيعيين أو البيولوجيين لهذا المصطلح. ولكن يشير معناه العام إلى أحد وحدات التصنيف الحيوي الأساسية، وغالبًا ما يُعَرَّف النوع على أنه مجموعة من الكائنات الحية القادرة على التزاوج فيما بينها وإنتاج نسل خصب. إلا أن المصطلح يشير في سياق البحث إلى إحدى الإشكاليات الكبرى التي تواجه نظرية التطور: وهي مشكلة الانتواع.
الحمض النووي (الـ DNA)	الحمض النووي الديوكسيريبوزي: الجزيء الذي يحمل المعلومات الوراثية في جميع الكائنات الحية.
التطور الصغير	الجزء المتفق عليه من التطور بين مؤيدي نظرية التطور وغيرهم، والذي يعني التغير داخل النوع الواحد الناشئ عن تغيرات جينية بسيطة والذي ينتج عنه «الأجناس». والمصطلح يشير في سياق البحث إلى هذا المعنى، ويستخدم للتفريق بين الجوانب المتفق عليها والمختلف فيها للتطور، أو للتفريق بين ما هو حقيقة وما هو فرضية في بناء التطور.
الانفجار الكامبري	التنوع السريع للكائنات متعددة الخلايا والذي حدث في العصر الكامبري. ونتج عنه ظهور غالب الممالك الحيوانية الحديثة. واستخدم المصطلح في سياق تفنيد أحد أسس النظرية التطورية وهو التطور البطيء والتدريجي للأنواع خلال فترة طويلة من الزمن.

المصطلح	التعريف
الانتخاب الطبيعي	العملية الطبيعية العمياء العشوائية لتنحية الأنواع الضعيفة وانتخاب الأنواع الأصلح للبقاء حسب نظرية التطور الدارويني.
البايبل	العهدين القديم والجديد، وهي الكتب المقدسة لدى اليهود أو النصارى. واستخدم المصطلح في سياق تحليل قصة آدم في النصوص الدينية ونقد القصة المحرفة في هذه الكتب.
أصول التفسير	الطريقة المنهجية لاستخراج المعاني من القرآن حسب ما قرره علماء المسلمين. واستخدم المصطلح في سياق تقرير المنهجية الصحيحة لتفسير القرآن الكريم والتفريق بين التفسيرات الصحيحة المقبولة والتفسيرات الباطلة المرفوضة.

١,٨ حبكة الدراسة:

تنقسم الدراسة إلى ثمانية فصول يحرر فيها الباحث قصة آدم عليه السلام من منظور التطور والتطور الموجه والوحي. أول خمسة فصول منها عبارة عن مقدمات متتابعة ومتدرجة إلى الفصول الثلاثة التالية التي تغطي النتائج والمناقشة وخاتمة الدراسة. وقد تم ترتيب الفصول بصورة منطقية حتى يتسنى للقارئ الانتقال بسهولة من منظور إلى آخر حتى يصل إلى التحليل النقدي للقضية الرئيسة ومناقشتها في الفصول النهائية، حيث يجد هناك الفصول التمهيدية منصهرة في بوتقة واحدة للوصول في النهاية إلى أوثق المناهج في تناول قصة آدم عليه السلام في ضوء المعطيات المبثوثة فيها.

وللمزيد من التفصيل، يغطي فصل «المقدمة» التوطئة ومشكلة البحث وأهدافه وأسئلته وأهميته وحبكته. ويشمل الفصل الثاني عرضًا موجزًا لنطاق العلم والوحي في النظريات المتعلقة بأصل الإنسان وذلك من خلال مقدمة

تعريفية مختصرة حول المجالين الرئيسين اللذين يتعلق البحث بأبعادهما؛ العلم والوحي، بالإضافة إلى المناهج الرئيسة التي تناولت أصل الإنسان وهي: التطور والتطور الموجه والتصميم الذكي والخلقوية. وحيث إن مشكلة البحث الرئيسة تتعلق بأحد هذه المناهج على وجه التحديد؛ وهو التطور الموجه، وعلاقته بالعلم (من ناحية التطور) والدين (من ناحية الوحي)؛ فإن الفصل الثالث سيقدم تقريرًا إضافيًّا حول نظرية التطور وفرضية التطور الموجه وعلاقتها بالتطور والوحي. وبعد تقرير وتحديد موطئ قدم التطور الموجه بين هذه المناهج، وهل هو أقرب إلى النظرة التطورية أو أقرب إلى النظرة الدينية، سيتم تسليط الضوء في الفصل الرابع على التحليل العلمي النقدي الموجه إلى أسس ومبادئ نظرية التطور، حتى يتضح للقارئ أن هذه النظرية ليست حقيقة علمية كما يدعي أنصارها وكما يدعي أنصار التطور الموجه أيضًا. في الفصل الخامس ينتهي الإبحار في استعراض الأدبيات إلى شاطئ تقريرات قصة آدم عليه السلام، كشخصية تاريخية، من منظور التطور والتطور الموجه والكتاب المقدس والقرآن. وبنهاية الفصل الخامس تكتمل الفصول التمهيدية في استعراض الأدبيات المختلفة وينتقل الفصل السادس بالقارئ إلى أهم النتائج المستخلصة من الأدبيات السابقة، والتي سيتم مناقشتها مناقشة تحليلية ونقدية في الفصل السابع. ويقدم البحث في الفصل السابع تحليلًا نقديًّا يشمل الأفكار الدينية لمؤيدي التطور الموجه وتفسيراتهم للوحي بخصوص بدء الخلق ووجود آدم عليه السلام، وسيتم تسليط الضوء بشكل أكثر تفصيلًا على مقاربات أنصار التطور الموجه من المسلمين الذين يحاولون لي عنق تفسيرات الآيات القرآنية لتوافق منظورهم التطوري. وأخيرًا تأتي النتائج والتوصيات حول التقرير الصحيح لآدم عليه السلام بين هذه المناهج العلمية أو الدينية أو العلمية ـ الدينية المختلفة في الفصل الثامن.

الفصل الثاني

«العلم» و«الوحي» والنظريات المتعلقة بأصل الإنسان

يتناول البحث مجالين رئيسين تندرج تحتهما قضيته المركزية؛ وهما العلم والوحي. وبالتالي فإنه يجدر بنا قبل الدخول في تفاصيل القضية المركزية للبحث أن يكون لدينا إلمام عام بسمات وخصائص ومميزات هذين المجالين، وأنواع المعارف التي يمكن أن نجنيها منهما. إلا أن العقبة الأولى التي يمكن أن تواجه أي باحث في هذا الصدد هي عشرات التصورات والتعريفات المختلفة بل المتعارضة للعلم وعلاقته بالدين وأنواع المعارف المستمدة منهما. ولا يمكن بحال من الأحوال اختصار هذه المواضيع في فصل ما في كتاب ما، فقد ألفت فيها المئات من الكتب قديمًا وحديثًا، ولا زال الموضوع خصبًا لذوي القرائح للاستزادة والإفادة، فحي على الفلاح بالتصدر لهذا الثغر، والله المستعان.

والمقصود من هذه المقدمة المختصرة في تعريف العلم ونطاقه وسماته والوحي ونطاقه وسماته ليس تقرير القضايا الشائكة فيهما، وإنما ليستحضر القارئ أثناء اصطلام الآراء حول آدم عليه السلام في آخر البحث مبنى كل رأي ومصادر معرفة القائلين به، وهل الأسس التي بنوا عليها رأيهم هي أسس صحيحة معرفيًّا أم أنه خلط للحابل بالنابل، دون تحقيق وثيق أو تصور دقيق لموضع المسألة من إعراب مصادر المعرفة. ويظهر هذا جليًّا في التقرير الأخير لمسألة الوجود الفعلي لـ ـ آدم ـ سواء كان شخصية تاريخية أو تعبيرًا رمزيًّا هل هو ضمن نطاق العلم التجريبي ونطاق الوحي أو ضمن نطاق أحدهما فقط. وهل يقبل القائلون بتعلق المسألة بحدود العلم التجريبي الآثار الدينية فيها؟ وهل يقبل القائلون بتعلق المسألة بالوحي الافتراضات العلمية تجاهها؟

أيضًا يساعد إلقاء الضوء على هذه المقدمة في معرفة طبيعة أدلة كل فريق، ووزن ظنية الفرضيات العلمية حول آدم وما نزل به الوحي المعصوم من نصوص قطعية الثبوت وقطعية الدلالة في بعض أفرادها وفي مجموعها. فيستحضر القارئ كذلك في الفصل قبل الأخير ـ عندما نأتي إلى مناقشة آراء من يخلطون بين المعارف العلمية والدينية على سبيل الجمع بينهما ـ ما اختُصر في الفصل الثاني من حيث طبيعة العلم وطبيعة المعارف المستمدة منه وطبيعة الوحي والمعارف المستمدة منه، وكيفية ربط هذا بذاك.

ولتوضيح خريطة القضية بصورة متدرجة ومنهجية للقارئ، سيتعرض البحث لبعض مفاهيم العلم التجريبي أو الطبيعي، باعتبار التطور جزءًا منه وممثلًا عنه، ثم المرور سريعًا على نطاقه وسماته. وكذلك بالنسبة للوحي بمعناه في الديانات التي يطلق عليها الديانات التوحيدية؛ اليهودية والنصرانية والإسلام[(١)] ومع ذلك، تظل عقبة التصورات والتعريفات المتعارضة قائمة، حيث لا يحتكر أحد مهما كان كافة جوانب الحقيقة في هذه المسائل.

ونبدأ بالعلم كونه اللاعب الرئيسي معنا، حيث يشترك في الاعتبار والاعتداد به كافة أطراف النزاع، على اختلاف شديد لا يمكن رأبه بينهم حول ماهيته ونطاقه وتوظيف المعارف المستمدة منه في الاستدلال على رؤاهم المتعارضة حول الموضوع محل البحث. وعند محاولة الوصول إلى تعريف للعلم نستحضر مقولة بوتلر الشائعة عن التعريفات: «التعريفات هي نوع من الحكّة، وغالبًا ما تترك المكان أكثر التهابًا»[(٢)]. والآن، لنحاول بإيجاز «حك» مفهوم العلم ونطاقه.

---

(١) يؤمن الباحث بأن التوحيد دين كل الأنبياء والرسل وأن اليهودية والنصرانية الحالية لا تمثلان التوحيد الخالص الذي أتى به الأنبياء جميعًا. بل تم تحريف التوحيد فيهما إلى إله قومي لبني إسرائيل في اليهودية وإله مثلث الأقانيم في النصرانية. ولكن المراد هنا أن هذه الأديان يتم تصنيفها في مجال الدراسات الأكاديمية المتعلقة بالأديان عمومًا على أنها أديان توحيدية لاشتراكها في أصول لم تشترك فيها أديان أخرى مثل الادعاء بوحدانية الإله والإيمان بالوحي والرسل واليوم الآخر «بصورة عامة».

(٢) Butler, S. (1917). *The Note-Books of Samuel Butler*. Henry Festing Jones (ed) page 221.

٢,١ تعريف وخصائص ونطاق العلم التجريبي:

تحاول كافة المذاهب الفكرية تعريف مصطلح «العلم». إلا أنه ليس هناك اتفاق حول حقيقة العلم بالرغم من أهميته حتى الآن. ويمكن وصف طريقة العلماء في تعريف العلم بمقولة فيمان: «نحن لا نستطيع تعريف أي شيء بدقة. وإذا ما حاولنا سنصطدم بالترهات الفكرية العقيمة التي تراود الفلاسفة...». يقول أحدهم للآخر: «أنت لا تعلم ما الذي تتحدث عنه!» فيجيب الثاني: «ما الذي تعنيه بـ تعلم؟ ما الذي تعنيه بـ تتحدث؟ ما الذي تعنيه بـ أنت؟»[١]

فما أكثر التنظيرات الفلسفية والنظرية لتعريف «العلم» والأكثر منها اعتراضات كل فريق على تعريفات الفرق الأخرى، وسيستمر هذا الجدل البيزنطي إلى ما شاء الله. وبالتالي؛ وحتى لا نخرج عن مقصود البحث، فسنورد بعض الدلالات المعجمية والتعريفات المتضاربة لمصطلح «العلم ـ Science».

٢,١,١ تعريف العلم:

أ ـ الأدبيات الإنجليزية:

كلمة science مشتقة من الأصل اللاتيني «scientia» والتي تعني «المعرفة»[٢] وقد كان الاستخدام الكلاسيكي للمصطلح يشير إلى المعرفة بشكل عام، وخاصة المعرفة «النظرية» التي تقابل المعرفة «العملية». ثم آل استخدام المصطلح في العصور الوسطى إلى الإشارة إلى «الفنون» التي تجنح إلى الدلالة على المعرفة العملية. وبالتالي فإن مصطلحي «الفنون العقلية» و«العلوم الإنسانية» يعنيان نفس الشيء. إلا أن القواميس الحديثة لها استخدام أكثر تحديدًا للمصطلح، وأكثر تنويعًا كذلك[٣]. وتشمل هذه التعريفات:

- العلم هو التزامٌ منهجي يؤصل ويبني وينظم المعرفة المتعلقة بالكون

---

(١) Feynman, R. P. (1961). *Motion', The Feynman Lectures on Physics*. Vol. 1, 8-2.

(٢) انظر: قاموس أكسفورد عبر الإنترنت، مصطلح science.

(٣) Cline, A. (2016, February 11). Definition of Science-How is science defined? Retrieved May 5, 2017, from https://www.thoughtco.com/how-is-science-defined-250559

في صورة توضيحات وتنبؤات قابلة للاختبار[1]

• دراسة ومعرفة العالم المادي وسلوكه بالاعتماد على التجارب والحقائق التي يمكن إثباتها ونظمها في سلك نظام واحد[2]

• النشاط المعرفي والعملي الذي يشمل الدراسة المنهجية لبنية وسلوك العالم المادي والطبيعي من خلال الملاحظة والتجربة[3]

• المعرفة المستمدة من الدراسة المتأنية لبنية وسلوك العالم المادي، وخاصة تلك المعرفة المستمدة من المشاهدة والقياس وإجراء التجارب وتأطير النظريات لوصف النتائج المستخلصة من هذه الأنشطة[4]

• يمكن تعريف العلم على أنه «ملاحظة الظواهر الطبيعية والتحقق منها ووصفها وإجراء التجارب عليها وتوضيحها نظريًا»[5]

وعلى الرغم من التعريفات المعجمية المختصرة لمصطلح science، قدم العلماء الغديد من التعريفات المختلفة والمتناقضة لماهية العلم. كما قدمت كل مدرسة فكرية معاييرها الخاصة للتمييز بين العلم واللاعلم أو بين العلم والعلم الزائف. فمن جانب، يقول جون ويلدر توكي: «هناك رؤى متعددة حول ماهية العلم، إلا أنه توجد ثلاث مكونات رئيسة يتفق الكثير منها على أنها ضرورية في توصيف العلم، وهي: (١) محتوى معرفي، (٢) منتظم في هيئة مفهومة، (٣) ويعتمد على اختبار التجربة كمعيار نهائي لصحته. ومن خلال هذه الاختبارات يتضح أن الرياضيات ليست علمًا؛ حيث إن المعيار الدائم للتحقق من صحتها متفق عليه بالاتساق المنطقي أو إمكانية الاستدلال[6]

---

(١) Wilson, E. (1999). *Consilience: The unity of knowledge*. New York: Vintage.

(٢) قاموس ماكميلان عبر الإنترنت، مصطلح science.

(٣) قاموس أكسفورد عبر الإنترنت، مصطلح science.

(٤) قاموس كامبريدج عبر الإنترنت، مصطلح science.

(٥) قاموس أمريكان هيريتيدج عبر الإنترنت، الإصدار الثاني.

(٦) Tukey, J. W. (1962). *The Future of Data Analysis*. Annals of Mathematical Statistics. 33, No. 1, 5-6.

في هذا التعريف يتضح أن الرياضيات وكافة علوم المنطق لا تعتبر علمًا. فالعلم عند توكي هو ما يمكن اختباره عن طريق التجربة، والقوانين الرياضية لا تندرج تحت هذا الإطار المعرفي الضيق، فـ ١+١ = ٢ لا يقول عاقل بأنه قانون ناتج عن التجربة أو يخضعه تحت اختبار صحة أو فساد. والمعارف العقلية الأساسية كذلك لا تدخل تحت هذا الإطار الذي يعتمد على الخضوع للاختبار كمعيار دائم وأساسي لما يطلق عليه «علم». ومن ذلك اجتماع الضدين وارتفاع النقيضين. وهذه المعارف هي التي تبنى عليها الاستنتاجات العلمية من الأساس، فبدونها لا يستقيم لأي مذهب تعريفًا محددًا للعلم؛ بل ولا يستقيم لهم أي نوع من أنواع المعرفة على الإطلاق. فأصحاب هذا المذهب يفرقون بين «العلم» و«اللاعلم» عن طريق معاييرهم المذكورة، لكن من قال لهم إنه يستحيل اجتماع كون الشيء «علم» و«لا علم» في نفس الوقت؟! فمذهبهم في العلم - ويا للعجب - مبني على أسس غير علمية.

وعلى جانب آخر، يخبرنا كاسياس كيسير: «إذا سألت أحدًا، حتى العوام في الشارع، حول أهمية الرياضيات، فإن إجابة الجميع ستكون إن الرياضيات أمدت الإنسانية بالفنون القياسية والحسابية الضرورية للحياة اليومية للبشرية. وذلك لأن الرياضيات تدخل في عدد لا نهائي من التطبيقات في الهندسة والعلوم الطبيعية، وهي في النهاية الأداة الأكثر تميزًا في توفير الانضباط العقلي. . . وإذا سألت عالم الرياضيات فإنه سيضيف بأنها العلم بذاته، علم الفكر الدقيق والتفكير العميق»(١) وبالإضافة إلى ذلك، يصرح هيفيسايد قائلًا: «الرياضيات علم تجريبي، والتعريفات لا تأتي أولًا، وإنما تأتي لاحقًا»(٢) فعلى عكس تعريف توكي ومن يذهب مذهبه، يمكن إدراج

---

(١) Keyser C. J. Address (28 Mar 1912), Michigan School Masters' Club, Ann Arbor, 'The Humanization of the Teaching of Mathematics. Printed in Science (26 Apr 1912). Collected in The Human Worth of Rigorous Thinking: Essays and Addresses (1916), 65-66.

(٢) Heaviside, O. (1893, June 15). On Operators in Physical Mathematics, part II. *Proceedings of the Royal Society of London*, 54-121.

الرياضيات وكافة علوم المنطق كأعمدة أساسية للعلم. ولكن هل ينتهي الخلاف عند الرياضيات والمنطق؟ ثمة قطاع عريض من العلوم لم يتقرر بعد هل هو علم أو لا! فالعلوم الإنسانية ما زالت تقبع خارج دائرة العلم بعد هذين التعريفين.

هنا يأتي الجانب الثالث، حيث لم يشر تعريف المجمع العلمي بالمملكة المتحدة لمصطلح science إلى العلوم التجريبية أو الطبيعية فقط، وإنما أدرج العلوم الإنسانية أيضًا. فقد عرفوا العلم بأنه: «العلم هو طلب المعرفة وتطبيقها، وفهم العالم «الطبيعي» و«الاجتماعي» باتباع طريقة منهجية تعتمد على الدليل»[١]. وقد علق إيه سي جريلنج على هذا التعريف في جريدة الجارديان قائلًا: «ولأن العلم يتضمن هذه الأنشطة واسعة النطاق؛ فإن تعريفه يتطلب أن يكون عامًا، وأن يغطي بحث العالم الاجتماعي بالإضافة إلى العالم الطبيعي، ويتطلب معاني «المنهجية» و«الدليل»، كما يتطلب أن يكون بسيطًا وموجزًا. وهذا التعريف نجح في تلبية كافة هذه المتطلبات، ولذلك استحسنته»[٢].

فغاية ما وصلت إليه الأدبيات الإنجليزية في هذا الموضوع بحث العالمين الطبيعي والاجتماعي بناءً على تجارب أو أدلة بصورة منهجية. وكأني بطالب يسأل أستاذًا من مؤيدي التعريفات السابقة في حيرة:

وأين العلوم الدينية؟ وأين العلم بالله خالقنا والدار الآخرة مستقرنا؟

- لا يوجد ما يسمى باجتماع «العلم» مع «الدين»، فالدين عبارة عن أمور روحانية قلبية لا يمكن أن يتم بحثها بصورة علمية أو منطقية.

وماذا عن الدليل ودرجة وثوقيته؟

---

(١) Science Council. (n.d.). Our definition of science. Retrieved May 6, 2017, from http://sciencecouncil.org/about-us/our-definition-of-science/

(٢) Grayling, A. C. (2009, March 4). What is this thing we call science? Here's one definition... *The Guardian*. Retrieved March 3, 2017, from https://www.theguardian.com/science/blog/2009/mar/03/science-definition-council-francis-bacon

ـ الدليل هو الملاحظة أو الرصد (أو الاستقراء في بعض المدارس)، ولا تهم درجة وثوقيته، المهم أن يكون دليلًا يمكن التحقق من نتيجته، فإن صح فبها ونعمت، وإن لم يصح فهو خطأ، وهذا هو عين العلم.

فما يسمى علمًا عندهم قد يكون صوابًا أو خطأً، ولا يرتقي أي أمر علمي أبدًا إلى درجة اليقين؛ بل كافة الأمور العلمية راجعة إلى الظن. هذه النظرة الغربية الغريبة للأسف يتبناها بعض المسلمين في بعض القضايا، ونسوا أنها خرجت من رحم ظروف وعوامل اجتماعية وفكرية تختلف جذريًا عن النظرة الإسلامية للحياة والدين والعلم والمعرفة.

ب ـ الأدبيات العربية والإسلامية:

التعريفات المعجمية العربية لكلمة «العلم» تتمحور بشكل أساسي حول المعرفة العامة التي «تم» التحقق منها أو إثبات أنها معرفة «حقيقية»[(١)] وهذا يوافق استخدام كلمة «المعرفة» بمعناها العام في السياق اللغوي الغربي كذلك. ولكن لما كان المتبادر إلى الذهن في السياق الغربي مفهوم معين للعلم الذي نستمد منه الحقائق فقد توجه نظر الباحث لتقديم التعريفات التي تتمحور حول هذا المفهوم وإن كان ضيقًا، والتي تعكس ما يتبادر لذهن القارئ الغربي أو العربي عند ذكر لفظة «العلم». ونظرة علماء المسلمين إلى العلم لا تختلف كثيرًا عن النظرة اللغوية العامة، مع المزيد من التفصيل الدقيق والمتزن لكافة مدخلاته ومخرجاته. والمتبادر إلى الذهن من مفهوم «العلم» في النظر الشرعي أوسع وأضبط منه في المدارس الغربية المختلفة على اختلافاتها. فقد اتفق كثير من الأصوليين على حد العلم بأنه «إدراك الشيء (أو المعنى المجرد) على ما هو عليه في الواقع (أو في حقيقة أمره) وهذا «الإدراك» قد يكون ضروريًا وقد يكون مكتسبًا من نظر واستدلال. وهذا «الاستدلال» له أصوله وضوابطه

---

(١) انظر على سبيل المثال:

محمد بن منظور، لسان العرب (الطبعة الثالثة). بيروت: دار صادر، مجلد ١٢، ص٤١٧.

أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، دار الفكر، مجلد ٤، ص١٠٩.

الفيروزآبادي، القاموس المحيط، بيروت: مؤسسة الرسالة، مجلد ١، ص١١٤٠.

ومراتب الأدلة فيه ودرجات العلم المستنبط منه. ولا يقتصر الأمر على مجرد تصنيف وترتيب الأدلة؛ بل يتعدى المنهج إلى تصنيف ألفاظ الدليل إلى خاص وعام وظاهر ومؤول ومجمل ومفصل وحقيقة ومجاز، ودلالات هذه الألفاظ على الحكم العام للمسألة، إلى غير ذلك من الأبواب الأصولية المتعلقة بالأدلة والتي يطول ذكرها.

ويضاد العلم عندهم الجهل، وقد يكون جهلًا بسيطًا وهو انتفاء العلم، وقد يكون جهلًا مركبًا وهو تصور الشيء (أو المعنى) على خلاف ما هو عليه. ويتبين العلم من الجهل البسيط من الجهل المركب في المثال التالي:

ما هي عاصمة فلسطين؟

العلم أن يقول: القدس عاصمة فلسطين

الجهل البسيط أن يقول: لا أعلم

الجهل المركب أن يقول: سيناء عاصمة فلسطين

ومراتب العلم أربعة:

اليقين: وهو الذي يقتضي تمام العلم بالشيء والجزم به بدون تردد. مثل أن يقول بلا تردد «عاصمة فلسطين هي القدس».

الظن: وهو تقديم الطرف الأرجح على الطرف المرجوح. مثل أن يقول: «إما أن تكون القدس عاصمة فلسطين وإما أن تكون سيناء، والأرجح عندي أن تكون القدس».

الشك: وهو استواء الطرفين بلا مرجح. مثل أن يقول: «إما أن تكون القدس عاصمة فلسطين وإما أن تكون سيناء، ويستوي عندي الطرفان فلا أستطيع الترجيح».

الوهم: وهو تقديم الطرف المرجوح على الطرف الراجح. مثل أن يقول: «إما أن تكون القدس عاصمة فلسطين وإما أن تكون سيناء، والأرجح عندي أن تكون سيناء».

وأنواع العلم عندهم اثنين يتفرع منهما عدة أفرع:

ضروري: وهو الذي يحصل من غير نظر واستدلال، ويندرج تحته:

- العلم الحاصل بالحواس الخمس.
- العلم الحاصل بالأخبار المتواترة.
- العلم الحاصل بالبدائه العقلية من غير تأمل ولا نظر كعلم الإنسان بوجود نفسه.

واستدلالي (أو نظري): وهو الذي يحصل عن طريق النظر والاستدلال، ويندرج تحته:

- العلوم العقلية: وهي التي يتوصل إليها بإعمال التأمل والتدبر ـ من غير واسطة الدليل السمعي.
- العلوم السمعية: وهي ما تعرف عن طريق الوحي، ولا يستطيع العقل استنباطها منفردًا، كالعلم بأحداث يوم القيامة.

وهذه العلوم منها ما هو يقيني قطعي، ومنها ما هو ظني لا يصل إلى درجة اليقين وإن كان مبنيًّا على أسس استنباطية صحيحة. ومنها ما يخضع للتجربة، ومنها ما يدرك بالاستقراء، ومنها ما لا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق النقل أو الوحي المعصوم. ولقد أجاد شيخ الإسلام ابن تيمية في تعريف العلم فقال: العلم إما نقل مصدق عن معصوم، وإما قول عليه دليل معلوم، وما سوى هذا فإما مزيف مردود، وإما موقوف لا يُعلَم أنه بهرج ولا منقود[(١)]

أما وقد تبين أن مفهوم المسلمين لجنس «العلم» أوثق وأدق وأشمل من مفاهيم غيرهم، وأن العلم لا ينحصر في الماديات، وأن العلم التجريبي لا يستند فقط على التجارب أو المشاهدات، كما يحاول أن يرسم ذلك جهابذة الجامعات؛ فإننا سنتنزل في بحثنا ومناقشتنا إلى هذا المستوى المحدود لمنظور العلم ومنهجياته، عسى أن تتضح الصورة لمن آمن به على علاته.

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية (١٩٩٥)، مجموع الفتاوى، المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٣/٣٢٩ ـ ٣٣٠.

٢,١,٢ سمات العلم التجريبي:

هل يمكن أن يكون العلم التجريبي المصدر الوحيد للحقيقة؟

تختلف إجابات العلماء على هذا السؤال باختلاف مدارسهم الفكرية أو معتقداتهم. فإجابة السؤال لا تعتمد على التصنيف الموضوعي المحايد للحقائق المستمدة من العلم؛ بل تنبع من الخلفية الأيدولوجية لمن يجيب عليه. وما من شك أن إجابة السؤال تقبع بالفعل خارج إطار البحث العلمي والمنهجية العلمية. ويَرِدُ على من يقول بأنه المصدر الوحيد للحقيقة اعتراضين؛ أولهما كيف يستدلون بالشيء على نفسه؟! وهذا ما يسمى بـ«الدور». وإن كانوا لا يعترفون بالحجج المنطقية ـ على إلزامها الشديد لهم ـ فلنا أن نعترض بالقاضية: هل ثبت من خلال المنهجية العلمية أن العلم هو المصدر الوحيد للحقيقة؟! ودون إثبات ذلك خرط القتاد والله الهادي إلى سواء الرشاد. وقد اعترض الدكتور عمرو شريف على من قال بذلك قائلًا: يمثل الاتجاه الذي تبناه راسل وأتكنز نموذجًا لمنهج «العلمية Scientism»[١]، والذي يعتبر أن أي حديث عن الإله أو الدين أو التجارب الروحية يقع خارج العلم، ومن ثم ليس حقيقيًا. إن القول بأن العلم هو المصدر الوحيد للحقيقة والمعرفة يلغي الكثير مما تعلمناه في المدارس والجامعات. ماذا عن الفلسفة والأدب والفن والموسيقى وعلم الأخلاق؟! كيف يحكم العلم بأن قصيدة ما سيئة أو بها إبداع كبير؟ هل يمكن ذلك عن طريق إحصاء عدد الكلمات أو معرفة ترتيب الحروف؟ كيف يحكم العلم بأن لوحة ما تمثل قطعة فنية ثمينة وليست مجرد تلويث للقماش بالألوان؟ لاشك أن ذلك لن يكون بالتحليل الكيميائي للأصباغ! يستطيع العلم أن يخبرك أن وضعك لسم الإستركنين في شراب شخص ما سيقتله، لكن لن يقول لك إن من الخطأ أن تفعل ذلك مع جدتك من أجل أن ترث أملاكها[٢]

---

(١) تجدر الإشارة إلى أن الترجمة الأدق للمصطلح هي «العلموية» وليس «العلمية» كما ترجمها د. عمرو.

(٢) عمرو شريف (٢٠١٤)، خرافة الإلحاد، مصر: مكتبة الشروق الدولية، ص٥٦ ـ ٥٧ بتصرف.

ويضيف حمزة تزورتزس: يهدف العلم [التجريبي] إلى شرح العالم المادي. وكوحدة متكاملة، يهدف العلم إلى تقديم توضيحات حول كيفية عمل العالم «المادي». والطريقة التي يهدف بها العلم إلى تقديم التوضيحات هي أنه يأتي بفرضيات قابلة للاختبار. ولابد أن يكون للفرضية تنبؤات محددة حتى تكون قابلة للاختبار[1] وبالتالي: «العلم ليس الطريق الوحيد للحصول على الحقائق المتعلقة بالعالم. وتظهر تقييدات المنهجية العلمية عدم قدرة العلم على الإجابة عن جميع الأسئلة. وتشمل بعض هذه التقييدات ما يلي:

- العلم مقيد بالملاحظة.
- لا يبحث في الأخلاق.
- لا يمكنه أن يجيب عن الغاية من حدوث الأشياء.
- لا يمكنه أن يعالج بعض القضايا الغيبية.
- لا يمكنه إثبات الحقائق الضرورية»[2]

وبغض النظر عن عدم موافقة الأخ الفاضل حمزة في هذا المنظور «الغربي» للعلم وللمنهجية العلمية؛ وبغض النظر كذلك عن الخلاف بين المنظور الإسلامي والغربي لماهيته، فإننا نورد بعض هذه السمات التي اتفقوا عليها تنزلًا منا في الاستدلال بما يفقهون ويرضون دون رفع سقف الخلاف إلى ما لا يعلمون. للعلم التجريبي سمات معينة اتفق عليها العديد من العلماء ذوي التوجهات والعقائد المختلفة. وتشمل هذه السمات على سبيل المثال لا الحصر:

*** الطبيعية:**

لا بد من استخدام سبب طبيعي Natural Cause لتوضيح لماذا أو كيف تحدث النتيجة الطبيعية أو التجريبية. ولا يمكن استخدام الأسباب غير المادية في العلم التجريبي. مثال: لا يمكننا القول بأن: «الزلازل تحدث عندما

---

(١) Tzortzis, H. A. (2016). *The Divine Reality: God, Islam & The Mirage of Atheism*. San Clement, CA: FB Publishing. P. 188.

(٢) نفس المصدر، ص١٨٩.

يكون الله غاضبًا على الناس» وأن ننسب ذلك السبب إلى العلم. والحقيقة أنه قد يكون من العلم الثابت والحقائق الراسخة إذا أخبرنا «الوحي» المعصوم بذلك، مثل بعض نهايات الأمم الظالمة التي ورد ذكرها في القرآن. ولكن لما كان مفهومهم للعلم هو ما تبديه الطبيعة فقط، حصروه مظلومًا في هذه الأسباب الطبيعية، وضيقوا واسعه في دقاق المادية.

*** المادية:**

نطاق العلم هو الأمور المادية فقط. التي يمكن أن يتم رصدها أو ملاحظتها بالحواس، والتي لها جرم معين. وبالتالي؛ ما هي الروح؟ ما هو الوعي؟ ما هو المعنى؟ هذه الأسئلة لا تمت بصلة إلى منهجية العلم. كذلك يجب التفريق هنا بين الغاية Purpose والوظيفة Function فكثيرًا ما يخلط ذوي عدم التمييز بينهما. العلم يدرك الوظيفة، والغاية ما لأجله وُجدت أو استُخدمت الوظيفة. مثال: يدخل ضمن نطاق العلم كيفية الاتصال بين جهازي هاتف محمول. فأجهزة المحمول لديها وظيفة واضحة أمكننا تطويرها من خلال أسس علمية ثابتة وهي الاتصال بين من ناءت بهم الديار. وهذه الوظيفة «وهي الاتصال» لها هدف وغاية أعلى منها «وهي التواصل». فيمكن للعلم أن يبحث في الكيفية والوظيفة، ولكنه لا يدري شيئًا عن غايات التواصل المختلفة بين البشر، أو غيرهم.

*** قابلية الاختبار:**

يمكن اختبار الأمر العلمي باستخدام التجربة. فكافة العلوم التي لا تخضع أو لا يمكن في العقل السليم أن تخضع للتجربة ليست داخلة ضمن إطار العلم التجريبي عند من يقول بذلك. ومعنى قابلية الاختبار أنها أمور لا يدرى نتيجتها حتى يتم التحقق منها بالاختبار أو التجربة. وبالتالي؛ لإثبات أن فكرة ما أو فرضية ما قابلة للاختبار لابد أن توفر تنبؤات محددة يتم اختبارها للتحقق من صحة هذه الفكرة أو الفرضية. وعلى هذا الرأي، فإن فكرة «التطور الكبير» وهو نشوء الأنواع من أنواع سابقة لها عبر التغير عبر حقب طويلة من الزمان تمتد لملايين السنين لا يندرج تحت نطاق العلم التجريبي القابل

للاختبار؛ إذ يستحيل استمرار التجربة والمشاهدة لفكرة ما خلال ملايين السنين، أو حتى آلاف! إذن ماذا يسمي «المنصِف» التطور الكبير؟ يسميه علم زائف مستندًا إلى سمات العلم التجريبي التي قيدوا أنفسهم بها. والحقيقة، وللإنصاف، أن هذا الإلزام لا يلزم بعض مؤيدي التطور الذين لا يحصرون المنهجية العلمية في قابلية الاختبار أو يعتبرونها لا يمكن الاستغناء عنها في الحكم على الأفكار أو النظريات بأنها علمية أو غير علمية.

*** القابلية للتنبؤ:**

وهذه السمة متعلقة بالسمة السابقة. حيث يمكن التنبؤ بمخرجات النظريات والتفسيرات العلمية واختبارها للتحقق من صحتها.

*** اتساق الدليل:**

الأفكار العلمية لا يمكن أن تكون قابلة للاختبار فقط، وإنما يتم اختبارها من قبل العديد من العلماء والحصول على نفس النتائج.

٢,١,٣ نطاق العلم التجريبي:

قيود العلم لا تشمل الأمور الغيبية فقط، وإنما تشمل النطاق المادي للعلم أيضًا «العالم المادي»! كما أقر هو وكوش: «القيد الأكثر وضوحًا هو أن العلم لن يلاحظ أو يعرف أو يشرح كل شيء ضمن نطاقه؛ العالم المادي، أبدًا»[١]

*** العلم لا يقدم أحكامًا أخلاقية:**

متى يكون القتل الرحيم صحيحًا؟ ما هي الحقوق المشتركة للبشر؟ هل يمكن أن يكون للحيوانات حقوق أيضًا؟ لا يمكن للعلم أن يجيب على هذه الأسئلة الهامة. يقول داروين: إذا نشأ الرجال في نفس ظروف نشأة النحل فإنه من غير شك ستعتقد النساء غير المتزوجات، مثل النحل العامل، بأن قتل إخوتهم الذكور واجب مقدس كما أن الأمهات ستسعى جاهدة لقتل بناتهن

---

(١) Hugh, G., & Gauch, J. (2012). *Scientific method in brief*. UK: Cambridge University Press. page 96.

ذوات القدرة على الإخصاب، ولن يفكر أحد بالتدخل»[١]

وبالتالي؛ فإن العلم يمنحنا وصفًا للعالم الطبيعي من حيث آلية عمله، ولكن لا يمكن للعلم الحكم على شيء بأنه صواب أو خطأ أو جيد أو سيئ. مفيدة هي الطاقة النووية التي تحيي ليل المدن، وتنعش ماكينات المصانع العملاقة لازدهار الشعوب، ولكن نفس الطاقة قد تبيد مئات الآلاف من البشر في لمح البصر إذا امتلكها من لا دين له ولا خلاق. فالتعقيدات العلمية الشديدة التي تعتبر ذروة سنام الحضارة البشرية الحالية لا يمكنها «إدراك» الغاية التي تُستخدم من أجلها، فما بالنا بقدرتها على «تمييز» هذه الغاية إلى خير أو شر؟!

*** العلم لا يقدم أحكامًا فنية أو جمالية:**

يمكن للعلم أن يوضح كيف تنقل العين الألوان إلى المخ، أو كيف تتحول الموجات الصوتية إلى بيانات يمكن قراءتها، ولكن لا يمكنه الحكم على صوت منشد بأنه جميل أو قبيح أو لوحة فنان بأنها تحفة فنية أو خلط هستيري للألوان كما يفعل أطفالنا الصغار. كل شخص منا يمكنه الحكم على هذه الأشياء بناء على معايير الجمال الخاصة به؛ فقد يكون صوت نفس المنشد بالنسبة للبعض جميلًا جدًّا وللبعض الآخر لا يُتحمل. وقد ترى الأم في محاولات صغيرها الأولى للرسم عين الجمال بينما لا ترفع طرفًا لموناليزا دافنشي. إذن، إذا قدمنا لفلاسفة العلم باقة ورد قائلين خبرونا بالله عليكم ماذا تقول المنهجية العلمية في الحكم على أجمل زهرة بين هذه الزهور؟ وحينها سنجد أنهم لا يعرفون جوابًا من العلم، ولا العلم التجريبي يعرف جوابًا كذلك! وتكاد كافة المؤسسات العلمية أن تتفق على أن العلم لا يمكنه شرح أي شيء حول الفنون (الرسم والموسيقى وما إلى ذلك...).

*** العلم لا يخبرنا كيف نستخدم معرفتنا به:**

لا يشير العلم إلى ما ينبغي علينا فعله بالمعرفة العلمية. على سبيل

---

(١) Darwin, C. (1882). *The Descendant of Man and Selection in relation to sex*. New York: Scotland Edition. page 99.

المثال، يمكن للعلم أن يخبرنا كيف نعيد تجميع بعض أجزاء الـ DNA بطرق مختلفة، ولكنه لا يحدد ما إذا كان عليك استخدام هذه المعرفة لتصحيح مرض وراثي أو تطوير تفاحة مقاومة للعطب أو إنتاج جرثومة جديدة. ففي كافة الاكتشافات العلمية الهامة يمكن للمرء أن يتخيل طرقًا سلبية وأخرى إيجابية يمكن من خلالها استغلال هذه الاكتشافات. ولو لم يتم تهذيب الجانب «غير المادي» من البشر، وإرشادهم لما فيه نفعهم العاجل والآجل، لأكلوا بعضهم بالعلم ولذهبت المعرفة العلمية بهم إلى حيث الفناء.

*** العلم لا يستخلص استنتاجات حول الأمور الخارقة للطبيعة ولا يجيب عن الأسئلة المتعلقة بالغيب:**

التفسيرات المتعلقة بالأمور الغيبية أو الخارقة للطبيعة لا تتعلق بداهةً بالإطار الطبيعي، وبالتالي تقبع خارج نطاق ما يمكن دراسته من خلال العلم [التجريبي]. وبالنسبة للعديد من الناس، تتعلق هذه التفسيرات بإيمانهم الشخصي والروحي. والسؤال المطروح الآن: كيف يمكن للمنهجية الفكرية التي تعتمد على الملاحظة أن تنكر ما لا يمكن ملاحظته؟! مثلهم كمثل الرجل الذي ينكر علم الطب لأنه مهندس!

وهنا أيضًا نقطة ينبغي توضيحها وسيظهر أثر إتقان فهمها في سياق البحث؛ وهي أن أنصار التطور الموجه يقعون في هذه الأزمة الاستدلالية عندما يقحمون رؤاهم وأفكارهم الشخصية؛ بل ويقحمون معها نصوصهم الدينية، لتفسير ظاهرة طبيعية مادية بحتة، وهي تنوع الكائنات الحية. فلا هم اتبعوا القواعد العلمية الصارمة، ولا أنصفوا النصوص الدينية الثابتة. بل أنتجوا تصورات هلامية لا تنتمي للتفسيرات العلمية ولا تتفق مع النصوص الدينية.

وهنا نقطة إضافية أهم من سابقتها؛ وهي أن وجود آدم عليه السلام يظل حتى الآن من الأمور الغيبية التي لا يوجد دليل مادي واحد عليها، فلا مجال للعلم التجريبي أن يقول قولته فيه؛ إذ ليس من موضوعه البحث في الغيبيات. فينبغي الفصل والحصر في مداخل المسألة ومخارجها، حتى تتبين أي الكلمتين أسمع فيها؛ كلمة نظريات العلوم أو كلمة الوحي المعصوم.

هذه السمات ليست محل إجماع بين الطبيعيين أو الماديين، وإنما هناك حروبًا شعواء في خلفية كل سمة أو نقطة منها، فمن قصور الملاحظات إلى مشاكل الاستقراء إلى معضلات التمييز بين العلم واللاعلم من الأساس ينتقل فلاسفة العلم الغربيين على غير ذي هدى ويتبعون الظن وإن هم إلا يخرصون. وبعد هذه الرحلة القصيرة لا زلنا بحاجة إلى معرفة ما هو العلم؟! ومهما طالت الرحلة فلن تستوي السفينة أبدًا على أي جوديّ. ففي كتابه التمييز بين العلم واللاعلم يختصر د. محمد السيد رحلة أطول بعض الشيء في نفس الموضوع قائلًا: «بعد ذلك العدد الكبير من المعايير بدءًا من إرهاصات بيكون Bacon لرسم حدود المنهج العلمي ومحاولات هيوم Hume استبعاد الميتافيزيقيا، ومرورًا بمحاولات أوجست كومت Comte وإرنست ماخ Mach ثم الوضعيين المنطقيين وكارل بوبر وانتهاءً بأفكار توماس كون Kuhn وإيمري لاكاتوش Lakatos، فإننا لا نعدم وجود من يطرح أسئلة تبدو للبعض الآخر بديهية تدور حول ماهية العلم وحدوده والفارق بينه وبين اللاعلم، وحتى لا يظن القارئ أن مثل هذه الأسئلة تأتي من نفر من عامة الناس أو حتى من المثقف العادي، فإنني أقول له إن هذه التساؤلات بل وأحيانًا التشكيك يأتي من علماء وفلاسفة لهم مكانتهم وقوة حجتهم. ويكفي أن أشير إلى أسماء أبرز الفلاسفة على الساحة الآن بول فيرابند Feyrabend وتوماس كون وريتشارد رورتي Rorty وكواين Quine وغيرهم من الفلاسفة الذين يعتقدون عدم جدوى أو عدم إمكان التمييز بين العلم واللاعلم»(١)

وخلاصة القول: إنه حتى كتابة هذه السطور لم ينجح العلماء في الاتفاق حول تعريف مميز أو شامل للعلم، ومن شأن ذلك أن يلقي بظلاله حول القضية المتعلقة بالتفريق بين العلم واللاعلم أو العلم الزائف. يضيف الدكتور محمد السيد بعد مناقشة مناهج العلماء المختلفة من أمثال بوبر وبيكون وهيوم

---

(١) محمد أحمد السيد (٢٠١٥)، التمييز بين العلم واللاعلم، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص٣.

وماخ وفيتجنشتين والوضعيين المنطقيين وآير وفيرابند وكون في تحديد معيار التمييز بين العلم والعلم الزائف: «لعل القارئ أدرك الآن مدى صعوبة رسم خط فاصل للتمييز بين العلم واللاعلم. فنحن حين نتأمل موضوع التمييز قد نظن للوهلة الأولى سهولة العثور على حل لهذه المشكلة. إذ يعتقد البعض أنه ما علينا إلا تحديد الخصائص المشتركة للقضايا العلمية ثم نضع هذه الخصائص في قائمة تكون أساسًا لأي معيار للتمييز بين العلم واللاعلم. ولكن لحظة من التأمل العميق ستقودنا إلى أن مثل هذا الحل غير ممكن من الناحية العملية على الأقل لأنه يحتوي على لون من ألوان الدور المنطقي. فلكي نحدد ما يميز القضايا العلمية عن غيرها حتى نضعها في قائمتنا المزعومة، يجب علينا أن نحدد هذه القضايا العلمية أولًا؛ أي: أن نميز بينها وبين غيرها من القضايا اللاعلمية. ولكي نقوم بهذه المهمة يجب أن يكون لدينا معيارًا أو معاييرًا للتمييز، وهو عين ما نبحث عنه!! وهكذا يبدو لنا أنه أيا ما كان معيار التمييز الذي نطمح في صياغته وأيا كانت سمات وخصائص القضايا التي نختارها ضمن قضايا العلم، فإننا لا نستطيع صياغة معيارنا في صورة كيفية. ومن هنا، فمن المستحيل، من الناحية المنطقية على الأقل، الإجابة عن سؤال: ما هو العلم؟»[1]

٢,٢ تعريف وخصائص ونطاق الوحي:

يتميز مفهوم الوحي عن مفهوم العلم بأنه أكثر اتساقًا لدى من يؤمنون به، حيث يتفقون بشكل عام على حقيقته ومدلولاته بغض النظر عن اختلافهم في الدين. فبالنسبة لغالبية المؤمنين بالله والوحي، يشير الإطار العام للوحي أنه كلام الله المنزل على الرسل. إلا أن الاختلاف يمكن أن ينشأ في طريقة الوحي أو سماته.

---

(١) محمد أحمد السيد (٢٠١٥)، التمييز بين العلم واللاعلم، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص١٩٩ - ٢٠٠.

٢,٢,١ تعريف الوحي:

أ ـ المراجع العربية:

كلمة الوحي تعني في اللغة ثلاث معان: الإعلام السريع الخفي. يقول ابن منظور: «الوحي: الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك[١]. ونقل أيضًا عن الكسائي قوله: «وحيت إليه بالكلام أحي به وأوحيته إليه، وهو أن تكلمه بكلام تخفيه من غيره»[٢] قال الأزهري: وأصل الوحي في اللغة كلها إعلام في خفاء، ولذلك صار الإلهام يسمى وحيًا. قلت: وكذلك الإشارة والإيماء يسمى وحيا، والكتابة تسمى وحيا»[٣] أيضًا لخص عادل زاير المعاني الأكثر شيوعًا للفظ الوحي في العربية والتي تشمل: التنبيه والإشارة والكتابة والسرعة والصوت والإعلام الشديد السريع[٤]...

ومن الجدير بالذكر هنا أن المعنى اللغوي للوحي «لا ينحصر في الوحي الذي ينزل على الرسل أو لا ينحصر في كونه من الله»[٥] حيث إن الوحي بمعناه اللغوي يتناول:

١ ـ الإلهام الفطري للإنسان كالوحي لأم موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧].

٢ ـ الإلهام الغريزي للحيوان كالوحي إلى النحل. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [النحل: ٦٨].

٣ ـ الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء، كإيحاء زكريا عليه السلام

---

(١) محمد ابن منظور، لسان العرب، الطبعة الثالثة، بيروت: دار صادر، مجلد ١٥، ص٣٧٩.

(٢) نفس المصدر، ص٣٨٠.

(٣) الأزهري (١٩٦٤)، تهذيب اللغة، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد ٥، ص٢٩٦.

(٤) عادل زاير (١٩٩٧)، معجم ألفاظ العلم والمعرفة في اللغة العربية، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، ص٢١.

(٥) مجموعة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء القرآن والسُّنَّة، المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ص١٢٣.

لقومه. قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ [مريم: ١١].

٤ ـ وسوسة الشيطان وتزيين الشر في نفوس أوليائه. قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

٥ ـ ما يلقيه الله تعالى إلى ملائكته من أمره ليفعلوه. قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال: ١٢][١]

وأما تعريف الوحي في الاصطلاح فإنه يشير إلى المعاني التالية:

«إعلام الله أنبياءه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو غير واسطة»[٢]

ويقال أيضًا: الوحي هو الصلة بين الله تعالى وبين رسله وأنبيائه كي يوصل الله تعالى إليهم ما يريد إيصاله من علم وحكم وأمر ونهي وإرشاد وغير ذلك[٣]

وهناك تعريفات أخرى مقاربة للوحي كتعريف الزهري الذي نقله شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى[٤] وابن حجر في فتح الباري[٥]

ب ـ المصادر الإنجليزية:

التعريفات الموجودة في المعاجم الإنجليزية للوحي تشير، إلى حد ما، إلى نفس الدلالات السابقة. فبنظرة سريعة في المعاجم المختلفة يتضح التطابق اللغوي لدلالات مصطلح الوحي بين الأدبيات العربية والأدبيات الإنجليزية؛ بل هناك تقارب اصطلاحي أيضًا. على سبيل المثال:

---

(١) نفس المصدر، ص١٢٣.

(٢) نفس المصدر، ص١٢٤.

(٣) حسن محمد أيوب (١٩٨٣)، تبسيط العقائد الإسلامية، الطبعة الخامسة، بيروت: دار الندوة الجديدة، ص١٧١.

(٤) ابن تيمية (١٩٩٥)، مجموع الفتاوى، المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٢/٣٩٧.

(٥) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، المملكة العربية السعودية: مكتبة الرياض الحديثة ١/٩.

- هو الإخبار والإعلام بالحقائق الإلٰهية. أو هو شيء أوحاه الله إلى البشر[١]

- حقيقة مدهشة لم تكن معلومة قبل ذلك، وخاصة تلك التي تُعلم بطريقة مفاجئة[٢]

- البيان الإلٰهي أو غير الطبيعي للبشر فيما يتعلق بوجودهم أو وجود العالم[٣]

- فكرة أو فكر مفاجئ[٤]

وبعد هذه التعريفات التقديمية لمصطلح الوحي من المصادر العربية والإنجليزية يتضح أنه من السهولة بناء مفهوم متسق عن الوحي. الوحي هو نوع اتصال بين الله والرسل الذين اصطفاهم لتبليغ الحقيقة للناس. وهذا النوع من الاتصال يتضمن المعرفة بمصدره والصفات والسمات المحددة للرسل الذين اصطفاهم ثم الهداية التي تشمل الرسول وأتباعه[٥]

ومن الجدير بالذكر هنا أن غالب المصادر المتعلقة بالكتاب المقدس (لدى اليهود والنصارى) لا تفرق بين الوحي والإلهام من ناحية أنهما جميعًا كلام الله. وبالتالي اعتقدوا أن الأناجيل الأربعة مرقص ومتى ولوقا ويوحنا الملهمة من قبل رسل غير معروفين على أنها كلمة الله؛ بل الكتب والرسائل الملحقة بهذه الأناجيل أيضًا كذلك. وعلى العكس من ذلك، تفرق المصادر الإسلامية تفريقًا دقيقًا بين الوحي والإلهام؛ بل بين وحي القرآن، كلام الله، وغيره من أنواع الوحي الأخرى التي يمكن أن توحى إلى النبي محمد ﷺ نفسه. وسيلقي البحث الضوء على الاختلاف بين قصتي آدم عليه السلام في الكتاب المقدس والقرآن في الفصل الخامس إن شاء الله.

---

(١) قاموس ميريام وبيبستر عبر الإنترنت.

(٢) قاموس أكسفورد عبر الإنترنت.

(٣) نفس المصدر.

(٤) قاموس أمريكان هيريتيدج عبر الإنترنت.

(٥) يمكن الرجوع إلى التعريفات المختلفة للوحي في: محمد سيد المسير (١٩٨٧)، الرسول والوحي، الطبعة الأولى، بيروت: دار ابن كثير، ص٢٣٧.

٢,٢,٢ ضرورة الوحي:

إن الاختلاف مع كثير من المشركين لم يكن حول «من هو الخالق؟»؛ بل حول ضرورة اتباع رسله، واتخاذ وحيه مصدرًا للعلم ومنهاجًا للحياة، من خلال الإيمان بالرسل وبهداية الوحي. وقد هدم الله بنيان الاعتقاد الشركي لهذا الأمر في خطوتين في القرآن. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [يونس: ٣٤].

غالب المؤمنين بإلٰه أو آلهة يعتقدون بخالق واحد للكون له القدرة المطلقة. إلا أنهم بالرغم من إيمانهم بأنه الخالق الواحد لا يعتدون بالوحي كالمصدر الأساسي للهداية (إلى حقائق الغيب). وفي الخطوة التالية قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يونس: ٣٥].

وهنا يتضح أن بعض المؤمنين الموحدين يؤمنون بالوحي على أنه المصدر الأساسي لمعرفة حقائق الإيمان والغيب، بينما يعتقد المشركون في مصادر أخرى مثل الأصنام والنجوم والأموات والجن وما إلى ذلك إلى جانب الوحي، أو حتى دون الإيمان بالوحي مطلقًا. والحجة ضد المشركين هنا كالآتي:

- الله هو مصدر المعرفة.
- الله أنزل المعرفة إلى البشر من خلال الوحي لهداية الناس.
- الآلهة الأخرى كالأموات أو النجوم مصدر من مصادر المعرفة [كما يزعمون].
- الآلهة الباطلة الأخرى لم يتواصلوا مع البشر لنقل المعرفة إليهم.

والسؤال هنا هو: من الذي يستحق الاتباع؟ وتستمر المحاجة لتقرير حقيقة أن: النجوم والأموات وغيرها ليست مصدرًا للمعرفة في واقع الأمر.

قال ابن تيمية: «لولا الرسالةُ لم يهتدِ العقلُ إلى تفاصيل النافع والضار

في المعاش والمعاد»[١]

فالحاجة للوحي والنبوة في كونها طورًا فوق طور العقل لا بُدَّ منها لتلقِّي العلم من المصدر (الخالق)؛ لفهم الغيب والجانب الروحاني في الإنسان، وتلبية حاجات هذا الجانب. ولذلك أُنزِل الوحي لتوضيح الحقائق والتفاصيل المتعلقة بالغيب، والتي لا طاقة للعقل في الوصول إليها. مثل التفاصيل المتعلقة بصفات الإله من ناحية، والأسس الإلٰهية للأخلاق والعبادات من ناحية أخرى وهكذا.

٢,٢,٣ سمات الوحي:

١ ـ **الوحي فرقان بين الحق والباطل**: أحد أهم سمات الوحي تتعلق بالفصل بين الرؤى المختلفة حول القضايا والأسئلة الوجودية، وتبيين تفاصيل الإيمان والتشريع. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل: ٦٤].

٢ ـ **ربانية المصدر**: فالعلم الموحى به محفوظ من التحريف والتبديل. طريقه مأمون حتى يصل إلى الناس. وهم على يقينٍ أنه من المصدر كما أُنزِل، فقد تكفَّل الله ـ تعالى ـ بعصمة رسله، والنص الموحى مقدَّس، وعلى أعلى درجات اليقين. وهذه هي الطريقة الوحيدة للوصول إلى تصور صحيح عن الله ودينه. إلا أن البشر، بعد نزول الوحي، قد يحرفوه عن مواضعه أو بعضًا منه حسب تصورهم أو فهمهم المغلوط له. وبغض النظر عن ذلك فإن الوحي مصدره إلهي ولم يأت به الأنبياء من عند أنفسهم. قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾ [الأحقاف: ٩].

٣ ـ **النطاق الغيبي**: هناك جوانبُ لا يدركها العقل، ولا تَصِل لها الحواسُّ، ويختصُّ بنقلها الوحي؛ كالذات الإلٰهية وأسمائها وصفاتها وأفعالها

---

(١) ابن تيمية (١٩٩٥). مجموع الفتاوى. المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٩/ ١٥٥.

وتفاصيل اليوم الآخر والأمور المتعلقة بذلك. وقد أنزل الوحي لهداية الناس إلى الاعتقاد الصحيح في حقائق الغيب، ولا يمكن الوصول إلى هذا الاعتقاد الصحيح إلا من خلال الوحي. قال الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

٤ ـ **الإحاطة الشاملة بالحقائق الضرورية**: المعرفة المستمدة من الوحي تشمل الحقائق الضرورية والأساسية حول الربوبية والألوهية والكون والوجود والقيم الإنسانية. إلا أن الاختلاف يقع في فهم المصدر ومدى الاعتماد عليه في سبيل الوصول إلى هذه الحقائق.

٥ ـ **المرونة والثبات**: العلم المتلقَّى من الوحي صادرٌ عن الله ـ تعالى ـ في أصله؛ لذلك هو منزَّه عن الأهواء، والتأثُّر بالعوارض، والتَّغيُّر على حسب الأحوال، فنزوله كان عن علم محيط بالزمان والمكان، لكلِّ الظروف والوقائع. فكانت جل أحكامه ثابتةً، وما أنزل على قوم هو صالح لهم في كل عصورهم، وما أرسل للناس كافَّة هو لكلِّ الأقوام والأمم والأفراد أينما وُجِدوا وحيثما كانوا، فأصوله ثابتة تُسايِر المتغيِّرات.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل: ٣٦].

٦ ـ **العملية والإيجابية**: الوحي يزوِّد الإنسان بمعرفة موضوعية حول حقائق الوجود. بل الإيمان والمعرفة والتعقُّل وكل وسائل الإدراك كان ذمها في القرآن حال تعطيلها عن أداء العمل الذي تم إبلاغه بالعلم. قال ـ تعالى ـ عمَّن تركوا العمل بما علموا: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك: ١٠، ١١].

٧ ـ **رسل مصطفَون**: فالوحي علمٌ لآحاد الناس ممن اصطفاهم الله ـ تعالى ـ وعصمهم وهيَّأهم لحمل الرسالة، وليست للعامَّة. ولا أحد له القدرة أن يكتسب الوحي، أو يصل إليه بعقله وقواه الإدراكية، مهما علا في العلوم، ومارس من رياضات قلبية. وذلك لأن الوحي فوق مستوى البشرية. ولكن

الرسل عليهم إيصال الوحي إلى جميع الناس في ضوء ما أنزله الله عليهم من الهداية.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

٢,٢,٤ نطاق الوحي:

في ضوء ما سبق يمكن للملاحظ أن يستنتج أن نطاق الوحي أعم من أي نطاق علمي محدد. فهو يتناول القضايا الكلية والكبرى التي تتعلق بالإنسان والغاية من وجوده وواجباته وحقوقه وهدايته إلى السعادة والسلام من خلال علاقته بخالقه وبنفسه وبمن حوله.

وبشكل عام فإن نطاق المعارف التي يختص الوحي بالدلالة عليها ينحصر في:

- القضايا الغيبية المطلقة والتي لا يمكن لحواس البشر الوصول إليها.
- التشريع، سواء فيما يتعلق بالعبادات أو المعاملات المباحة والمحرمة.

يقول دكتور عبد الله القرني: «الاستدلال العقلي وإن دل على بعض الحقائق الغيبية؛ كوجود الله تعالى ولزوم اتصافه بصفات الكمال والدلالة على المعاد ونحو ذلك، إلا أنه لا يشمل جميع الحقائق الغيبية اللازمة للاعتقاد. ويدخل في عموم ذلك كثير من أسماء الله وصفاته، وتفاصيل اليوم الآخر والحساب والجزاء، وما يتعلق بمبدأ الخلق ونهايته، والكتب والرسل والملائكة والجن، وتفاصيل أمور كثيرة لا يمكن أن تعلم إلا من طريق الوحي. ثم إن مما يختص به الوحي بحيث لا يمكن أن يستقل به العقل التشريع للعباد، سواء ما يتعلق بتشريع العبادات أو ما يتعلق بالتشريع في معاملات الناس ومصالحهم. ولذلك فقد امتن الله على عباده بالوحي؛ لأن الناس بأنفسهم لا يمكن أن يصلوا إلى تلك الحقائق التي يختص بها الوحي»[١]

---

(١) عبد الله القرني (٢٠١٣)، المعرفة في الإسلام، مصادرها ومجالاتها، الطبعة الثالثة، المملكة العربية السعودية: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ص١٥٢ ـ ١٥٣.

وجود التعارض بين العلم [التجريبي] والوحي:

بادئ ذي بدء، ومن خلال فهمنا للنقاط السابقة نستطيع أن نقول بكل وضوح: لا يرقى العلم التجريبي لأن يكون ندًا للوحي حتى نحكم بأنه يوافقه أو يعارضه! فالعلم مبني على الملاحظات المحدودة جدًّا والتي بنيت عليها افتراضات ضعيفة أو قوية يمكن أن تتغير من وقت لآخر؛ بل غالب النظريات العلمية اعتراها التغيير على مر السنين حتى تلك التي ظن العلماء أنها «حقائق علمية». وهذا يقودنا إلى أحد أهم مشكلات المنهجية العلمية الضيقة وهي مشكلة الاستقراء، ويضربون لذلك مثالًا شهيرًا وهو أنك إذا رأيت ١٠٠٠ بجعة بيضاء، فإنك ستتنبأ بأن البجعة التي تراها في المرة القادمة ستكون بيضاء أيضًا، أو أن البجع كله لونه أبيض. وتنبؤك هذا منطقيّ وقد يصدف فعلًا أن ترى البجعة رقم ١٠٠١ بيضاء أيضًا. بل لك أن تزيد العدد إلى مائة ألف وأن يقوم بذلك ألف «ملاحظ» غيرك. فبمجرد أن ترى بجعة واحدة فقط سوداء ستنهار كل هذه المشاهدات التي تبلغ مئات الآلاف بل الملايين أمام مشاهدة واحدة فقط تحيل الاستنتاج بأن البجع كله أبيض قولًا يخالف الحقيقة. هذه المعضلة توضح ما ذكرناه سابقًا واعترضنا به على المؤمنين بالعلم كمصدر وحيد للحقائق: ما دام أنكم تعتمدون على الملاحظات وما يمكن رصده، لماذا تنكرون ما لا يمكن ملاحظته؟ ونضيف هنا: ولماذا تجزمون بأن ملاحظاتكم حقائق ثابته راسخة لا يمكن أن تتغير؟!

والأهم من هذه النقطة هي مصدر الأفكار والنظريات العلمية ومصدر الوحي. فالعلم مصدره «ملاحظات» الإنسان، والإنسان ـ بتحيزه الثابت عبر التاريخ القديم والحديث ـ يصيغ أفكار العلم ونظرياته بناء على مشاهداته ـ وفي كثير من الأحيان اعتقاداته ـ. ولا يزال العلماء التجريبيين حتى الساعة يبطلون ملاحظات بعضهم البعض، ويهدمون نظريات وافتراضات بعضهم البعض. بينما نجد على الجهة الأخرى أن الوحي مصدره الإلٰه الذي خلق الكون ويعلم كل ذرة فيها، وأن طريق نقله معصوم من دخول التحيزات أو الأهواء، سواء من قبل الملائكة أو من قبل الأنبياء. وأن الحقائق التي يتناولها

والهداية التي يتضمنها شاملة عامة لكل زمان ومكان لا تتغير بتغير هذا أو ذاك.

وكما أصل شيخ الإسلام قاعدة درء تعارض العقل والنقل في كتابه الممتع الموسوم بنفس الاسم، فإنه ينبغي التنبيه على نفس القاعدة فيما يتعلق بالعلم. فلا تعارض بحال من الأحوال بين صحيح العلم التجريبي وثابته - في المنظور الصحيح له، وإلا فلا يوجد ثابت في منظور العلمويين - وبين صحيح الوحي ثبوتًا ودلالةً، والتعارض قد ينشأ بين العلم الزائف أو الخطأ وبين الوحي قطعي الثبوت والدلالة، أو بين صحيح العلم والوحي ظني الثبوت أو الدلالة أو الوحي الذي تم تحريفه من قبل البشر مثل ما يعرف بالعهد القديم والعهد الجديد الحاليين.

وعلى ذلك، فلا وجه لمقارنة العلم بالوحي، وإن تنزلنا بالمقارنة فلا وجه للتعارض بحال من الأحوال إن ثبت هذا وذاك دلالة وسندًا. وفي ضوء ذلك نستطيع أن نقول إن من العلم التجريبي ما هو حقيقة لا تتغير بتقدم العلوم ثبتت ثبوتًا قطعيًّا دالةً دلالة قطعية على شيء معين، ومثل هذا النوع من الحقائق العلمية لا يوجد بينه وبين الوحي قطعي الثبوت والدلالة تعارض، ولا يُتصور أن يوجد تعارض حتى مع تقدم العلوم وتطورها؛ لأن الذي خلق العالم بما فيه وأودع فيه الحقائق كلها هو نفسه الذي أنزل الوحي المعصوم وقال ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾. وينشأ التعارض فيما دون ذلك كأن يكون العلم ظنيًّا (فرضية أو نظرية أو مجرد تفسير) أو يكون الوحي ظنيًّا (من حيث الثبوت أو من حيث الدلالة أو كليهما معًا) أو يكون كلا من العلم والوحي ظنيين. والتعارض في هذه الحالة لا يكون تعارضًا حقيقيًّا، وإنما هو تعارض ظاهري وليس جوهري بين حقائق العلم والوحي.

من هنا ندرك حجم مأساة الذين يسارعون لتحوير معاني نصوص الوحي لتتوافق مع نظريات علمية قويت أو ضعفت ظنًا منهم أنهم بذلك يمسكون

العصا من المنتصف، ويحمون الشباب من التشكك في الدين. وكان الأولى بهم أن يتعلموا ويعلموا الشباب مكانة العلم ومكانة الوحي وأيهما السيد وأيهما التابع.

٢,٣ النظريات المتعلقة بأصل الحياة أو الإنسان بين العلم والوحي:

تحتل قضية بدء الحياة أو الوجود مكانة مركزية عند الفلاسفة والعلماء وحتى عوام الناس منذ فجر التاريخ وحتى يومنا هذا. فهي قضية إنسانية عالمية لا يكاد يخلوا منها تراث أي أمة من الأمم. والغرض من الدراسة مناقشة كبرى النظريات التي تناولت قضية أصل الحياة أو أصل الإنسان وكذلك ما تضمنه الوحي الإلٰهي حول نفس القضية. وبالرغم من أن هذه القضية من القضايا الدينية ـ العلمية التي حاول رجال العلم والدين تقديم إجابات مقنعة حولها، لكن يظهر التعارض الواضح بين منهجية كل فريق ونتائجه. يقول السير آرثر كيث: «يملك رجال العلم والدين نفس الأهداف السامية؛ حيث يريدون فهم وشرح الكون الذين هم جزء منه. فهم يرغبون بجدية في حل هذا اللغز العظيم إذا كان ثمة هناك حل ممكن: لماذا نحن هنا؟»[١] ومع ذلك فإن الخلط بين نطاقي العلم والدين في تلقي المعارف يحدث نوعًا من الخلل في محاولات حل هذه القضية لدى الكثير من المفكرين. فإما أنهم يعتبرون الدين عدوًا أو يعتبرون العلم عدوًا، بخلاف العديد من العلماء البارزين أمثال أينشتين الذي قال: «جميع الأديان والفنون والعلوم يعتبرون فروعًا لشجرة واحدة. فكل هذه الفروع تعتبر تطلعات هدفها تعزيز قيمة حياة الإنسان، ورفعها من نطاق الوجود المادي المجرد، وقيادة الإنسان نحو الحرية»[٢]

فيما يلي أهم أربعة توجهات فكرية زعمت الجمع بين العلم والدين أو الركون إلى أحدهما في مسألة أصل الوجود/ الإنسان.

---

(١) Sir Keith, A. (1927). *Concerning Man's Origin*. viii.

(٢) Einstein, A. (1937, 1995). *'Moral Decay', Out of My Later Years*. P. 9.

٢,٣,١ التطور وعلاقته بالعلم والدين:

لكلمة التطور معان متعددة ومختلفة، كما أن نطاق التطور يمكن تطبيقه على العديد من الأنشطة الإنسانية المختلفة[١] إلا أن التطور في سياق هذا البحث يشير إلى نظرية التطور البيولوجي المنسوبة إلى داروين لتفسير أصل وآلية وجود الكائنات الحية وتنوعها. وبغض النظر عن ذلك، فهناك العديد من التعريفات والتصنيفات المتعلقة بالتطور البيولوجي أيضًا، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

«النظرية العلمية التي تفسر التغير التدريجي للنباتات والحيوانات على مدار فترات طويلة من الزمن من خلال عملية الانتخاب الطبيعي لتصبح أكثر تكيُّفًا مع بيئتها»[٢]

«التغير في التركيب الجيني لمجموعة من الأحياء خلال أجيال متعاقبة، والذي يسفر عنه ظهور نوع جديد في الغالب. وتشمل آليات التطور الانتخاب الطبيعي الذي يعمل على التغيير الجيني لدى الأفراد وكذلك الطفرات والهجرة والانجراف الوراثي»[٣]

وذكر قاموس أكسفورد أصل مصطلح (التطور) على أنه: «في بدايات القرن السابع عشر ظهر المصطلح من الأصل اللاتيني «evolvere» والذي يعني: «التمدد أو الانتشار» وقد تمحورت المعاني الأولية للمصطلح حول الحركة، وتم صياغته لأول مرة في وصف مناورة «العجلة» عند تشكيل القوات أو السفن. وتدور المعاني الحالية حول أصل «التفتح» مما ساعد في إبراز معنى «التطور». وعرف القاموس الكلمة على أنها: «العملية التي يُعتقد أنه من خلالها تطورت وتنوعت الأنواع المختلفة للكائنات الحية من أنواع سابقة خلال تاريخ الأرض»[٤]

---

(١) Hall, B., & Hallgrimsson, B. (2008). *Strickberger's Evolution* (Fourth Edition ed.). Jones and Bartlett, LLC. P. 4.

(٢) قاموس ماكميلان عبر الإنترنت.

(٣) قاموس أمريكان هيريتيدج عبر الإنترنت.

(٤) قاموس أكسفورد عبر الإنترنت.

«الانحدار من أنواع سابقة مع التعديل: تغيير تراكمي موروث في مجموعة من الكائنات الحية خلال فترة من الزمن ينتج عنه ظهور أشكال جديدة: العملية التي يتم من خلالها تطور أنواع جديدة من الكائنات الحية من أسلاف سابقة خلال الأجيال المتعاقبة»(١)

وفي ضوء التعريفات السابقة، فإن المنظور التطوري لأصل الكائنات الحية ينحي جانبًا فعل «الخلق» أو «تدخل الإله» في عملية ظهور أو إيجاد الكائنات الحية بشكل عام بما في ذلك الإنسان. وبالتالي؛ فإن العلاقة العدائية بين التطوريين [باستثناء أنصار التطور الموجه] وبين الدين تبدو واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار. على سبيل المثال يصرح دوكنز قائلًا: «أنا أعادي، بحكم كوني عالمًا، الدين الأرثوذكسي؛ لأنه يفسد الطموح العلمي. فالدين يعلمنا كيف نكون منغلقين على أنفسنا وغير راغبين في معرفة أشياء رائعة يمكن أن نصل إلى معرفتها. إنه يدمر العلم ويقوض الفكر»(٢) وعلى جانب آخر يدعي التطوريون أن العلم يقف في صفهم وحدهم، وكافة الافتراضات الأخرى المتعلقة بالقضية لا يمكن إلصاقها بالعلم ولا الطريقة العلمية من قريب أو بعيد. يقول بيل ني Bill Nye: العلم هو مفتاح المستقبل، وإذا لم تؤمن بالعلم فإنك تجر الجميع إلى الخلف. قد يكون من الممكن أن تتسكع هنا وهناك تدعي أنك لا تؤمن بالتطور، ولكننا إذا علمنا جيلًا من الناس الذين لا يؤمنون بالعلم فإننا نمهد لكارثة... فالفكرة الرئيسة في علم الأحياء هي التطور. فعدم تعليمها لشبابنا خطأ»(٣). وبالإضافة إلى ذلك يدّعون أن التطور ليس نظرية علمية، وإنما هو حقيقة علمية. على سبيل المثال يقول السير هكسلي: «التطور هو الفكرة الأقوى والأشمل على وجه الأرض على الإطلاق»(٤) وسيأتي مزيد بيان لهذه النقطة في الفصل القادم إن شاء الله.

---

(١) قاموس ميريام ويبيستر عبر الإنترنت.

(٢) Dawkins. (2006). *The God Delusion*. Bantam Press. P. 284.

(٣) Fecht, S. (2011, February 4). Science Guy Bill Nye Explains Why Evolution Belongs in Science Education. *Popular Mechanics*.

(٤) Sir Huxley, J. (1964). *'Education and Humanism', in Essays of a Humanist*. P. 125.

٢,٣,٢ التطور الموجه وعلاقته بالعلم والدين:

يظهر من مصطلح «التطور الموجه» أنه يحاول الجمع بين منظوري «الدين» و«التطور» فيما يتعلق بأصل الحياة. تعرف إيوجين س. سكوت التطور الموجه قائلة: «هو منظور عقدي يقوم الإلٰه فيه بالخلق من خلال قوانين الطبيعة. ويقبل أنصار التطور الموجه كافة نتائج العلم الحديث في علوم الإنسان والأحياء وكذلك الفضاء والفيزياء والجيولوجيا. وعلى وجه الخصوص فإنه من المقبول لدى أنصار التطور الموجه أن ينشأ نوع من أنواع الكائنات الحية من نوع آخر، فهم يقبلون الانحدار والارتقاء مع التعديل، ومع ذلك فإنهم يختلفون فيما بينهم في الحد الذي يجوز للإله أن يتدخل فيه في عملية الخلق؛ فبعضهم يؤمن بأن الإلٰه خلق قوانين الطبيعة ثم لم يتدخل بعدها أبدًا. ويرى آخرون بأن الإلٰه يتدخل في المراحل الحرجة من تاريخ الحياة (وخاصة في المرحلة التي ظهر فيها الإنسان»)[١]

وهناك تعريف آخر ذكر في دراسة نامبرز: «التطور الإلٰهي أو الموجه أو الخلقوية التطورية جميعها رؤى واحدة تتبنى إمكانية التوفيق بين المعتقدات الدينية حول الإلٰه ورؤى العلم الحديث حول التطور البيولوجي. والتطور الموجه ليس نظرية علمية؛ بل خليط من الآراء حول ترابط التطور مع المعتقدات الدينية مقابل رؤى الخلق الخاص... وعادة ما يوفق مؤيدوا التطور الموجه بين الفكر التطوري وبين الإيمان بإله، وينفون التعارض بين العلم والدين، فهم يعتقدون بأن التعاليم الدينية حول الخلق لا تتناقض مع النظريات العلمية حول التطور»[٢]

وبالتالي؛ فإن العلاقة بين التطور الموجه من ناحية وبين الدين أو العلم من ناحية أخرى يفترض أن تكون جيدة. ولكن على العكس، فالمجتمع

---

(١) Scott, E. C. (2009). *Evolution Vs. Creationism; An Introduction* (Second Edition ed.). UK: GREENWOOD Press. page 70.

(٢) Numbers, R. (2006). *The Creationists: From Scientific Creationism to Intelligent Design* (Expanded Edition ed.). Harvard University Press. pages 34 - 38.

العلمي لا يراها نظرية علمية، والمجتمع الديني - في زيه المحافظ - يراها - في زيها التطوري - متعارضة مع نصوص الكتب المقدسة. وبغض النظر عن ذلك فإن العديد من أنصار التطور الموجه يحاولون حل التعارض بين المنظور العلمي للتطور والمنظور الديني للخلق. على سبيل المثال: يقول تيودوسياس دوبزانسكي: «هل تعارض العقيدة التطورية الإيمان الديني؟ لا، لا تعارض. إنه لخطأ فادح أن يتم تخطئة النصوص المقدسة من أجل كتب بسيطة في علوم الفلك والجيولوجيا والبيولوجيا والإنسان. هناك حالة واحدة فقط يمكن أن يظهر فيها التعارض الجوهري وهي إن تم تفسير «الرموز» على غير الوجه المراد منها. وهذا الخطأ الفادح يؤدي إلى الاستنتاج الكفري: الخالق متهم بالخداع المنهجي»(١)

وسيأتي أيضًا مزيد بيان لهذه النقطة في الفصل القادم إن شاء الله.

٢,٣,٣ الخلقوية وعلاقتها بالعلم والدين:

ماذا يعني مصطلح «الخلقوية»؟

هناك العديد من التعريفات المعجمية والاصطلاحية للخلقوية، مثل:

«الإيمان بأن الكون مخلوق كما وصف البايبل (العهد القديم) تمامًا»(٢)

«هي عقيدة أو نظرية تؤمن بأن المادة وأنواع الحياة المختلفة والعالم خلق بواسطة الإله من لا شيء، وعادة ما يكون ذلك بالصورة الموصوفة في سفر التكوين»(٣)

«الإيمان بأن الكون والكائنات الحية نشأت من أفعال مخصوصة للخلق الإلٰهي كما ورد في البايبل بدلًا من العمليات الطبيعية مثل التطور»(٤)

الإيمان بوجود مصدر غير مادي للكون أو للبشر والكائنات الحية

---

(١) Dobzhansky, T. (march 1973). 'Nothing in Biology Makes Sense Except in the Light of Evolution' *The American Biology Teacher*, 125-129. Retrieved May 8, 2017.

(٢) قاموس ماكميلان عبر الإنترنت.

(٣) قاموس ميريام ويبيستر عبر الإنترنت.

(٤) قاموس أكسفورد عبر الإنترنت.

الأخرى، ويعتمد ذلك بصورة أساسية على التفسير الحرفي لما ورد عن الخلق في البايبل.

وقد عرف الخلقويون أنفسهم عبر بيانهم الصحفي قائلين: ﴿هناك نوعين من «الخلقوية» عادة ما يتم الخلط بينهما وهما «الخلقوية الدينية» و«الخلقوية العلمية».

الخلقوية البايبلية: تستخدم نصوص البايبل للدفاع عن نظرية الخلق. وتشمل النصوص الرئيسة: سفر التكوين، الإصحاحات من ١ إلى ١٢ ـ من أيام الخلق الست إلى الفيضان الأعظم (١٧٠٠ عام) ـ، ثم إلى برج بابل وتفرق الأمم. سفر الخروج، الإصحاح ٢٠ فقرة ١١ (في وسط الوصايا العشر، توضح هذه الفقرة: «خلق الرب السماوات والأرض والبحار وجميع ما فيهما في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع...». وأيضًا إنجيل لوقا، الإصحاح ١٧: الفقرات من ٢٦ إلى ٢٧ (أو ماثيو. الإصحاح ٢٤ الفقرات من ٣٧ إلى ٣٩) «وكما كان أيام نوح، فإنه سيكون أيضًا في أيام ابن الإنسان. كانوا يأكلون ويشربون ويتزوجون وينجبون حتى جاء اليوم الذي ركب فيه نوح السفينة وجاء الفيضان فدمرهم جميعًا». (هذه الجملة التي قالها المسيح توضح أن الفيضان الأعظم كان حدثًا تاريخيًّا حقيقيًّا كأحد العقوبات الإلٰهية على بني آدم). وفي الرسالة الأولى إلى أهل كورينثوس، الإصحاح ١٥ الفقرة ٤٥ نجد المقارنة بين آدم (كشخص حقيقي) والمسيح كـ(آدم الأخير).

الخلقوية العلمية: نعم، نحن نستخدم العلم في أغلب الأحيان ـ باستقلالية تامة عن أي مرجع للكتاب المقدس ـ للتأكيد على أن «علم الخلق» نظرية علمية معقولة. العديد من الناس يضحكون على هذا الرأي بمجرد سماعه، ولكن لتعلموا أن الخلقويين عادة ما يفحمون التطوريين في المناظرات. نحن الذين يقف العلم في صفنا.

غالبية العلماء الطبيعيين، مثل غالبية البشر، مذنبون لا يريدون التوبة. ولذلك فهم لا يريدون الوقوف بين يدي الرب. وغالبًا ما يخفي البشر الحكم بدلًا من مواجهته. (ويوفر التطور مكانًا عظيمًا للاختفاء). يستطيع الخلقويون

أن يُظهِروا خداع واحتيال التطور مرة بعد أخرى، إلا أن المعركة ستظل مستعرة للوصول إلى حقيقة أصل البشر الحقيقي (المتميز عن الحيوانات) «في صورة الإله» ومسؤوليتهم عن الذنوب﴾[1]. انتهى كلامهم.

وفي ضوء المقدمة المذكورة، وبغض النظر عن التعريفات الأخرى التي صيغت من قبل مخالفيهم، يدعي أنصار الخلقوية التزامهم بالتفسير الحرفي لسفر التكوين وأيضًا بالمنهجية العلمية! وبالتالي؛ ووفقًا للخلقويين، سواء كانوا من أنصار النظرية الحديثة أو النظرية القديمة للأرض أو التدرجيين (Young Earth, Old Earth and Progressive Creationists، فإن هناك علاقة قوية بين النصوص المقدسة عندهم وبين الحقائق العلمية. ومع ذلك، فإن أساس معتقداتهم يرجع إلى الإيمان بنصوص كتابهم المقدس حتى وإن عارضت الحقائق العلمية.

وهذا التعريف الذي أطلقوه على أنفسهم قد يجعل البعض يضحك بالفعل إذا سمع أن علم الخلق نظرية «علمية» مقبولة، ثم يستهجن محاولتهم السمجة لتجييش العلم في غير معسكره. ومن الجدير بالذكر أن هناك بونًا شاسعًا بين معنى المصطلح في الأدبيات الغربية ومعناه في الأدبيات الإسلامية. ففي حين تتمسك حركة الخلقويين في الغرب بالتفسير الحرفي لسفر التكوين كحقيقة مطلقة، فإن المسلمين الذين يؤمنون بخلق (وليس تطور) آدم يتمسكون باعتقاد تحريف سفر التكوين في العديد من الجوانب، بما في ذلك التناقض الظاهر بين المعنى الحرفي لسفر التكوين والحقائق العلمية الراسخة. إلا أنه يمكن تسمية العلماء والباحثين الذين يؤمنون بخلق آدم بـ«الخلقويون» من باب أنهم يؤمنون بخلق آدم لا تطوره من أسلاف سابقة حسب المصادر الإسلامية الموثوقة، مع التأكيد الشديد على اختلافهم الشديد عن الخلقويين في الغرب.

٢,٣,٤ التصميم الذكي وعلاقته بالعلم والدين:

يُعد توجه التصميم الذكي من أكثر القضايا جدليةً على الساحة في هذه

---

(١) Http://www.creationism.org/topbar/pressrelease_en.htm

الأيام. بينما يتمسك الخلقويون بنصوص البايبل، ويتمسك التطوريون بالمنهج العلمي التجريبي، ويحاول أنصار التطور الموجه الجمع بين هذين القطبين المتباعدين، يجاهد أنصار التصميم الذكي لاستخدام نفس سلاح المنهج التطوري، وهو العلم التجريبي، لدحض أصول التطور العلمية دون الاعتماد على أي نوع من النصوص أو القيم الدينية. يقول ستيفن ماير، أحد أهم أنصار التصميم الذكي، معرفًا إياها:

«التصميم الذكي هي نظرية علمية مبنية على الأدلة حول أصل الحياة، والتي تتحدى بصورة أساسية الرؤى المادية للتطور. فحسب البيولوجيين التطوريين، مثل ريتشارد دوكنز من جامعة أكسفورد، فإن أنظمة الحياة تظهر وكأنها مصممة لتحقيق غاية معينة. ولكن أنصار الداروينية الحديثة يرون هذا المظهر خادعًا بالكلية. لماذا؟ لأنهم يؤمنون أن العمليات العشوائية بصورة كلية مثل الانتخاب الطبيعي والطفرات العشوائية بإمكانها إنتاج بنىً معقدة ظاهرها التصميم في الكائنات الحية. ويمكن للانتخاب الطبيعي، في رأيهم، محاكاة قوى مصمم ذكي دون أن يكون الانتخاب الطبيعي نفسه موجهًا من قبل أي نوع من أنواع الذكاء.

وعلى النقيض، ترى نظرية التصميم الذكي بأن أفضل تفسير لدلالات ميزات الأنظمة الحية والكون ـ مثل صفات حمل المعلومات في الـ (DNA) والمنمنمات والماكينات الموجودة في الخلية وضبط القوانين والثوابت الفيزيائية ـ هو أن وراءها سبب ذكي وليس عمليات مادية عشوائية. والنظرية لا تعترض على فكرة «التطور» بمعناها التغير عبر الزمن أو السلف المشترك، ولكنها تشكك في فكرة داروين بأن سبب التنوع البيولوجي أعمى وعشوائي بالكلية. فإما أن تكون الحياة نتيجة عمليات مادية عشوائية بالكلية أو أن هناك ذكاءً موجهًا قام بدور ما فيها. ويؤيد مؤيدو التصميم الخيار الثاني ويحاجون بأن الكائنات الحية تبدو مصممة لأنها بالفعل مصممة»[1]

---

(١) Meyer, S. C. (n.d.). *2*. Discovery Institute. P. 2. doi: http://www.discovery.org/scripts/viewDB/filesDB-download.php?command=download&id=3241

وإمعانًا في التفرقة بين النظرية والدين يتابع ماير قائلًا: «الميل العلمي الحالي لفرضية التصميم لم يسبق حكم المحكمة العليا في أمريكا ضد الخلقوية فقط، ولكن النظرية بصورتها الرسمية مختلفة بوضوح عن الخلقوية سواء فيما يتعلق بالمنهجية أو المحتوى. فنظرية التصميم الذكي، وعلى عكس الخلقوية، لا تعتمد على البايبل. بل تعتمد على الملاحظات الطبيعية التي تحاول النظرية شرحها بناء على ما نعلمه من قوانين السببية الذي يقوم عليه العالم والأنماط التي تشير بصورة عامة إلى وجود أسباب ذكية. وبالتالي فإن النظرية مستنتجة من الأدلة التجريبية وليست مستنبطة من النصوص الدينية.

وأيضًا يختلف المحتوى الذي تقدمه نظرية التصميم الذكي عن الذي تقدمه الخلقوية. فالخلقوية أو علم الخلق، كما عرفته المحكمة العليا الأمريكية، يدافع عن تفسير معين لسفر التكوين في البايبل، وهو التفسير القائل بأن إله البايبل خلق الأرض في ستة أيام كأيامنا (٢٤ ساعة) منذ بضع آلاف من السنين فقط. ولكن نظرية التصميم الذكي لا تقدم أي تفسيرات لسفر التكوين وليس لديها أي تفسير عن طول أيام الخلق المذكورة ولا حتى عن عمر الأرض. بل تقدم تفسيرًا سببيًّا لتعقيد الحياة الواضح لكل ناظر»[1]

٢,٤ ملخص الفصل:

بالرغم من أن مؤيدي العلم أو الوحي يشاركون بنشاط في المناقشات المتعلقة بأصل البشر، فإن كلا من العلم والوحي يختلفان في الجوهر وفي الصفات وفي الحقائق التي يبحثانها. فبينما يبحث العلم التجريبي في العالم المادي وقوانين الطبيعة، يهدي الوحي البشر إلى المعرفة الصحيحة بما وراء العالم المادي وحقائق الإيمان. إلا أن العلم قد يؤدي أيضًا إلى زيادة الإيمان بالغيب وبقدرة الله ﷻ ـ متى أراد صاحبه ذلك ـ. ولا شك أن تحديد النطاق

---

(١) نفس المصدر.

الذي تنتمي إليه قصة آدم عليه السلام، أهو نطاق العلم التجريبي أو هو إلى الوحي أقرب، يؤدي إلى أفضل التفسيرات الصحيحة والمواقف المحمودة من هذه القضية. وهذه هي مهمة الدراسة التحليلية والنقدية في الفصول القادمة إن شاء الله تعالى.

الفصل الثالث

مقدمات إلى نظرية التطور وتوجه التطور الموجه

٣,١ مقدمة إلى نظرية التطور:

نظرية التطور نظرية معروفة تتناول قضية تنوع الكائنات الحية وآلياتها. والناس بالنسبة لهذه النظرية على مستويات مختلفة من العلم والفهم، كما كتب الأستاذ خالد الشايع: «لا نكاد نجد أحدًا لم يسمع بنظرية التطور. والناس في ذلك بين عارف بها ونقاط ضعفها وبين سامع عنها جاهل بتفاصيلها، وأقل من هؤلاء وأولئك من يعرف حيثياتها ومن أي رحم فكري واجتماعي خرجت»[١] ونتيجة لتأثير النسخة الداروينية للتطور على الرؤى العقدية والفكرية والفلسفية والعلمية لأصل الحياة، فإن البحث سيقتصر على أهم المحطات التاريخية لرحلة النظرية التطورية حتى تمت بلورتها على يد داروين.

٣,١,١ مقدمة تاريخية إلى نظرية التطور:

لم يكن داروين مؤسسًا لفكرة «التطور»؛ بل سبقه العديد من المفكرين والعلماء في هذا الجانب، نذكر منهم المحاولات التي اتشحت بالصبغة العلمية في العصور الحديثة، وإن كانت المحاولات أقدم من ذلك بكثير:

بنوا دو ميليه Benoit de Maillet (1656-1738):

يعتبر نظام الحياة المقترح بواسطة ميليه في كتابه «تيلياميد» من أوائل

---

(١) خالد الشايع (٢٠١٦)، معبد داروين: ،صفحات من التاريخ المنسي لأفكار داروين، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية: مركز دلائل، ص١٤.

المحاولات «العلمية» لبحث قضية أصل الحياة، والتي تعارضت وأنكرت المعتقد الشائع في ذلك الوقت حول خلق الأرض والكون بواسطة إلٰه قدير.

ولم يكن مصطلح «التطور» قد صيغ في ذلك الوقت. وإنما المصطلح القديم الذي كان يعبر عن هذا المعنى هو «Transformism ـ التحول». يقول ميليه حسب ما ورد في قاموس السير العلمية Complete Dictionary of Scientific Biography: «لم يقر النظام الذي اقترحْتُه بالإلٰه كحاكم مطلق، ولكنه يفترض بدلًا من ذلك كونًا أزليًا يمر بتغيرات طبيعية عشوائية. وهذا الكون يقوم على نظرية الدوامات لديكارت ومفهوم فونتينيل حول الأكوان المأهولة المتعددة. ويعتقَد أن الأجرام السماوية تتجدد بصورة أزلية خلال آلية التبديل بين الأطوار المضيئة، تكون خلالها مشابهة للنجوم، والأطوار المظلمة، تكون خلالها مشابهة للكواكب. والأرض في الوقت الحالي في طور مظلم، ويتضاءل مستوى المحيط الكوني من خلال التبخر في الفضاء الخارجي بمعدل ٣ بوصات كل قرن، حتى يتبخر تمامًا. وهذه الحركة التراجعية للأجرام حدثت منذ ما لا يقل عن ملياري عام، وهو تقدير يوضح إدراك ميليه الذكي للزمن الجيولوجي (كما نصت عليه المخطوطات)»[١]

فهذه باكورة المحاولات «العلمية» لتفسير نشأة الكون والحياة، والمتأمل فيها يجد مزاعم قصيرة الذيل ليس عليها أي دليل علمي ولا تدعمها أي منهجية تجريبية؛ بل مجرد مزاعم تصورها صاحبها لتنحية «الإلٰه كحاكم مطلق» وتقرير فرضية أزلية الكون الهشة. وما يميزها عن المحاولات التالية هي أن صاحبها لم يكن دبلوماسيًا في نقل أفكاره بقدر ما كان دبلوماسيًا في عمله الرسمي، ولم يراع مشاعر زوجته المتدينة أو مجتمعه المحافظ! إلا أن من أتوا بعده كانوا أكثر مراوغة وتضليلًا حيث آثروا التلميح لا التصريح، وغلفوا نظرياتهم بقالب العلم دون محاولة منهم ـ في الظاهر ـ المساس باعتقاد غالب الناس.

---

(١) "Maillet, Benoît De." Complete Dictionary of Scientific Biography. Retrieved May 11, 2017 from http://www.encyclopedia.com/science/dictionaries-thesauruses-pictures-and-press-releases/maillet-benoit-de

دوني ديدغوا (١٧١٣ ـ ١٧٨٤):

هو عالم وفيلسوف فرنسي. ساهم في توجيه المجتمع العلمي إلى اعتناق التوجهات المادية التطورية حول أصل الحياة من خلال مجموعة من الأعمال، مثل: مشية المتشكك ورسالة للأعمى و**حلم دالمبيرغ**. وذكرت الموسوعة البريطانية في ترجمته: «ومن أفضل أعماله الفلسفية حلم دالمبيغ (كتب عام ١٧٦٩ ونشر عام ١٨٣٠) وهو عبارة عن محاورة بين دالمبيغ وديدغوا. وقد أسس ديدغوا في أعماله فلسفته المادية ووصل بحدسه الرائع إلى نتائج مبهرة في البيولوجيا والكيمياء؛ وذلك في دراسة أصل الحياة دون الحاجة إلى تدخل إلٰهي. على سبيل المثال تنبأ بالنظريات التطورية التي صاغها داروين ووضع صورة تنبؤية معجزة للهيكل الخلوي للمادة. وبالرغم من أن استنتاجات ديدغوا ذات فائدة علمية عظيمة، إلا أن عرضها الجدلي الأدبي هو الذي جعلها استثنائية. إن أفكاره، والتي غالبًا ما تطرح في صورة مفارقات، تنبع من الإحساس بغموض الحياة والفهم العميق للتعقيدات والتناقضات المتأصلة في طبيعة البشر[١].

وبمثل هذا التسبيح بحمد أي أفكار علمية من شأنها إبعاد التدخل الإلٰهي عن الكون وما فيه تعج الموسوعات العلمية الحديثة، وتنشط قنوات الترويج التليفزيونية والعنكبوتية والمقروءة بمدح أي محاولة لذلك حتى ولو كانت خالية من أي روح علمية. فهذا «الفيلسوف» وصل إلى نتائج «مبهرة» في «البيولوجيا والكيمياء» لأنه زعم تفسير «أصل الحياة» دون الحاجة إلى «تدخل إلهي». ويجب ألا ينخدع «المسلم» ببريق إنسيكلوبيديا بريطانيكا (موسوعة المعارف البريطانية) ولا حبكة «كوكب القرود» ولا جرافيك «تاريخ العالم في ساعتين» ولا استطرادات استدلالات «أعظم استعراض فوق الأرض». فجميع بهرج هذه القنوات على اختلافها وإبداعها لا تعدوا قوالب جوفاء لا تلبث أن تصير حطامًا عند أول اختبار للمصداقية والمنهجية، وما هي إلا سراب يحسبه الجاهل ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا ولم ينفعه بشيء.

---

(١) Niklaus, R. (1998, July 20). Denis Diderot. Retrieved May 11, 2017, from https://www.britannica.com/biography/Denis-Diderot

إيرازموس داروين (١٧٣١ ـ ١٨٠٢):

هو جد داروين لأبيه، وكان أحد رموز المفكرين الإنجليز في القرن الثامن عشر، حيث تميز بمجموعة واسعة من المواهب والمناصب. فكان طبيبًا ناجحًا وشاعرًا مشهورًا وفيلسوفًا وعالم نبات وتاريخ طبيعي.

وكعالم تاريخ طبيعي قام بصياغة أول النظريات الرسمية حول التطور في كتابه (زونوميا) أو قوانين الحياة العضوية (١٧٩٤ ـ ١٧٩٦). وقام أيضًا بالتعبير عن أفكاره التطورية في بعض أبيات قصيدة نشرت بعد وفاته بعنوان «معبد الطبيعة» وبالرغم من أنه لم يتوصل إلى الانتخاب الطبيعي، فقد ناقش بعض الأفكار التي قام حفيده (داروين) بشرحها وتوضيحها بعد ٦٠ عامًا. مثل كيفية نشوء الحياة من سلف مشترك واحد. وقد كانت مسألة كيفية تطور نوع إلى نوع آخر من أصعب المسائل التي واجهته، على الرغم من أن بعض أفكاره حول التطور متقاربة جدًّا مع أفكار لامارك[١]

ومن أمثلة محاولاته الشعرية لصياغة فكرة التطور:

الحياة العضوية تحت أمواج لا شاطئ لها

نَمَتْ وانتشرت في كهوف المحيط المتلألئة

بدايتها أنواع دقيقة غير مرئية حتى بالعدسات

تتحرك على الطين أو تخترق كثافة المياه

هكذا ازدهرت الأجيال المتعاقبة

تكتسب قوى جديدة وأعضاء كثيرة

وهناك مجموعات نباتية لا تحصى ازدهرت

وممالك من الزعانف والأقدام والأجنحة تنفست

إلى حد شجر الصنوبر عملاق الخشب

والتي تتحمل رعد بريطانيا عندما ينهمر

---

(١) Erasmus Darwin (1731-1802). (n.d.). Retrieved May 11, 2017, from http://www.ucmp.berkeley.edu/history/Edarwin.html

والحيتان ذلك الوحش الهائل
والأسد الوقور ملك السهول
ويحلق النسر في السماوات
تبتلع عيناه بريق الشمس
والإنسان المستبد الذي يحكم البهائم
متميزًا باللغة والعقل والتفكير
ذو جبهة منتصبة متعالية عن الأرض
ويرى نفسه أنه في صورة الإلٰه[1].

وبالرغم من أفكاره، لم يكن إيرازموس ملحدًا؛ بل كان ربوبيًّا وعرض أفكاره عن التطور من المنظور الربوبي. قائلًا:

«نوّع الخالق العظيم لكل شيء أعماله تنويعًا عظيمًا، ولكنه في الوقت نفسه ختم معالم الطبيعة بتشابه معين يوحي إلينا أن جميع الكون أسرة واحدة من أب واحد»[2]

لامارك (١٧٤٤ ـ ١٨٢٩):

جون ـ بابتيست لاماغ (بالإنجليزية لامارك) عالم حيوان فرنسي كان يفترض بأن الحياة أخذت شكلها الحالي من خلال عمليات طبيعية وليس من خلال التدخلات الإلٰهية المعجزة. وقد أثر ذلك تأثيرًا مرعبًا على علماء الطبيعة البريطانيين بشكل خاص لأنهم كانوا يميلون إلى اللاهوت الطبيعي. حيث كانوا يؤمنون بأن الطبيعة هي أثر من آثار التصميم الإلٰهي الباهر. وكان من الواضح بالنسبة لهم أن لامارك يدعي أن ذلك ناتج عن قوى بدائية عمياء. وأخيرًا مات لامارك فقيرًا مغمورًا عام ١٨٢٩ مرفوضًا من قبل بعض العلماء بناءً على أسس دينية ومنبوذًا من قبل علماء آخرين مثل كوفيير لعدم وجود

---

(١) Darwin, E. (1803). *The Temple of Nature* (Canto 1, lines 295-314). pages 26-8.

(٢) Darwin, Erasmus. (1794). *Zoonomia. Or The Laws Of Organic Life*. UK. Vol. 1, P. 1.

استنتاجات دقيقة في أطروحاته[1]

تناول لامارك بوضوح النظرة المادية التطورية لرحلة البشر من حيوانات أخرى قائلًا: «إنه من السهولة بمكان إظهار أن سمات تنظيم البشر، باعتبار أن الأنواع والأجناس الإنسانية أسرة متميزة، ناتجة عن تغيرات مسبقة في القوى والعادات المكتسبة والتي أصبحت مميزة لأفراد هذا النوع. فعندما عوّدت القردة العليا أنفسها على المشي المنتصب نتيجة الظروف الطبيعية، اكتسبت الظهور على كافة الحيوانات الأخرى. واستطاعوا بفضل الميزة الحصرية التي تمتعوا بها والمتطلبات الجديدة التي فرضتها عليهم أن يغيروا أسلوب حياتهم مما نتج عنه التعديل التدريجي لتنظيمهم واكتسابهم العديد من السمات الأخرى كان من بينها القدرة الرائعة على الحديث[2]

وبعد إسهام لامارك الواضح في تعزيز النظرية، قدم عالم التاريخ الطبيعي الفرنسي جيفروي سانت هيلير منظورًا آخر للتغير التطوري عام ١٨٢٠، ثم تبعه الكاتب البريطاني روبرت شامبرز بتأليف أفضل الكتب مبيعًا في وقته عن التطور عام ١٨٤٤: آثار الخلق الطبيعي. وفي عام ١٨٥٩ نشر داروين كتاب أصل الأنواع. وبالرغم من أن لامارك وسانت هيلير وشامبرز وداروين كانت لديهم أفكار متضاربة حول كيفية عمل التطور، إلا أن رؤية داروين هي الوحيدة المنتشرة في الوسط العلمي حاليًا.

تشالز داروين (١٨٠٩ ـ ١٨٨٢):

هو إمام التطوريين وعمدة مذهبهم، عالم تاريخ طبيعي وجيولوجي وبيولوجي بريطاني. يقول فريمان موضحًا مكانة داروين: «يذكر اسم داروين في كل مؤلف أو مرجع متعلق بمجاله بداية من انتخابه في الجمعية الملكية وحتى وفاته، وأكثر من ذلك بعد وفاته وحتى الآن. ففي كتالوج متحف

(١) The University of California Museum of Paleontology, Berkeley, and the Regents of the University of California. (n.d.). Early Concepts of Evolution: Jean Baptiste Lamarck. Retrieved May 11, 2017, from http://evolution.berkeley.edu/evolibrary/article/history_09

(٢) Quoted in Ernst Heinrich Philipp August Haeckel (1897) The Evolution of Man, Vol. 1, 70.

بريطانيا للكتب المطبوعة (في الفترة ما بين ١٩٥٩ ـ ١٩٦٦) يحتوي الملحق المتضمن أعمالًا متعلقة بداروين أكثر من ٤٠٠ مُدخلًا، بينما الملحق المتعلق بجاليليو يبلغ ١٥٠ ونيوتن ١٣٠ مدخلًا. وترجع هذه الزيادة الهائلة إلى أن اسمه مذكور في كل كتاب حول التطور، وفي كل كتاب مدرسي حول علم الأحياء، وكذلك العديد من الكتب الأخرى المتعلقة بالآثار الدينية والاجتماعية للنظرية التطورية»[(١)] وقد لخص داروين نظرته حول التطور في آخر فصل من كتابه المعروف «أصل الأنواع» قائلًا: «إنه لمن الممتع التفكر في منحدر متشابك، مكسو بالكثير من النباتات من أصناف متعددة، مع طيور تغني على الشجيرات، وعدد كبير مختلف من الحشرات التي تنتقل في كل مكان، وديدان تخترق الأرض الرطبة، وأن نتأمل أن تلك الأشكال المتقنة والمختلفة والتي تعتمد على بعضها بطريقة في غاية التعقيد قد تم إنتاجها جميعًا عن طريق قوانين تعمل حولنا. وهذه القوانين، بمعناها الأوسع تشمل: النمو مع التكاثر، والوراثة التي يتضمنها التكاثر، والقابلية للتمايز الناتجة عن ظروف الحياة الخارجية المباشرة وغير المباشرة وعن الاستخدام وعدم الاستخدام، ونسبة عالية من التزايد بالقدر الذي يؤدي إلى الصراع من أجل البقاء، والانتقاء الطبيعي كنتيجة مباشرة لما قبله، والذي يتضمن تنوع الصفات وانقراض الأنماط الأقل تحسنًا. وبالتالي؛ فنتيجة لحرب الطبيعة والمجاعة والموت، ظهرت أسمى الأشياء التي نستطيع تخيلها، وهي بالتحديد الحيوانات العليا، كنتيجة مباشرة. إن معاني العظمة تتجلى في هذا المنظور للحياة، بأنماط القوة المتعددة فيها، وقد نشأت من مصادر قليلة أو مصدر واحد. وبينما يسير هذا الكوكب في فلكه بانتظام في ظل قانون الجاذبية، ومن بداية غاية في البساطة، تطورت أشكال الحياة إلى أجمل وأروع ما تكون، وما زالت قيد التطور»[(٢)]

---

(١) Freeman, R. B. (2007). *Charles Darwin: A companion* (2d online edition ed.), Compiled by Sue Asscher and edited by John van Wyhe. P. 7.

(٢) Darwin, C. (2013). *On the Origin of Species by Means of Natural Selection*. USA: Dover Publications Inc. Page 307.

وبالرغم من أن داروين لم يشرح أصل الإنسان في كتابه السابق، ولا مسألة التدخل الإلٰهي في عملية الخلق، فقد خصص كتابه اللاحق «نشوء الإنسان» لمناقشة هذه القضايا، وخلص إلى:

«بملاحظة التركيب الجنيني للإنسان ـ من حيث التشابه مع حيوانات أدنى، وآثار الأعضاء التي ما زال يحتفظ بها، والملكات التي أصبح مسؤولًا عنها ـ نستطيع أن نستحضر بصورة جزئية حال أسلافنا السابقين، ويمكننا أن نضعهم في مكانهم الصحيح في السلسلة الحيوانية بصورة تقريبية. وبالتالي نعلم أن الإنسان نشأ من حيوان من ذوات الأربع مكسو بالشعر مزودًا بذيل وأذن محدبة، ومن المحتمل أنه كان يسكن الأشجار ويعيش في العالم القديم. وفي حال قام أحد علماء التاريخ الطبيعي بدراسة تركيب هذا المخلوق، فإنه قد يصَنف ضمن الكوادرومانا تمامًا كما يمكن أن يكون عليه السلف القديم لقردة العالم القديم والجديد»[(١)]

ولم يجد داروين أي صعوبة حين صرح بأنه يمكن أن يكون ناشئًا من قرد صغير أو بابون أو وحش مفترس قائلًا: «من جهتي، فأنا سرعان ما سأنحدر من هذا القرد الصغير البطولي الذي تحدى عدوه اللعين من أجل إنقاذ حياة حارسه، أو من هذا البابون القديم، الذي نزل من الجبال حاملًا رفاقه الصغار لحمايتهم من حشد من الكلاب المتحيرة، أو من وحش بري يتلذذ بتعذيب أعدائه، ويقدم تضحيات دموية، ويقتل الأطفال دون ندم، ويعامل زوجاته مثل العبيد، ولا يعرف شيئًا عن الآداب، وتنتابه أكثر الخرافات فظاظة»[(٢)]

ولنظرية داروين أثرًا لا يمحى على الأجيال التي تلتها وحتى يومنا هذا. ونُقلت رؤيته التطورية إلى كافة العلوم الأخرى في البناء المعرفي. وبالرغم من

---

(١) Darwin, C. (1882). *The Descendant of Man and Selection in relation to sex*. New York: Scotland Edition. 2/389.

(٢) Darwin, C. (1882). *The Descendant of Man and Selection in relation to sex*. New York: Scotland Edition. Vol. 2, 404-5.

ذلك لم يكن هو مؤسس فكرة التطور، إلا أنه من الناحية العلمية صاغ آليتها في قالب نظرية علمية. ولذلك يُنسب التطور إليه وصيغت في ظل ذلك العديد من المصطلحات الأخرى المقاربة مثل الداروينية، والداروينية الحديثة التي تتفق مع النتائج النهائية لأفكاره وإن اختلفت في بعض الآليات.

٣,١,٢ الأساس العلمي لنظرية التطور:

ربما تعتبر نظرية التطور أكثر النظريات العلمية جدليةً. حيث توصف العديد من أنواع «التغير التدريجي عبر فترة من الزمن» بـ«التطور»، ويستخدم المصطلح في علم الفضاء والجيولوجيا والبيولوجيا وعلم الإنسان والعديد من العلوم الأخرى. ومع ذلك فإن ما نقصده بـ«التطور» هو التطور البيولوجي[١]

عرفت الأكاديمية الوطنية للعلوم، أكبر مؤسسة علمية أمريكية، التطور البيولوجي بأنه: «يتعلق بالتغيرات التي تحدث للكائنات الحية خلال تاريخ الحياة على الأرض. وهو يوضح كيف تتشارك الكائنات الحية في أسلاف مشتركة. وعلى مدار الوقت، تتسبب التغيرات التطورية في نشوء أنواع جديدة. وقد أطلق داروين على هذه العملية لقب «النشوء والارتقاء» وهو يظل تعريفًا جيدًا للتطور البيولوجي في الوقت الحالي»[٢]

ويذهب العديد من التطوريين خلف حدود العلم والمنهجية العلمية مدعين أن التطور بهذا المنظور حقيقة وليس نظرية. وبغض النظر عن ذلك ففيما يلي أهم الأسس العلمية التي يدعي أنصار التطور أنها تؤيد النظرية:

- **تجربة يوري وميلر**: والتي تدعي شرح «كيف نشأت الحياة على الأرض» بواسطة العمليات الطبيعية وليس بواسطة الخلق الإلهي المباشر. واحتوت التجربة على محاكاة للغلاف الجوي البدائي للأرض يتم خلالها إنتاج البنى الكيميائية للكائنات الحية عن طريق شرر كهربية.

---

(١) للتوضيح: كلمة «تطور» في سياق هذا البحث تشير إلى «التطور البيولوجي»، وخاصة النسخة الداروينية القديمة أو الحديثة، وليس مجرد التغير عبر الزمن.

(٢) Group of Scientists. (2004). *Teaching about Evolution and the Nature of Science*. USA: National Academy Press. P. 55.

- **سجل الحفريات وشجرة الحياة التطورية**: والتي يفترضون من خلالها أن جميع الكائنات الحية لها أسلاف مشتركة حتى نصل إلى الخلية الأولى التي انبثقت منها الحياة، وأن هذه السلسلة التطورية تم تسجيلها في طبقات الأرض المختلفة.

- **التشابهات المورفولوجية (الشكلية)**: والتي يفترضون من خلالها أن التشابهات الشكلية مثل تركيب العظام في أجنحة الخفافيش وزعانف الدلافين وأرجل الأحصنة وأيدي البشر فكلها تشير إلى نفس الأصل التطوري في السلف المشترك.

- **الدليل الجنيني**: والذي يفترضون من خلاله أن البرمائيات والزواحف والطيور والبشر منحدرون جميعًا من حيوان شبيه بالسمكة بسبب وجود بعض التشابهات أثناء تكوين الجنين في هذه الكائنات.

- **الأنواع الانتقالية**: والتي يفترضون من خلالها أن هناك أنواعًا انتقالية بين الأنواع المختلفة الحالية كعلامة على تطورها من بعضها البعض.

- **الطفرات الجينية**: يعتقد التطوريون أن الطفرات الجينية هي مواد التطور الأولية، سواء كان تطورًا كبيرًا أو تطورًا صغيرًا. وهذا الدليل يمثل وجهة نظر أتباع الداروينية الحديثة حيث حاولوا السطو على مخرجات علم الجينات بعد ظهوره في القرن الماضي لتأييد النظرة التطورية لتنوع الحياة.

- **الدليل الجيني**: ويعنون به التشابهات الجينية بين الحيوانات المختلفة حيث يشتركون في تركيب الجينات بنسب مختلفة؛ بل أصبح هذا الدليل من أهم أدلة الداروينية الحديثة على مسألة السلف المشترك لجميع الكائنات الحية وحدوث التطور كما سيأتي لاحقًا إن شاء الله.

- **الانتخاب الطبيعي**: ويعنون به قانون الطبيعة المسؤول عن كافة أنواع وعمليات التطور، والذي تمت صياغته في المبدأ الشهير «البقاء للأصلح».

وإذا كان جوناثان ويلز قد عد الانتخاب الطبيعي ضمن أدلة التطور، فإنه يمكن القول بأنه ليس دليلًا في حد ذاته وإنما هو الآلية التي يتم تفسير التطور من خلالها.

- **التخيلات**[١]: رسومات لمخلوقات شبيهة بالقردة تتطور حتى تصبح في صورة الإنسان، وهذه الرسومات توضح أن البشر ما هم إلا حيوانات ناتجة بصورة ثانوية من جراء أسباب طبيعية عشوائية.

وعلى الرغم من «إيمان» مؤيدي التطور بأدلته السابقة، نقض العديد من العلماء هذه الأدلة ـ من الناحية العلمية ـ وشككوا في قوتها لتعضد نظرية بله أن تكون حقيقة علمية. وفي الفصل القادم سيعرض الباحث جانبًا من النقد العلمي لكل دليلٍ من قبل بيولوجيين بارزين والعديد من العلماء الآخرين بما فيهم المؤيدون للتطور.

٣,١,٣ هل التطور حقيقة أم نظرية؟

بطبيعة الحال ستختلف إجابة هذا السؤال باختلاف أيديولوجية المجيب؛ حيث سيجيب بعض العلماء على أنها نظرية غير مدعمة بالأدلة العلمية؛ بل في أزمة، في حين يرى آخرون أنها حقيقة علمية، وأن من يعارضها ـ ولو انطلاقًا من أسس علمية تجريبية ـ كافر بالعلم وأهله وطريقته.

وعندما سئل داروين نفسه عن نظريته أجاب بأنها ما زالت «فرضية». فقد أجرى معه عالم النبات الألماني الشهير روبرت كاسباري حوارًا بتاريخ ٢٧ مايو ١٨٦٦ حول وضع نظريته بين الحقيقة والفرضية. وعلق كاسباري قائلًا: «كان من الضروري بالنسبة لي أن أسمع منه شخصيًا إذا ما كان يعتبر عقيدته في التطور فرضية أو حقيقة. لقد سألته عن ما إذا وجد نوعًا من الكائنات

---

(١) هذا ليس دليلًا علميًا في الحقيقة، ولا ادعى أنصار التطور أنه دليل علمي. ولكنه الصورة الاستدلالية الأكثر تداولًا على التطور، والتي من خلالها ينشر التطوريون أفكارهم.

الحية في أي مكان يمكن من خلال ملاحظته إثبات انحداره من نوع آخر من خلال حقائق يقينية، فأجاب بالنفي التام. فسألته أنك بالتالي تعتبر عقيدتك حول التطور على أنها فرضية، فأجاب بالإيجاب التام»[(١)]

ومع ذلك فهناك توجه غير مبرر من قبل الأكاديمية الوطنية للعلوم عند الإجابة على نفس السؤال في كتيبهم المنشور حول التطور، قالوا: «النظريات العلمية تعتبر تفسيرات للظواهر الطبيعية مبنية بصورة عقلانية عن طريق الملاحظات والفرضيات التجريبية. والتطور البيولوجي هو أفضل التفسيرات العلمية التي لدينا للتنوع الضخم في الكائنات الحية. وغالبًا ما يستخدم العلماء كلمة «حقيقة» لوصف ملاحظة ما. ولكن يمكن للعلماء أيضًا استخدام كلمة «حقيقة» للإشارة إلى شيء ما تم اختباره أو ملاحظته مرات عديدة بحيث لا يوجد سبب مقنع لإعادة اختباره أو ملاحظته مرة أخرى. وحدوث التطور في ظل هذا المعنى يعتبر «حقيقة». فالعلماء لم يعودوا يختبروا النشوء والارتقاء لأن الدليل الذي يدعم هذه الفكرة قوي جدًّا»[(٢)]

إلا أن داروين كان أكثر إنصافًا من أتباعه، حيث إن نفس سؤال كاسباري لم يزل حتى الآن بدون إجابة. وما زالت نظرية التطور، في نسختها الداروينية، أو في أي نسخة أتت بعدها، فرضية. وعلاوة على ذلك فإن غالب أدلتها وآلياتها الرئيسة ليست محل اتفاق بين مؤيديها فضلًا عن معارضيها. وفوق ذلك فإن بعض العلماء يعتقد بأن نظرية التطور ليست نظرية علمية من الأساس ـ بموجب معايير المنهجية العلمية ـ وما هي إلا رؤية ميتافيزيقية للعالم. فالتفسير «العلمي» ـ حسب كهنة الأكاديمية الوطنية للعلوم ـ لابد أن يكون مبنيًّا على «ملاحظات» أو «اختبارات» تجريبية، والتطور ـ حسب الكهنة أنفسهم ـ يستحيل أن يتم رصده أو ملاحظته لأنه يحدث عبر «ملايين» السنين.

---

(١) Lonnig, W. (2011). *The evolution of the long-necked giraffe: What do we really know? Testing the theories of gradualism, macromutation, and intelligent design.* Munster: Verlagshaus Monsenstein und Vannerdat, I.

(٢) Group of Scientists. (2004). *Teaching about Evolution and the Nature of Science.* USA: National Academy Press. P. 55.

فانظر إلى التناقض المثير للغثيان بين ما تسطره أيديهم وبين الفكرة التي يحاولون فرضها بصورة مستبدة من خلال نفس السطور!

ولا يزال التطور البيولوجي فرضية «مهلهلة» مبنية على «اعتقاد» مسبق وليس على دليل علمي تجريبي، سواء أنصفها العلماء المنصفون أو سجد لها العلماء المنحازون. وسواء فُرضت على المجتمع العلمي بالحديد والنار، أو طُرد من يفكر تفكيرًا نقديًّا فيما وجد عليه العلماء السابقين، أو تم نفيه في معسكر الكافرين الجاهلين. كل هذا لا يهم، وليس له وزن، ما دام هناك من يقف ضد تيار الباطل، ينافح عن الحق غير مبال ولا مماطل. والحقيقة أن التطور البيولوجي لا يمكن أن يرقى إلى الحقيقة؛ بل يمكن أن يصل مع الرأفة الشديدة إلى مصاف النظريات الهزيلة.

ومن أسمى صفات المسلم أنه ليس بإمعة، وحقيق به أن لا يكون بالفعل إمعة، ولا ينهزم أمام «الكثرة» ولا «البهرج»، ولا يتبع إلا ما قاده إليه «الدليل». فإلى أصحاب ٩٩٪ من العلماء يؤيدون التطور: لا تكن إمعة، ولا يغرك تقلب التطوروين في المجتمع العلمي المعاصر؛ بل إذا وصل الأمر إلى ١٠٠٪ فهذا الإجماع ليس بشيء ما لم يستند إلى دليل. وإذا خبرت تاريخ العلم تجد العديد من الإجماعات «العلمية» التي انخرم عقدها وآلت إلى لا شيء. ودليلهم يستحيل التحقق منه، فبنيانهم على شفا جرف هار، لم يبن على أسس ولن يلبث حتى ينهار. وقد علمك ربك أن الذين يتبعون من قبلهم، وإن كانوا آباءهم، اتباعًا «أعمى» بلا دليل فهم يجنحون للضلالة، ومستحقون للعقوبة. فلا يوجد إجماع، ولا يوجد دليل، ولا توجد حقيقة، إن يتبعون إلا «الظن» وإن هم إلا يخرصون.

٣,١,٤ آثار ومآلات نظرية التطور:

أثرت نظرية التطور على كافة المذاهب الفكرية والتخصصات العلمية؛ إذ كان المجتمع العلمي ـ وحتى عوام الناس ـ في هذا الوقت متعطشًا لمثل هذه النظرية التي تلقي بـ«سفر التكوين» إلى الجحيم. وبشكل عام، فإن النظرية

صيغت لمحو فكرة التدخل الإلٰهي في نظام الطبيعة والحياة. وقد حققت النظرية، إلى حد ما، نجاحًا في هذا الجانب بسبب وجود بعض العوامل الدينية والاجتماعية التي نشأت في ظلها، فتم منع كلمة «الخلق» من المقررات التعليمية وحلت محلها كلمة «التطور». وغالب التطوريون يتبنون رأي هايكل الذي قال: «نتيجة لنظرية النشوء المعدلة لداروين، نحن الآن في وضع يمكننا من تأسيس الأساس العلمي للتاريخ غير المعجز لتطور الجنس البشري»[١]

أهم آثار التطور على الإطلاق هو تنحية مفاهيم «الخالق» «القوة العليا» «الإلٰه القدير» ومثلها من المفاهيم بمفاهيم أخرى مثل «الانتخاب الطبيعي» «الصدفة» «البقاء للأقوى» ومثلها من المفاهيم. إلا أن ظلال التطور غمرت أيضًا العديد من الجوانب الإنسانية المختلفة. ولكن من جهة أخرى لنا أن نتساءل: هل يوحي التطور برؤية معينة للحياة؟ يجيب أستاذ التطوريين دوكنز قائلًا: «الصانع الوحيد في الطبيعة هي القوى الفيزيائية العمياء، حتى وإن أوحت كافة المظاهر حولنا بأنها مصممة بطريقة خاصة. صانع الساعات الحقيقي ذو بصيرة: حيث يصمم ألسنة الزنبركات ويضع خططه للتوصيل بينها مستصحبًا هدفه المستقبلي الذي وضعه نصب عينيه. ولكن الانتخاب الطبيعي الأعمى اللاواعي الذي اكتشفه داروين، والذي نعرف حاليًّا أنه أفضل تفسير للوجود وللغاية من الحياة، ليس لديه أي هدف. بل ليس لديه عقل ولا بصيرة، ولا يخطط للمستقبل، وليس لديه لا رؤية ولا بصيرة ولا بصر على الإطلاق. فإذا قلنا إن هناك صانعًا للساعات في الطبيعة فسيكون صانع الساعات الأعمى»[٢] هذا هو المنظور التطوري للحياة. ولكن ماذا عن البشر؟ يجيب نفس التطوري الملحد قائلًا: «نحن روبوتات آلية حية تمت برمجتها بطريقة عمياء للحفاظ على الجزيئات الأنانية المعروفة بالجينات. هذه

---

(١) Haeckel, E. (1880). *The History of Creation*. 1/6.

(٢) Dawkins, R. (1987). *The Blind Watchmaker: Why the evidence of evolution reveals a universe without design*. NY: W.W. Norton & Company. P. 5.

هي «الحقيقة» التي ما زالت تبهرني»[١] هذا التعيس يظن أن أفكاره التطورية التي تغذي خزعبلاته الإلحادية حقائق تبهره! وهذه النظرة بالفعل ألصق إلى التطور من أمانيّ أنصار التطور الموجه بوقوف العلم في صفهم. إنها نظرة متسقة مع الجذور الفكرية لمن صاغ النظريات التطورية جيلًا بعد جيل، مَنْ قبل داروين ومَن بعده، يجمعون على ذلك ويدعون إليه سرًا وجهارًا، حقيقةً ومجازًا، ليلًا ونهارًا. بل إن بعض أنصار التطور الموجه يتمادى في الانبطاح ويقر بأن الإله استخدم «الصدفة» و«العشوائية» لإيجاد الحياة وتنوع الكائنات الحية! يسارعون في قبول التطور يخشون أن يطغى على بنائهم العقدي الهش، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده، والله المستعان!

٣,١,٤,١ التطور والقيم الأخلاقية:

إذا كانت الأخلاق تعني الدوافع المبنية على تصورات الخطأ والصواب، فإن الرؤية المادية التطورية للحياة وللإنسان لا تعرف لا الهدف ولا الخطأ ولا الصواب. إنها تعرف فقط مجتمع الغاب والبقاء للأقوى «بأي وسيلة كانت». تحاول الدراسات التطورية الحديثة الالتفاف على الفطرة الإنسانية التي تفرق بين الصواب والخطأ من خلال تبرير الكذب والخيانة وحتى الاغتصاب كوسائل للبقاء. يقول جان بول سارتر: «كل شيء مباح ما دام لا يوجد إله، وبالتالي سيصير الإنسان بائسًا؛ لأنه لن يستطيع أن يجد أي شيء يعتمد عليه داخليًا أو خارجيًا... ولن يمكننا أيضًا، إذا لم يكن الإله موجودًا، الوصول إلى القيم أو الدوافع التي تجعل تصرفاتنا مشروعة»[٢]

٣,١,٤,٢ التطور ومعنى الحياة:

يتمسك التطوريون بأن الحياة ليس لها معنى، كما ذكر دوكنز آنفًا، وما نحن إلا «روبوتات جينية». إلا أنهم أحيانًا يتفلت لسانهم ليبدي ما في قلوبهم

---

(١) Dawkins, R. (1976, 2006). *The Selfish Gene*. Preface, xxi.

(٢) Marsak, L. M. (1961). *"Existentialism and Humanism," French Philosophers from Descartes to Sartre, ed.* New York: Meridian. p. 485.

حول السبب الحقيقي الذي يتمسكون من أجله بهذا الرأي، بينما في الظاهر يدعون أنه التطور أو الطبيعة. على سبيل المثال يقول ألدوس هكسلي: «لديّ دوافع لعدم رغبتي في كون العالم بلا معنى، واستطعت بسهولة الحصول على الأسباب المقنعة لهذه الدعوى... ليس بالضرورة أن يكون الفيلسوف الذي لا يرى للعالم معنى مهتمًا بالمشكلات الميتافيزيقية فقط، ولكنه أيضًا يهتم بإثبات عدم وجود سبب وجيه لماذا لا ينبغي أن يفعل ما يريد أن يفعله... عن نفسي، وبلا شك عن غالب المعاصرين، كانت فلسفة عدم وجود معنى - للعالم - ضرورية كأداة للتحرر. التحرر الذي تمنيناه كان تحررًا من أي نظام اقتصادي أو سياسي أو أخلاقي. لقد اعترضنا على وجود الأخلاق لأنها تتعارض مع حريتنا الجنسية»[1]

ولتعرفنهم في لحن القول. وهؤلاء البؤساء فكريًا وعلميًا وعقديًا يختارون دائمًا ما يسمى بطريق الكسالى، يختارون المخدر الموضعي لكسور أفكارهم بدلًا من تضميدها وتقويمها. لا يستطيعون تحمل تبعات التقيد الاقتصادي أو السياسي أو الأخلاقي، وبالأحرى الديني، ولا يستغنون عن شبقهم وهوسهم الجنسي إلى الحد الذي ينكرون أنفسهم وضمائرهم من أجله. بئس ما اشتروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون. فقد استطاع هذا الجهبذ الحصول «بسهولة» على أسباب دعواه في كون العالم بلا معنى.

ولكن ألا يعني هذا أنه اعتقد شيئًا ما، ثم حاول أن يستدل عليه ويجد أسبابًا له؟

نعم، ولكنه وأمثاله لا يفقهون أن المنصف والباحث عن الحق والحقيقة يعرف الدليل أولًا ثم يعتقد، لا أن يعتقد ثم يبحث عن دليل. ومرة أخرى يظهر لنا وجه النموذج التطوري المادي القبيح، الذي يجرد الإنسان من قيمه وأخلاقه، ويجرد الوجود والعالم من حقيقته ومعناه، فبأي حديث بعده يؤمنون؟!

---

(١) Huxley, A. (1966), "Confessions of a Professed Atheist," Report: Perspective on the News.

٣,١,٤,٣ التطور وقيمة الحياة الإنسانية:

في الفكر الديني، لأي دين كان، يلعب البشر الدور المحوري في العالم، ويعتلون هرم المخلوقات، ويتميزون بالعديد من الخصائص الظاهرة مثل المنطق واللغة والبحث عن الغاية والنظام الأخلاقي وغيرها من المميزات المتعددة للبشر. بينما تعتبر الرؤية الإلحادية البشرَ مجرد نوع من بلايين الأنواع الحية في جنبات الأرض، فضلتهم الصدفة والطفرات الجينية على بعض الأنواع الأخرى. التطور أعمى، ولذلك لا يوجد ما يسمى بـ«قمة التطور». وبالتالي؛ فإن أفضل أو أهم المخلوقات أمر نسبي لا يعرفه قانون التطور. فيدعون أن التطور يعلمهم أنهم نوع من أنواع الحيوانات وأن كل مميزاتهم البشرية حصلوها من خلال التطور بواسطة الانتخاب الطبيعي. لقد انحدروا من شجرة الحياة تمامًا كبقية الأنواع الأخرى، يرجعون إلى أسلاف مشتركة ويؤمنون بوجود أقرباء أحياء لهم في العصر الحاضر وهم القردة العليا. بل لا يجب أن ينكروا حيوانيتهم. سوف ينقرضون وستحل أنواع أخرى محلهم. ما هي إلا حياتهم الدنيا يحيون ثم يموتون. هذا كل ما في الأمر بالنسبة لهم.

فمن مات أو قُتل أو استشهد لا يعدوا مجموعة من الأعضاء توقفت عن العمل، تمامًا مثل ما تموت باقي الحيوانات. بينما في الأديان الأمر يختلف جذريًا. فالحياة الإنسانية، طالما كان «إنسانًا» بغض النظر عن أي اعتبارات أخرى، لها «قدسية» خاصة. على سبيل المثال يقول الله ﷻ: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، ويقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠]، ويقول ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ

رَبَّكَ ﴿٨﴾ [الإنفطار: ٦ ـ ٨] والآيات الواردة في ذلك كثيرة. وأيضًا وردت العديد من الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ في بيان عظم أمر الحياة الإنسانية، ومنها أنه لما مرت به جنازة ليهودي قام ـ احترامًا لها ـ فقيل له: إنها جنازة يهودي. فقال: «**أليست نفسًا؟!**»[١] ومن وصاياه ﷺ في آخر عمره في حجة الوداع يوم النحر في البلد الحرام: «**فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا**» فأعادها مرارًا ثم رفع رأسه فقال: «**اللَّهُمَّ هل بلغت، اللَّهُمَّ هل بلغت، ليبلغ الشاهد الغائب**». قال ابن عباس رضي الله عنهما: فوالذي نفسي بيده، إنها لوصيته إلى أمته[٢] بل لم يقتصر الأمر على تعظيم قدر النفس وتحريم الاعتداء عليها؛ بل أخبر صلى الله عليها وسلم وحذر من أن الاعتداء عليها بغير حق أكبر الذنوب بعد الشرك بالله ﷻ. هؤلاء الذين لا ينظرون للحياة إلا من خلال أعين «البقاء للأقوى» لم يصلوا بعد إلى المعرفة الحقيقية بالحياة ولا بأنفسهم التي بين جنوبهم.

٣,١,٤,٤ التطور والغاية من الحياة:

يتبنى غالب التطوريون الرأي القائل بعدم وجود غاية للتطور. وبالتالي؛ قاد هذا الرأي غالب الملاحدة إلى نوع من الغايات الشخصية، وإنكار فكرة التصميم أو الغاية الكلية، أو حتى القول بوضوح بعدم وجود أي غاية من الأساس لوجودنا. يصرح إمام الملحدين دوكنز بالغاية من حياة الإنسان قائلًا: «نحن ماكينات بنيت بواسطة الـ DNA هدفها عمل نسخ متعددة من نفس الـ DNA. . . هذا بالضبط الغاية من وجودنا. نحن ماكينات لنشر الـ DNA، ونشر الدي إن إيه عملية قائمة بذاتها. إنها الغاية الوحيدة لوجود جميع الكائنات الحية»[٣]. ؛ يعني: أن العملية هي «نشر الـ DNA» والغاية من العملية

---

(١) متفق عليه: البخاري (١٣١٢)، ومسلم (٩٦١).

(٢) متفق عليه: البخاري (١٧٣٩)، واللفظ له ومسلم (١٦٧٩).

(٣) Dawkins. Royal Institution Christmas Lecture, 'The Ultraviolet Garden', (No. 4, 1991). Quoted in Ramachandra, V. (2008). *Ubverting Global Myths: Theology and the Public Issues Shaping our World.* p. 187.

هي «نشر الـ DNA». وهذا الاستدلال الدائري، بغض النظر عن سخافته وسذاجته في نفسه، يفسر بجلاء الفقر المعرفي؛ بل الخبل المعرفي، لهؤلاء الأفاكين باسم العلم والمعرفة. والأدهى من ذلك تقرير لورانس كراوس في مقاله في مجلة لوس أنجلوس تايمز بأن أفكار «التصميم» و«الغاية» هي أفكار وهمية يجب مواجهتها بـ«العلم». قال: «ربما يكون وهم الهدف والتصميم هو الوهم الأكثر انتشارًا حول الطبيعة، والذي يجب أن يواجهه العلم بشكل يومي. في كل مكان ننظر إليه، يبدو أن العالم قد تم تصميمه حتى نتمكن من الازدهار»[١] لقد حاولوا استبدال تصميم الإلٰه بانتخاب طبيعي أعمى ليس لديه وعي. وقد تم تقديم هذا الفكرة في الأساس لتنحية توقيع الإلٰه من نظام الكائنات الحية، ثم عمموها لتنحية توقيعه من الكون بالكلية. والغريب أن ملاحظاتهم التجريبية هي «في كل مكان ننظر إليه، يبدوا أن العالم قد تم تصميمه حتى نتمكن من الازدهار». أليس المنهج العلمي التجريبي يفترض أن يوحي إليكم بأن الكم الهائل من الملاحظات على أن العالم قد تم تصميمه هو نتاج تصميم بالفعل وليس نتاج عشوائية؟! بلى والله إن من أقوالهم ما يبين تناقضهم مع أنفسهم ومع ما اخترعوه من آليات مادية للاستدلال على عقائدهم الغيبية.

٣,١,٥ علاقة التطور بالدين:

على الرغم من أن التطور يدخل في عداد النظريات العلمية، والتي تتعلق فقط بما يمكن معرفته من خلال المنهجية العلمية وتحصر أدلتها بما يمكن رصده ماديًّا، إلا أنها تلمس جوانب فلسفية ودينية وعقائدية مهمة. التطور ليس دينًا، ولكن أتباع الأديان المختلفة، بما في ذلك الإلحاد، يحاولون التوفيق بين معتقداتهم الدينية حول أصل الإنسان وبين النظرة التطورية. وقضية أصل الإنسان من أهم القضايا التي عالجتها الأديان المختلفة، بما في ذلك الإلحاد أيضًا[٢]

---

(١) Krauss, L. M. (2012, April 1). A Universe Without Purpose. Los Angeles Times. Retrieved May 6, 2017.

(٢) الإلحاد «دين» أو «اعتقاد» بالمعنى الدارج للأديان التي تتضمن نظامًا لمعتقدات معينة، فالملحد يعتقد بعدم وجود إله.

وقد حاول، وما زال يحاول، العديد من المفكرين السطو على نظرية التطور لتعضيد معتقداتهم. فالتطور يستخدم لدعم المادية والإلحاد والعنصرية والشيوعية والرأسمالية وحتى النصرانية والإسلام.

النظرية التطورية هي نظرية مادية، تمامًا ككافة النظريات الأخرى، ذلك يتطلب خضوعها للتجربة العملية والاختبار والتفسير المادي. وجميع الحقائق الـ ما وراء طبيعية، مثل الإلٰه والملائكة والشياطين والمعجزات وما إلى ذلك، خارج نطاق العلم التجريبي. وعلاوة على ذلك، فإن التطور لا يمكن أن يكون دليلًا على وجود الإلٰه، ولا يصح أن يكون دليلًا على عدم وجوده في نفس الوقت. فإذا كان الإلٰه موجودًا فإن التطور ـ إذا كان حقيقة ـ يشير إلى القانون الذي وضعه الإلٰه لنشأة وتطور واستمرارية الحياة. وإذا لم يكن الإلٰه موجودًا فإن التطور يشير إلى الكيفية التي من خلالها نشأت الحياة وازدهرت دون الحاجة إلى وجوده. ولكن التطور لا يشير إلى هذا أو ذاك في حقيقة الأمر، كل ما هنالك أنه «يصف» ما الذي حدث.

ومن جهة أخرى، لا يمكن أن يرقى التطور إلى مستوى «الأديان»، فليس فيه أنبياء ولا وحي ولا أخلاق ولا ثواب ولا عقاب ولا عبادات ولا ما الذي يحدث بعد الموت ولا وجود للروح. وفي نفس الوقت يمكن التوفيق بينه وبين أي معتقد، من الإلحاد الشرس إلى الأصولية الدينية في بعض صورها، وبين أي إلٰه أو قوة عليا أيا كانت، حيث ستستخدم التطور كآلية لتنوع الحياة. وهذا يمكن اعتباره رؤية محايدة للعلاقة بين التطور والدين.

إلا أن النسخة الداروينية للتطور، بغض النظر عما سبق، تعتبر أوسع الأبواب إلى الإلحاد، ولا يمكن التوفيق بينها وبين الاعتقاد بوجود إلٰه قادر حكيم بصورة منطقية أو عقلانية إلا عن طريق التلفيق المتناقض. فقد نصت الرابطة الوطنية لمعلمي الأحياء على أن: «تنوع الحياة على الأرض جاء نتيجة للتطور: وهو عملية طبيعية، غير موجهة أو شخصية، ولا يمكن توقع نتائجها، لنشوء الكائنات وارتقائها من خلال الانتخاب الطبيعي والصدفة والكوارث التاريخية والتغيرات البيئية». وهذه النسخة من التطور (النسخة الداروينية) هي

ما يعتبره الملاحدة أفضل صديق (داعم) للإلحاد. وفيما يلي اقتباسات لبعض العلماء توضح المنهجية التي استخدموها لنشر رؤيتهم الإلحادية من خلال باب التطور الواسع. على سبيل المثال يقول راسل: وهكذا يجعلنا العلم، باختصار، نؤمن بأن العالم أكثر عشوائية وخواءً من المعنى. ويجب أن تجد أفكارنا، في كل مكان من هذا العالم، محلًا. أن الإنسان ما هو إلا نتاج أسباب لم تعلم ما النهاية التي ستحققها. وما أصله ونموه وآماله ومخاوفه وما يحبه وما يعتقده إلا مخرجات لترابطات عشوائية لذرات. أنه ليس هناك عقاب ولا ثواب ولا مشاعر يمكن أن تحافظ على حياة الإنسان بعد القبر. أن جميع المساعي على مر العصور والتفاني والإلهام وسطوع العبقرية البشرية ستؤول إلى زوال عند الموت الكبير للنظام الشمسي. وأنه لا محالة من أن صروح إنجازات البشرية ستدفن تحت أنقاض ركام الكون[١] أيضًا يزيد التطوري جوليان هكسلي قائلًا: «لم يعد هناك حاجة ولا مجال في النمط الفكري التطوري لما وراء الطبيعة. الأرض لم تخلق، وإنما تطورت. وكذلك جميع الحيوانات والنباتات التي تسكنها، بما في ذلك نحن البشر بعقولنا وأنفسنا وأدمغتنا وأجسامنا. وكذلك تطورت الأديان. جميع جوانب الحقيقة تخضع للتطور، من الذرات والنجوم إلى الأسماك والزهور... إلى المجتمعات البشرية والقيم... بل جميع الحقائق تعتبر عملية واحدة من عمليات التطور[٢] وذكر أيضًا في مقال آخر: جميع ما في الكون مصنوع من نفس المادة التي صُنعنا منها ويسير بنفس الطاقة التي نسير بها. «العقل» و«المادة» هما جانبي أجسامنا وعقولنا الموحدة. وليس هناك عوالم خارج الطبيعة: فجميع الظواهر جزء من عملية مادية واحدة من عمليات التطور. ليس هناك تعارض بين العلم والدين فكلاهما عضو في عملية تطور البشر»[٣] وحاول

(١) Russell, B. (1986). *Mysticism and Logic, Including a Free Man's Worship.* Unwin Paperbacks. pages 10-11

(٢) Huxley, J. (1966). *Essays of a Humanist.* New York: Penguin. p. 128.

(٣) Quoted in essay, 'The New Divinity', originally published in The Twentieth Century (1962), 170, 9. Collected in 'Essays of a Humanist' (1964), 218.

التطوري الشهير إرنست ماير إبراز مدى تأثير الفكر التطوري على مؤسسه قائلًا: «من الواضح أن داروين فقد إيمانه في الفترة من ١٨٣٦ إلى ١٨٣٩، وفقد الكثير منه قبل قراءة مالتوس. وكيلا يجرح مشاعر أصدقائه وزوجته، استخدم داروين ألفاظًا لا تعارض وجود الإله في مصنفاته، ولكن الكثير من مذكراته تشير إلى أنه أصبح خلال هذه الفترة مؤمن بالمادية (ويمكن القول بأنه صار ملحدًا)»[١] وذكر أيضًا في مقال آخر: «ترفض الداروينية كل الظواهر والأسباب غير الطبيعية. وتشرح نظرية التطور من خلال الانتخاب الطبيعي تكيف وتنوع العالم من وجهة مادية بحتة. فهي لم تعد تحتاج إلى إله كخالق ومصمم (بالرغم من أن المرء ما زال حرًا للاعتقاد بوجود إله إذا صار تطوريًا). وقد وضح داروين أن الخلق، كما هو موصوف في العهد القديم والثقافات القديمة الأخرى، يتعارض مع كل جوانب العالم المادي»[٢] وأضاف في حجته الطويلة قائلًا: «في الحقيقة هناك اعتقاد جمع كافة المؤمنين الحقيقيين بالداروينية وهو رفضهم لمذهب الخلق ورفضهم للخلق الخاص. هذا هو الشعار الذي تجمعوا حوله وسعوا لنصرته. عندما ادعى هال بأن «الداروينيون لم يجمعوا على شيء فيما بينهم بما في ذلك الحقائق الضرورية» تغافل عن أحد أهم الضرورات التي أجمعوا عليها. فلم يكن شيء أكثر ضرورة بالنسبة لهم من أن الحكم بكون التطور عملية مادية أو موجهًا من قبل الإله. وكان الاقتناع بأن تنوع العالم الطبيعي كان نتيجة لعمليات مادية وليس لعمل الإله هو الفكرة التي جمعت الداروينيين جميعًا على الرغم من اختلافاتهم حول فرضيات داروين الأخرى»[٣]

أيضًا أشار دوكنز، الملحد التطوري الشهير، كيف تأثر بـ«التطور» عند اختياره بين الإيمان والإلحاد. يقول: «أي محامي خلقوي يطلب شهادتي

---

(١) An Article on 'American Scientist'. May 1977:323

(٢) Mayr, E. (2009, November 24). Darwin's Influence on Modern Thought. *Scientific American.* Https://www.scientificamerican.com/article/darwins-influence-on-modern-thought/

(٣) Mayr, E. (1991). *One Long Argument: Charles Darwin and the Genesis of Modern Evolutionary Thought*. P. 99

يمكنه بسهولة الفوز على هيئة المحلفين إذا سألني ببساطة: هل أثر علمك بالتطور على توجهك بأن تصبح ملحدًا؟؟ وسوف أجيب: نعم»[١] وأيضًا قال قولته الشهيرة في الفيلم الوثائقي «المطرودون»: «أصبح بالإمكان أن تكون ملحدًا عن اقتناع عقلي بفضل داروين»[٢] وقال أيضًا في محاولاته المستميتة تزويج التطور بالإلحاد: «بالنسبة لداروين، لم يكن أي تطور بتوجيهَ من الإِله تطورًا على الإطلاق. فهذه الفكرة تنقض أصل التطور من أساسه»[٣] وعلى خطى دوكنز صرح توماس نيجل قائلًا: «إنني أعتقد أن مشكلة السلطة الكونية هذه ليست حالة نادرة، وأنها مسؤولة عن الكثير من العلموية والاختزالية في عصرنا. وأحد الاتجاهات التي تدعمها هو السخرية من استخدام البيولوجيا التطورية لتفسير كل شيء عن الحياة بما في ذلك كل شيء عن عقل الإنسان. لقد مكن داروين الثقافة العلمانية الحديثة من أن تتنفس الصعداء من خلال تقديم طريقة لاستبعاد الغاية والمعنى والتصميم كسمات جوهرية للعالم»[٤]

وأخيرًا وليس آخرًا فإن أفدح الأقوال في هذا الموضوع ترجع إلى بروفن في كلمته في يوم داروين: «التطور هو أعظم محرك للإلحاد تم اختراعه على الإطلاق»[٥]

وعلاوة على ذلك، فإن هذا الرأي لا يتبناه الملاحدة فقط؛ بل يعتقده الكثير من المؤمنين أيضًا. على سبيل المثال، يقول جون هاوت: «يتعارض التطور مع كافة التفسيرات الدينية للكون أيا كانت، وليس فقط مع الأصولية المسيحية. فسيادة التغيرات العشوائية، والتي تسمى اليوم «الطفرات الجينية»،

---

(١) Dawkins. (2006). *The God Delusion*. Bantam Press. page 68.

(٢) Dawkins, R. (1987). *The Blind Watchmaker: Why the evidence of evolution reveals a universe without design.* نيويورك: دبليو دبليو نورتن أند كومباني.

(٣) Dawkins, R. (1987). *The Blind Watchmaker: Why the evidence of evolution reveals a universe without design.* New yorkK W.W. Norton & Company. P. 249.

(٤) Nagel, T. (1997). *The Last Word.* New York: Oxford University Press. P. 130.

(٥) William Provine, "Evolution: Free will and punishment and meaning in life." Slide from Prof. William B. Provine's 1998 "Darwin's Day" address, "Darwin Day" website, University of Tennessee Knoxville TN, 1998

تهدم بشكل قاطع وجود إلٰه حكيم. وحقيقة الصراع والضياع التي يصورها التطور توضح بشكل حاسم أنه لا إلٰه رحيم يهتم بالكون. وحقيقة الانتخاب الطبيعي تعد إشارة واضحة على الكون المجهول الهوية والخالي من المحبة»[١]

وخلاصة القول: معرفة القانون لا يعني الاستغناء عن مقننه إلا في العقول المريضة والأفهام السقيمة، وكذلك الحال في معرفة «قانون التطور» فإن ذلك لا يعني بحال من الأحوال الاستغناء عن وجود مقنن القانون. فالتطور، في أفضل حالاته، لا يقر أو ينفي وجود الإلٰه الخالق شاء الملاحدة أو أبوا. **ولكنه إلى الاستغناء به عن التفسير الديني أقرب بلا أدنى شك من الاستعانة به على فهم النص الديني**، فشتان ما بينهما. وقد حاول التطوريون الملاحدة، وما زالوا يحاولون، نشر منظورهم الضال بنسبة الإلحاد إلى «حقيقة» التطور (في معناه العام) التي تشمل عندهم التطور الصغير والكبير. ولكن هذه التعميمات السخيفة لا تنطلي على من عنده مسكة عقل وإنصاف؛ فالتطور الدارويني الذي يمثلونه لا يقع فقط ضمن نطاق التطور الصغير المتفق عليه، وإنما يقوم على أساس افتراض التطور الكبير كحقيقة مبنية على التطور الصغير، وهو ما ليس عليه دليل واحد حتى هذه اللحظة. وفي الفصل القادم سيقدم الباحث مزيدًا من التفاصيل حول التطور الكبير والتطور الصغير والفروقات بينهما، وتمييز الحقيقة من الفرضية في ثوب التطور المقلّم.

٣,٢ مقدمة إلى التطور الموجه:

في عام ١٩٩٦ أكد البابا، القائد الروحي لأكثر من مليار مسيحي كاثوليكي في ذلك الوقت، بأنه لا تعارض بين التطور والبايبل. وبعد ذلك أعلن عدد كبير من المنظمات الدينية حول العالم عن قبولها للتطور كحقيقة لا تتعارض مع كتبها المقدسة. وبعض هذه المنظمات تم إدراجه في قائمة

---

(١) Haught, J. F. (n.d.). *Science and Religion: From Conflict to Conversation*. p. 52.

«أصوات من أجل التطور» على موقع المركز الوطني لتعليم العلوم[١] أيضًا، هناك «مشروع خطاب رجال الدين»، والذي جمع أكثر من ١٠,٠٠٠ توقيع من رجال دين مسيحيين من مختلف الطوائف يؤكدون فيه على أن التطور لا يتعارض مع المعتقدات الدينية. وفي العالم الإسلامي هناك توجه متنامي للباحثين المسلمين الذين لا يرون أي تعارض بين التطور والقرآن. بل إنهم يستخدمون بعض الآيات القرآنية كأدلة على أن القرآن تنبأ بحقيقة التطور، وأن الإلٰه وصف تطور الإنسان من كائنات أدنى ـ زعموا ـ. ويحاول أنصار التطور الموجه بشكل عام التوفيق اليائس بين رؤيتين متعارضتين للحياة من خلال دراساتهم الدينية العلمية المثيرة للجدل[٢].

مصطلح Theistic Evolution مكون من شقين الأول Theistic والذي يعبر عن اعتقاد وجود الإلٰه، ولكن حسب معتقدهم لم يتدخل الإلٰه بصورة مباشرة أو إعجازية في عملية الخلق. وحسب هذا الرأي، فإن الإلٰه خلق وصمم القوانين الطبيعية التي ستنشأ من خلالها الحياة. ولكنه لم يتدخل بعد ذلك على الإطلاق، أو تدخل في أحيان نادرة، وترك خلقه يسير حسب هذه القوانين الطبيعية. وفي النهاية نشأت الحياة من المواد غير الحية وتبلورت جميع أنواع الحياة، بما في ذلك الإنسان، من خلال آلية التطور. وهذا هو ما يشير إليه الجزء الثاني من المصطلح المركب Evolution.

ويتضمن التطور الموجه العديد من الأفكار المختلفة. فبشكل عام، يجمعون على حدوث التطور، ولكن يختلفون في القدر الذي يتدخل به الإلٰه في هذه العملية. يقول د. عمرو شريف، أحد مؤيدي التطور الموجه في العالم العربي: يرى القائلون بالتطوير الإلٰهي أن الله ﷻ استخدم آلية التطور

---

(١) Sager, C. (2008). *Voices for Evolution* (Third edition ed.). Berkeley, CA: The National Center for Science Education, Inc.

(٢) بعض الباحثين المسلمين المناصرين للتطور الموجه على اختلاف بينهم في تأييد النسخة الداروينية الكلاسيكية أو النسخ الأحدث لنظرية التطور، د. عمرو شريف (مصر)، د. نضال قسوم (المغرب)، د. هاني رزق (سوريا)، د. رنا دجاني (الأردن)، د. محمد باسل الطائي (العراق)، د. أحمد مستجير (مصر)، وغيرهم.

في خلق الكائنات الحية. ومن ثم فهم يؤمنون بفكرة الأصل المشترك باعتبار أن الأدلة العلمية على حدوث التطور لا تدحض. ويرى هؤلاء أن ليس هناك عشوائية ولا حتمية مادية مطلقة؛ بل إن إرادة الله ﷻ وقدرته وراء عملية الخلق. وبعد هذه القاعدة المشتركة، ينقسم هؤلاء إلى فريقين:

أ ـ التصميم الذكي والتدخل الإلٰهي:

يرى هؤلاء أن الخالق ﷻ تدخل من حين لآخر لإحداث التغييرات الجينية اللازمة لإخراج كائنات جديدة، ويمكن وصف هذه التغييرات بأنها طفرات موجهة. ويتمسك أنصار هذا المفهوم بأن الموجودات تبلغ من التعقيد درجة تتطلب أن يظل المصمم الذكي متدخلًا بشكل مباشر (ليس من خلال القوانين الطبيعية) في نشأتها خطوة خطوة حتى تكتمل. ويعتبر هذا الطرح مفهومًا وسطًا بين الطرح العلمي والطرح الديني الأصولي. ويتبناه من مؤسسة ديسكفري Discovery Institute بالولايات المتحدة عالم البيولوجيا الكبير د. مايكل بيهي[1]

ب ـ التصميم الذكي والتطور الموجه:

ويرى هؤلاء أن الخالق ﷻ وضع الشفرة الوراثية (الجينوم) في الخلية الأولى بشكل متناغم مع قوانين الطبيعة، بحيث يسمح لها بتوجيه عملية التطور. ويتزعم هؤلاء عالم البيولوجيا الجزيئية فرانسز كولنز Francis Colins الذي وضع نتائج عمله كرئيس لمشروع الجينوم البشري في كتابه الفذ «لغة الإلٰه The Language Of God»[2]

---

(١) تعقيبًا على تصنيف د. عمرو: هذا الرأي ألصق بالخلقوية والتصميم الذكي لا بالتطور او حتى التطور الموجه؛ لأنه فكرته الرئيسة تتمحور حول «التدخل الإلٰهي المباشر والمستمر» والذي يحدث من وقت لآخر لخلق أنواع جديدة أو كائنات جديدة. كما أن ادعاؤه بأن القاعدة المشتركة لأنصار التطور الموجه لا تؤمن بالعشوائية غير صحيح؛ فكثير منهم، ومنهم كولنز الذي يستشهد بكلامه بل وفي كتابه الذي وصفه بالفذ، يؤمن بأن الانتخاب الطبيعي عشوائي؛ بل إن إقحامه للتصميم الذكي في تقسيم فريق التطور الموجه علامة تعجب كبيرة لمعظم مؤيدي التصميم ومؤيدي التطور! والحاصل أنه تصنيف غير دقيق كما سنرى من خلال البحث، وآثرت وضع التعليق هنا حتى لا أقطع حبل أفكار القارئ.

(٢) عمرو شريف (٢٠١٤)، خرافة الإلحاد، مصر: مكتبة الشروق الدولية، ص٢٣١ ـ ٢٣٢.

٣,٢,١ معنى التطور الموجه:

في البداية ينبغي التنبيه على أن التطور الموجه لا هو نظرية علمية ولا هو فرقة دينية؛ بل لا يوجد تعريف محدد لمصطلح التطور الموجه في المعاجم أو القواميس اللغوية. إلا أن هناك بعض التعريفات التي صاغها عدد من العلماء تتمحور حول فكرة التطور والإيمان بوجود إله. وفيما يلي بعضًا من هذه التعريفات:

- عرف موقع The Biologos، الموقع الرئيسي للترويج للتطور الموجه، المصطلح بأنه: الاعتقاد بأن الإله استخدم آلية التطور لخلق الكائنات الحية، بما في ذلك البشر.

- الرأي القائل بأن التطور والإيمان بوجود إله كلاهما حقيقة. المصطلح غامض لأن كلمة «التطور» تعني أشياء مختلفة. منطقيًّا: قد يكون الشخص مؤيدًا للتصميم الذكي والتطور الموجه في نفس الوقت[(١)]

- يضع أنصار التطور الموجه أنفسهم بين التطوريين الخلّص أو الخلقويين الخلص. فهم يعتقدون أن الإله خلق مواد الكون ثم وجه وراقب العملية التي من خلالها تطورت جميع أنماط الحياة من أبسط الأنماط وحيدة الخلية إلى أكثر الأنماط التي تعرفها اليوم تعقيدًا. لقد كان التطور وسيلة الإله للوصول إلى الوضع الحالي من خلال المواد الأولية التي خلقها الإله[(٢)]

- التطور الموجه مصطلح متناقض ذاتيًّا، شيء ما يشبه «عشوائية هادفة»[(٣)]

٣,٢,٢ تاريخ التطور الموجه:

ظهر مصطلح «التطور الموجه» في حلبة المناقشات منذ عام ١٨٧٧، وكان أحد أوائل رواده الجيولوجي الكندي الشهير جون و. داوسون في كتابه

---

(١) Richards, J. W., & A. (2010). *God and Evolution*. Seattle: Discovery Institute Press. P. 22.

(٢) Baxter, B. B. (1971). *I Believe Because*. Baker Book House. p. 159.

(٣) Dembski, W. A. (1996). *What Every Theologian Should Know about Creation, Evolution and Design*. The Princeton Theological Review.

«أصل العالم حسب الوحي والعلم» والذي نشر عام ١٨٧٧. إلا أنه في الآونة الأخيرة مال بعض أنصار التطور الموجه إلى إطلاق تسميات أخرى تناسب توجهاتهم. وأشهر الأمثلة على ذلك فرانسس كولنز الذي أسس بيولوجوس. فكولنز يستخدم المصطلح بيولوجوس للتعبير عن رأيه بصورة شمولية، والذي يتوافق مع التطور الموجه بشكل عام. أما اللاهوتي الإنجيلي دينيس لامورو، وهو واحد من أكثر الكتاب المؤهلين في هذا الموضوع (حصل على دكتوراه في اللاهوت ودكتوراه البيولوجيا)، فيفضل بشدة مصطلح «الخلق التطوري» (Evolutionary Creation)؛ لأنه يظن أن التركيز على اسم «الخلق» «يجب أن يكون أكبر من التركيز على الصفة «التطوري»، وهو شيء لا يقوم به مصطلح» التطور الموجه». أيضًا جورج مورفي، أحد أنصار التطور الموجه البارزين جدًّا، لديه تحفظات حول المصطلح، إلا أنه يقر بتقبله الواسع النطاق ويوافق على الفكرة نفسها أن «التطور هو وسيلة الله في عملية الخلق»[١]

ويرجع التوجه المتزايد للتطور الموجه إلى الترويج المتزايد للتطور كـ«حقيقة». وبالتالي؛ بدأ الكثير من العلماء المؤمنين بمحاولة التلفيق بين حقيقة التطور وتفسيرات نصوصهم الدينية[٢] وجميعهم، مسلمون ومسيحيون وغيرهم، متفقون على تفسير نصوصهم الدينية تفسيرات مجازية دون محاولة معارضة حقيقة التطور العلمية المزعومة.

٣,٢,٣ آثار ومآلات التطور الموجه:

طرحت الأكاديمية الوطنية للعلوم في كتيبها حول التطور هذا السؤال: هل يمكن للشخص أن يؤمن بوجود إلٰه ويقبل التطور في نفس الوقت؟ وكانت إجابة دبلوماسية إلى حد كبير من منظمة يعتبر ٩٥٪ من علماء البيولوجيا بها

---

(١) See more at: http://biologos.org/blogs/ted-davis-reading-the-book-of-nature/science-and-the-bible-theistic-evolution-part-1#sthash.PKPr4Eal.dpuf

(٢) ولغرض التوضيح، سيتم استخدام مصطلحي «الكتب المقدسة» و«الوحي» في سياق هذا البحث للإشارة إلى العهد القديم أو العهد الجديد أو القرآن أو إليهم جميعًا. مع التأكيد بأن الباحث لا يعتقد بأن العهد القديم أو العهد الجديد بصورتهما الحالية وحيًا من الله.

أنفسهم ملحدين أو لا أدريين[1]. أجابوا: «العديد بالفعل كذلك. وغالب الأديان في العالم لا تتعارض بصورة ظاهرية مع فكرة التطور. ويؤمن العديد من أتباع اليهودية والمسيحية بأن الإله يعمل من خلال آلية التطور. بأن الإله خلق عالمًا متغيرًا باستمرار وآلية من خلالها تكيف المخلوقات أنفسها مع التغير البيئي بمرور الزمن. ويرجع التعارض الظاهري بين بعض الأديان والتطور إلى إساءة فهم الاختلاف المحوري بين الطرق الدينية والعلمية في الوصول إلى المعرفة. فلكل من الأديان والعلم نطاقات البحث المختلفة بخصوص العالم. فالأسئلة التي لا يجيب عنها العلم هي الغاية من وجود الكون أو الغاية من وجود البشر. وتلعب مصادر المعرفة الدينية والعلمية، وستظل كذلك، الأدوار المحورية خلال تاريخ البشرية. ولا يوجد مصدر واحد للمعرفة يمكنه الإجابة على كافة الأسئلة التي يطرحها البشر. وبالتالي؛ يتمسك العديد من الناس، بما فيهم العديد من العلماء، بعقائد دينية قوية وفي نفس الوقت يقبلون وقوع التطور»[2].

وبالتالي؛ أحد أهم آثار ومآلات التطور الموجه هو التوفيق المزعوم بين التعارض المزعوم بين حقيقة التطور المزعومة والنصوص المقدسة. ومع ذلك، توجد العديد من الآثار والمآلات الأخرى حسب اعتقادهم، فمن بين هذه المآلات:

- لغة النصوص المقدسة لغة مجازية وتتعارض تفسيراتها الحرفية مع الحقائق العلمية.

- التطور، بشكل عام دون أي تخصيص، حقيقة علمية مدعومة بالملايين من الأدلة.

- البشر ليسوا استثناءً من عملية التطور، وليس هناك تدخل إلهي في إيجاد آدم.

---

(١) Witham, L. A. (2002). *Where Darwin Meets The Bible: Creationists and Evolutionists in America*. USA: Oxford University Press. p. 273.

(٢) Group of Scientists. (2004). *Teaching about Evolution and the Nature of Science*. USA: National Academy Press. P. 58.

- بالنسبة لأتباع الأديان الإبراهيمية على وجه الخصوص[1]، ليس هناك ما يسمى بآدم وحواء (كشخصيتين تاريخيتين)، وقصتهم عبارة عن مجازات بلاغية تشير إلى مجموعة من القردة العليا التي تطورت إلى الإنسان الحديث.

- بالنسبة لأتباع الأديان الإبراهيمية، يتعارض الإيمان بالخلق الخاص مع الحقائق العلمية، ويجب أن يزال هذا الإيمان. الإله لم يخلق آدم بيديه، ولا أسجد له ملائكته.

- بالنسبة لأتباع الأديان الإبراهيمية، ليس هناك أي قيمة للعلماء السابقين الذين فسروا النصوص تفسيرًا حرفيًّا، حيث إن علمهم المحدود قادهم إلى التفسير الخاطئ لمعاني النصوص الدينية المتعلقة بالخلق.

- بالنسبة للمسيحيين، الوحي جزء لا يتجزأ من النظرة القديمة للعالم، والتي كانت سائدة في هذا العصر. وبالتالي؛ يحتوي البايبل على العلوم القديمة التي قد تكون خاطئة في الواقع إذا أخذناها على ظاهرها كمعاني مرادة من الإله. وقد حاجج بيرنارد رام عن هذا الرأي في كتابه «الرأي المسيحي في العلم والنصوص الدينية» على الرغم من أنه من أنصار Old Earth Creationist خلقوية الأرض القديمة وليس من أنصار التطور الموجه. وقد ذهب دينيس مورو إلى أبعد من ذلك في كتابه «أنا أحب المسيح وأقبل التطور». فكما لا نفسر علم الفلك في البايبل «حرفيًّا»، بالكون المكون من ثلاث طبقات، لا ينبغي لنا أن نفسر علم الأحياء في البايبل «حرفيًّا» أيضًا، بالأنواع الثابتة والخلق الخاص قبل بضعة آلاف من السنين.

- بالنسبة للمسيحيين، يواجه أنصار التطور الموجه أسئلة يصعب جدًّا الإجابة عليها من خلال النظرة التطورية للحياة. هل كانت «معصية آدم وحواء» حدثًا تاريخيًّا حقيقيًّا؟ وإذا لم يكن، فما هي الخطيئة الأصلية؟

---

(١) الأديان الإبراهيمية مصطلح يتم عادة استخدامه في الأوساط الأكاديمية للإشارة إلى اليهودية والمسيحية والإسلام.

- بالنسبة للمسلمين، إجماع العلماء حول تفسيرات الآيات المتعلقة بقصة خلق آدم لا يعد شيئًا إلى جانب حقيقة التطور المزعومة.

- بالنسبة للمسلمين، الأحاديث النبوية حول قصة الخلق لا يمكن قبولها أو اعتبارها حتى لو كانت في أعلى درجات الصحة.

٣,٣ العلاقات المتداخلة بين التطور والإيمان والتطور الموجه:

٣,٣,١ العلاقة بين التطور الموجه والإيمان بوجود إله:

أولًا: وعلى عكس التصميم الذكي، فإن المواضيع الدينية مطروحة للنقاش بشكل علني حول الإله والطبيعة والإنسانية عند أنصار التطور الموجه. وهذا لأن منظري التصميم الذكي يقصرونه على حدود العلم التجريبي، وهو ما لا يناسب النقاش حول القضايا الغيبية.

ثانيًا: يؤمن أنصار التطور الموجه بالإله والكتب المقدسة، ولكنهم لا يلزمون أنفسهم بالتفسير الحرفي لنصوص هذه الكتب، وخاصة سفر التكوين في العهد القديم وكذلك الآيات التي تناولت قصة آدم في القرآن. فهم يعتبرون «التعبيرات الواردة في الكتب المقدسة حول مسألة الخلق مجازية بشكل كاف بحيث لا تقدم أي قيود أو بالكاد قيود قليلة حول الوصول إلى الآلية التي نشأت بها الحياة»[١] وبشكل مستمر يؤكدون رأيهم حول هذه القضية، كما قال بعضهم: «من الخطأ معاملة السفر الأول (سفر التكوين) كأطروحة علمية. فما هو إلا بيان بلاغي لقيومية الإله وافتقار البشر التام إليه. إنه قصة عن روعة الخلق وكذلك عن عصياننا المشين. في هذه الحالة فإن ما ورد في سفر التكوين يكون حقيقة، سواء أقر الشخص بالأصول البيولوجية التطورية أم لا»[٢]

ثالثًا: الكتب المقدسة ليست مصادر موثوقة للمعرفة العلمية حول أصل

---

(١) Hearne, W., & Hendry, R. (1959). "*The Origin of Life,*" *Evolution and Christian Thought Today*. Eerdmans. p. 69.

(٢) Blackmore, V., & Page, A. (1989). *Evolution: The Great Debate*. Oxford, UK: Lion Publishing. pages. 188, 189.

الأرض والكون، بما في ذلك الكائنات الحية، وجميع القضايا العلمية الأخرى؛ لأن هذه الكتب لم تعد بالأساس لتعليمنا العلم التجريبي (بمفهومه المادي). وعلى الجانب الآخر، فإن الكتب المقدسة مصادر موثوقة بالطبع للمعرفة حول الإله والقضايا الغيبية. ولا يمكن السماح بالمزيد من الجوانب العلمية في الوحي.

رابعًا: يتفق أو يكاد يتفق أنصار التطور الموجه، على اختلاف أديانهم، حول التفسير المجازي لقصة آدم. وعادة ما يأخذون صف الملاحدة المؤمنين بالتطور ببيان أن البشرية تطورت ببطء من أنماط الحياة البدائية من خلال المراحل التطورية الحيوانية عبر الحقب الزمنية. ويعتقدون بأن جنس البشر البدائيين عاش قبل ظهور آدم بآلاف السنين. ثم اختار الإله آدم من بين هذا الجنس ونفخ فيه من روحه ليحوله من مجرد حيوان إلى إنسان. ثم وضعه في جنة عدن. وبالتالي؛ فإن آدم هو أول جنس البشر الحديث من الناحية الروحية وليس من الناحية الجسدية. وآخرون يرون أن آدم وحواء مجرد أسماء رمزية للمجموعة التي تطورت إلى الإنسان العاقل. يقول ر. ج. بيري، أحد أهم منظري ومتحدثي أنصار التطور الموجه: «لا يحتاج المسيحي لأن يكون في مشكلة مع سجل حفريات الإنسان وعلاقة الإنسان الحديث بغيره من أشباه البشر؛ لأنه علم أن الإله خلق الإنسان من مادة موجودة بالفعل. فبالتأكيد لا توجد أي صعوبة في الإيمان بأن الإله فعل هذا الخلق الخاص في قرد شبيه بالإنسان. ولا يوجد أي سبب للإيمان بأن هذا القرد الشبيه بالإنسان تغير من الناحية الشكلية أو الجينية بأي طريقة يمكن لعالم انثروبولوجيا اكتشافها»[١] وأضاف أيضًا نافيًا المعاني الحرفية لقصة خطيئة آدم وحواء: «المعصية لم تؤدي إلى وجود الموت المادي... ونحن مخطؤون حينما ننسب المرض والمعاناة كنتيجة مباشرة وحتمية للخطيئة ـ المسيح نفسه أشار إلى أن هذا سوء فهم للكتاب المقدس (إنجيل لوقا. سفر ١٣: إصحاح ١ ـ ٤). يمكن دراسة

(١) Berry, R. J. (1985). *Creation and Evolution*. Leicester, UK: Inter-Varsity Press. p. 80.

آدم من الناحية البيولوجية من قبل علماء الأنثروبولوجيا والتطور، بينما يمكن دراسته من الناحية الروحية من قبل المؤمنين (الرسالة إلى العبرانيين: ١١ : ٣)»[١]

ولمزيد من الإيضاح حول آدم من الناحية التاريخية، كتب جون ستوت، عالم اللاهوت، مقالًا في جريدة كنيسة إنجلترا جاء فيه: «يبدوا أن من الممكن التوفيق بين تاريخية آدم مع بعض رؤى التطور الموجه. وفي الحقيقة، يفعل العديد من المسيحيين ذلك مدفوعين بالإيمان بأنه لا يوجد تعارض بين هذا وذاك. فالتأكيد بتاريخية زوجين صدرت منهم الخطيئة يعتبر حدثُا ما، ومن الخطأ رفض التطور بالكلية والتأكيد بوجود الخلق الخاص لكل شيء بالنسبة للمخلوقات الأدنى من آدم ولآدم نفسه. وهذا الاقتراح (لأنه لا يعدو أكبر من ذلك) لا يبدو أنه ضد نصوص الكتب المقدسة، وبالتالي يصير مستحيلًا، بأن الإله جعل الإنسان على صورته لم يكن إلا بأن يختم الإله صورته على واحد من أشباه البشر العديدين الذين كانوا على قيد الحياة في ذلك الوقت»[٢]

٣,٣,٢ العلاقة بين التطور والتطور الموجه:

أولًا: التطور حقيقة:

من العقائد المشتركة بين كافة أنصار التطور الموجه أن العلم أثبت التطور كـ«حقيقة». وبالتالي؛ يشعرون بالحاجة إلى جعل النصوص الدينية تتنبأ به أو على الأقل لا تتعارض معه. يستشهد ر. ج. بيري بأحد العلماء غير المسيحيين، وهو ريتشارد ليونتين، ليؤكد بشكل قاطع أن التطور حقيقة: «حان الوقت لدارسي التطور، وخاصة هؤلاء الذين تم اصطيادهم واستخدامهم من قبل الخلقويين، أن يعلنوها بوضوح أن التطور حقيقة وليس نظرية. وأن نطاق البحث في علم الأحياء حاليًا هو تفاصيل المسائل المتعلقة بالتطور والأهمية النسبية لآلياته المختلفة»[٣]

---

(١) نفس المصدر، ص١٠٥.

(٢) John Stott, The Church of England Newspaper, June 7, 1968.

(٣) R. C. Lewontin, cited by: Berry, R. J. (1985). *Creation and Evolution*. Leicester, UK: Inter-Varsity Press. p. 105.

وهذا الرأي مشابه تمامًا لرأي التطوريين الملاحدة من حيث إنها تفترض أصلًا ماديًا للحياة وإن كان مصممًا من قبل الإلٰه. فأنصار التطور من الملاحدة أيضًا يعتقدون بأن الحياة نشأت طبيعيًّا من مواد موجودة سابقة غير حية بفعل وتأثير قوانين طبيعية. ولكن مع التأكيد على خلو النظرة التطورية الإلحادية من الإلٰه وعدم تفسير أصل هذه القوانين الطبيعية الخالقة.

ثانيًا: أنصار الخلق الخاص وأنصار التصميم الذكي هم أعداء العلم:

يتفق أنصار التطور الموجه والملاحدة على اتهام المعسكر المقابل للتطور بأنه عدو للعلم وأصولي. على سبيل المثال يقول ستيف آلين: «على الرغم من أنه من العبث أن ينكر الأصوليون الحرفيون وجود التطور، باعتبار إمكانية ملاحظة هذه العملية بسهولة في الواقع، فإنه من الخطأ المماثل الادعاء بأنه في حال حدوث التطور، فإن مجرد حقيقة وجوده تدحض إمكانية وجود الله. ففي الحقيقة، لا يوجد صلة ضرورية أو مجافاة بين التطور والإلٰه. وغالبية المسيحيين المتعلمين تعليمًا جيدًا، وكذلك أفراد الأديان الأخرى، يؤمنون بأن التطور هو وسيلة الإلٰه العملية لخلق وتطور كافة جوانب الطبيعة بما فيها من كائنات حية، سواء نباتات أو حيوانات. ومن الواضح أن الأصوليون فقط هم من لا يفهمون هذا الأمر»[١]

ثالثًا: نفس السيناريو التطوري لنشأة الكون، والذي يعارض الترتيب الحرفي المذكور في الكتب المقدسة:

يتصور أنصار التطور الموجه سيناريوهًا داروينيًّا تتطور فيه النجوم ثم نظامنا الشمسي ثم الأرض ثم النباتات والحيوانات وأخيرًا الإنسان. وعلى الرغم من اختلاف آراء أنصار التطور الموجه حول الدور الذي لعبه الإلٰه في عملية الخلق، إلا أنهم يتفقون بشكل عام على الجدول الزمني الداروينيِ. وهذا الجدول الزمني يتعارض بصورة صارخة مع التفسيرات الحرفية لسفر التكوين حول مسألة الخلق، لكن تعارضه مع آيات القرآن التي تحدثت عن

---

(١) Allen, S. (1990). *On Religion, The Bible, and Morality*. Buffalo, New York: Prometheus Books. p. 94.

نفس العملية أقل بكثير. على سبيل المثال، يقول سفر التكوين بأن الأرض خلقت في اليوم الأول، ثم حتى اليوم الرابع خلقت الشمس والقمر والنجوم، وهذا يتعارض بوضوح مع السيناريو التطوري. أيضًا، يوضح سفر التكوين بأن الطيور خلقت مع الكائنات البحرية في اليوم الخامس، بينما الكائنات الأرضية لم تخلق إلا في اليوم السادس. وفي هذا تعارض ظاهر مع المنظور الداروينى الذي يرى بأن الطيور تطورت من الحيوانات الأرضية.

٣,٤ ملخص الفصل:

يتضح من ثنايا هذا الفصل أن التطور الموجه مبني بصورة أساسية على المنظور التطوري المادي لأصل الحياة، ومدعم بنفس أدلته أيضًا. وحين تتشابك الرماح بين مؤيدي ومعارضي التطور، يميل غالب أنصار التطور الموجه ـ في الغالب ـ إلى جانب التطوريين الماديين ضد أنصار الخلق الخاص أو أنصار التصميم الذكي.

وعلى الجانب الآخر، فأي نقد لنظرية التطور سيكون بطبيعة الحال نقدًا لمنظور التطور الموجه في نفس الوقت. وخاصة فيما يتعلق بالنقد العلمي لـ«الانتواع»، والذي يتعلق بأساس المنظور التطوري بأن أنواع جديدة تطورت من أنواع سابقة. وهذا ما سيتم إلقاء الضوء عليه في الفصل القادم إن شاء الله.

الفصل الرابع

تحليل نقدي لكافة جوانب نظرية التطور

٤,١ مقدمة:

قبل الانغماس في التحليل النقدي لأسس التطور الذي قد يتضمن ويشير إلى أمور مختلفة بعضها حقائق واضحة في حين أن البعض الآخر هي ادعاءات لا أساس لها من الصحة، فإن البحث سيوضح بإيجاز الفرق بين ما هو متفق عليه كحقيقة وما هو مختلف فيه كنظرية أو فرضية لا دليل تجريبي عليها. وهذا ما يسمى بالتطور الصغير والتطور الكبير، والذي يكاد يكون قد تم تغييبه ـ عمدًا ـ في كتابات مؤيدي التطور «الداروني». فجميعهم يتفقون على الهروب من هذا التقسيم الفاضح للمتسلطين بالنظرية على الحقيقة والمفتونين بهم. وقبل ذلك وحتى يفهم القارئ العادي سيعرض البحث بإيجاز أيضًا مفهوم الحمض النووي والأنواع لأهميتهم الشديدة ولترتب النقاط التالية في البحث عليهم.

٤,١,١ الحمض النووي وتركيبه:

الحمض النووي الريبي منقوص الأكسجين:

مصطلح الحمض النووي هو اختصار للحمض النووي ديوكسي ريبوز، والذي طرح للمرة الأولى في عام ١٩٣١[١] وهو الجزيء الذي يحمل

(١) Dna. (n.d.). *Online Etymology Dictionary*. Retrieved June 3, 2017 from Dictionary.com website http://www.dictionary.com/browse/dna

المعلومات الوراثية في جميع الكائنات الحية. ويعمل جزيء الحمض النووي على التفسير الأساسي لقوانين علم الوراثة. وتتمثل السمة الأساسية في الحمض النووي بترتيبها المنتظم من النيوكليوتيدات الأربعة، مع أربع أجزاء بسيطة من المعلومات (القواعد الأربعة). ويقوم الحمض النووي بترميز جميع المعلومات اللازمة للنمو من الحيوانات المنوية والبويضة إلى كائن حي معقد (مثل الشخص الذي يقرأ هذا الكتاب). وبالتالي تكون الخلية نتيجة تصميم وهندسة فائقين[(١)]

يقوم الحمض النووي بثلاثة وظائف هامة:

أولًا: عندما تنقسم الخلية، ينحل الحمض النووي، ويكون كل شريط شريكًا جديدًا من المواد المحيطة [وهي عملية تسمى النسخ المتماثل أو الانقسام الميتوزي]. حيث تكون الخلايا الناتجة عن انقسام الخلية لها نفس الحمض النووي الأصلي.

ثانيًا: في التكاثر الجنسي، يساهم كل من الوالدين بشريط من شريطي الحمض النووي للذرية الناتجة [وهي عملية تسمى بالانقسام الميوزي]. [فيكون شريطي جزئ الدي إن إيه الخاص بالذرية ناتجين عن اتحاد شريط من جزئ الأب والشريط الآخر من جزئ الأم].

ثالثًا: داخل الخلية، الحمض النووي يسيطر على إنتاج البروتينات والجزيئات الأخرى الضرورية لوظيفة الخلية[(٢)]

كان التركيب الكيميائي للجينات والكروموسومات لغزا لفترة طويلة حتى عام ١٩٤٤، عندما اكتشف أوزوالد آفيري أن الحمض النووي هو المادة الوراثية الأساسية للخلية. حيث تم تحديد التركيب الجزيئي للحمض النووي في عام **١٩٥٣** من قبل جيمس واتسون من الولايات المتحدة وفرانسيس كريك من إنجلترا. وقد قرر علماء الوراثة الفرنسيون فرانسوا جاكوب وجاك مونود

---

(١) Sinden, R. R. (1994). *DNA Structure and Function.* USA. Academic Press, Inc. Page 1.

(٢) Dna. (n.d.). *The American Heritage Ø* New Dictionary of Cultural Literacy, Third Edition. Retrieved June 1, 2017 from Dictionary.com website http://www.dictionary.com/browse/dna

لاحقًا كيفية توجيه الحمض النووي لتوليف البروتين، وبالتالي فك الشفرة الوراثية لجزيء الحمض النووي. وحدد العلماء الذين عملوا على مشروع الجينوم البشري، وهو دراسة لمدة ١٣ عاما أنجزت في عام ٢٠٠٣، تسلسل الحمض النووي لثلاثة مليارات من أزواج القواعد في الحمض النووي البشري وحددوا ما يقرب من ٢٥ ٠٠٠ من الجينات في الجينوم البشري[١]

ويشترك في أهميته للخلية وعلى نفس القدر الحمض النووي الريبي (RNA)، وهذا الحمض النووي يشبه إلى حد كبير الحمض النووي الديوكسي ريبوزي DNA باستثناء ثلاث سمات رئيسية:

١ ـ الحمض النووي الريبي يتكون من حبل واحد (إلا في بعض الفيروسات).

٢ ـ تحتوي النيوكليوتيدات في الحمض النووي الريبي على الريبوز بدلا من الديوكسي ريبوز.

٣ ـ قاعدة اليوراسيل تحل محل قاعدة الثيمين الموجودة في الحمض النووي الديوكسي ريبوزي[٢]

وتسمى الخريطة الوراثية الكاملة للكائن الحي بـ«الجينوم». ويحتوي الجينوم على مجموعة كاملة من التعليمات الوراثية لتكوين جميع الجزيئات التي تشكل الكائن الحي. ويتكون الجينوم ـ في حالة البشر ـ من أكثر من ٣ مليارات من أزواج الحمض النووي DNA... فالجينوم البشري، مثل جينومات جميع الحيوانات الحية، هو مجموعة من جزيئات طويلة من الحمض النووي. حيث يتم الحفاظ على هذه الجزيئات في نسخة مكررة في شكل الكروموسومات في نواة كل خلية بشرية. وتقوم هذه الكروموسومات بترميز تسلسل قواعدها (A, G, C, T) لتحديد تفاصيل الخصائص الجزيئية والفيزيائية للكائن الحي. ويوفر تسلسل هذه الجزيئات وتنظيمها وهيكلتها والتعديلات

---

(١) Anderson, M. (2012). *A closer look at genes and genetic engineering* (First ed.). New York, USA: Britannica Educational Publishing in association with Rosen Educational Services, LLC. p. 34.

(٢) نفس المصدر، ص٤١.

الكيميائية التي تحتوي عليها للجينوم القدرة على تكرار نفسه، وإصلاح ما يتلف منه، وكذلك القدرة على الحفاظ على نفسه. وبالإضافة إلى ذلك، فإن الجينوم ضروري لبقاء الكائن البشري. وبدون الجينوم، لا يمكن لأي خلية أو نسيج أن يعيش سوى فترة قصيرة من الزمن[(١)]

تركيب الحمض النووي:

يعد الحمض النووي العنصر الأساسي للجين، ويتكون الحمض النووي من اثنين من فروع الوحدات البيوكيميائية تسمى النيوكليوتيدات. وتتكون النيوكليتيدات من الفوسفات، والديوكسي ريبوز (السكر)، وواحدة من أربع قواعد تحمل النيتروجين. حيث تقوم الروابط الكيميائية بربط القواعد على أحد الشريطين مع القواعد الموجودة على الشريط الآخر، وتشكيل أزواج القواعد. ويشبه الجزيء السلم، حيث تكون القوائم هي شرائط الحمض النووي لـ«الجانبين» والروابط الكيميائية هي «خطوات/ درجات» السلم. ويلتف سلم النيوكليتيدات حول نفسه مشكلًا الحلزون المزدوج[(٢)] ويلاحظ أن القواعد المذكورة أعلاه هي التي تشكل لغة الجينات. «لغة الجينات لديها أبجدية بسيطة، ليست مكونة من ستة وعشرين حرفًا، ولكن فقط أربعة. هي الأربعة قواعد الخاصة بالحمض النووي الأدينين والغوانين والسيتوزين والثيمين (T ـ C ـ G ـ A). حيث يتم ترتيب تلك القواعد في كلمات من ثلاثة أحرف مثل: TGG أو CGA. ومعظم هذه الكلمات رمز للأحماض الأمينية المختلفة، التي اتحدت مع بعضها لتكوين البروتينات، التي هي لبنات بناء الجسم»[(٣)]

كل كائن حي، سواء كان حيوانًا أو نباتًا أو بكتيريا، له بنية حمض نووي خاصة به وفريدة من نوعها. ويحدد هيكل الحمض النووي ما سيكونه هذا الكائن الحي، شكله، وخصائصه البيولوجية، وقدراته وجميع الخصائص

---

(١) نفس المصدر، ص٤٢.

(٢) نفس المصدر، ص٣٩. انظر أيضًا:

Raineri, D. (2001). *Introduction to Molecular Biology*. U.S.A., Blackwell Science, Inc. P. 4-8.

(٣) Jones, J. S. (1993). *The Language of the Genes: Biology, History and the Evolutionary Future*. p. 3.

المميزة الأخرى من فصيلة لأخرى، وحتى من فرد إلى آخر في نفس النوع. على سبيل المثال، الحمض النووي للبشر يختلف عن الأنواع الأخرى، ولكن كل إنسان له تركيب الحمض النووي الخاص به. وجميع البشر متشابهون في ٩٩,٩٪ من بنية الحمض النووي، والـ ٠,١٪ الأخرى تحدد كل التمايز بين البشر، من حيث الشكل واللون والطول... إلخ. وهذا يوجهنا إلى معرفة ما يميز الأنواع عن بعضها البعض. فهذه المعرفة بالتركيب الجيني والحمض الوراثي نستطيع من خلالها التمييز بدقة بين أفراد النوع الواحد؛ إذا كل فرد من أفراد النوع له التركيب الجيني الخاص به. نجد مثلًا في قضايا إثبات النسب أو التعرف على الجثث المشوهة - عافانا الله وإياكم - أو التعرف على المجرمين أو ما شابه ذلك أن الاختبار الحاسم لتحديد الشخص هو اختبار الحمض النووي، وهو اختبار لا يكذب، وإن كان يمكن الكذب به وعليه!

فهل يمكن للحمض النووي أيضًا أن يميز بين الأنواع وبعضها البعض؟ والإجابة نعم؛ فكل نوع من أنواع الكائنات الحية له حوضه الجيني الخاص به، والذي يختلف عن الحوض الجيني للأنواع الأخرى. ولا يشترط في التشابه الجيني قرابة الأنواع المختلفة من بعضها البعض، فإن التركيب الجيني للخيول أقرب إلى الخفافيش منه إلى البقر[١]. وكذلك يتشابه تتابع الحمض النووي للحيتان والخفافيش بصورة تكاد تكون متطابقة[٢] ولمن يفضل أكل السمك فإن السمك قد يكون أذكى من القردة[٣] وأن الثعابين والبقر يتشابهون في ربع تركيب حمضهم النووي[٤] والأغرب من ذلك أن التركيب الجيني الفعال للبشر (يعني: باستثناء الجينات الخردة) يتشابه مع التركيب الجيني «للفئران» في أكثر من ٩٧,٥٪؛ يعني: هناك ٢,٥٪ فقط من المحتوى الجيني الذي يفصل البشر عن الفئران، وهو ما يهدم فكرة السلف المشترك التي تقوم

---

(١) Https://www.newscientist.com/article/dn9402-bats-and-horses-get-strangely-chummy/

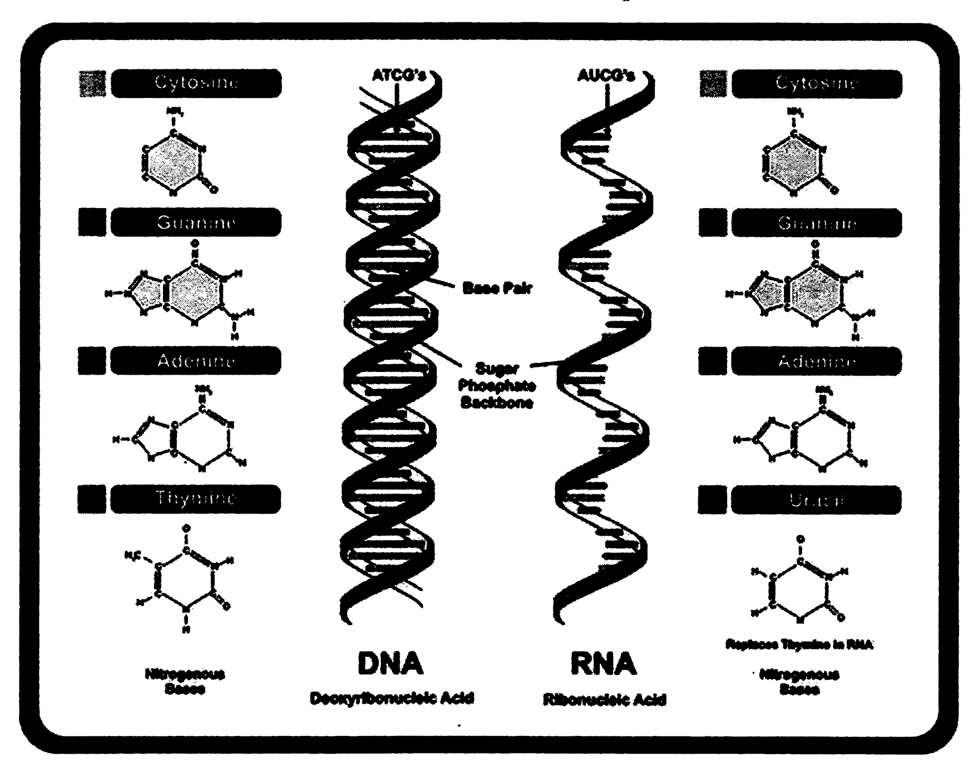
(٢) Https://www.sciencedaily.com/releases/2010/01/100125123219.htm

(٣) Http://nautil.us/issue/40/learning/fish-can-be-smarter-than-primates

(٤) Http://phenomena.nationalgeographic.com/2013/01/01/how-a-quarter-of-the-cow-genome-came-from-snakes/

عليها الداروينية كما سيأتي بيانه لاحقًا إن شاء الله[1] ومما ينكأ جراح من يؤمن بالنظرية التطورية عندما يقرأ هذه البحوث «العلمية» المنشورة في مجلات ومواقع «تطورية» أن يعرف أن الاختلاف بين بروتينات الشمبانزي والإنسان يصل إلى ٨٠٪، وهو ما يعد من أكبر الاختلافات بين الفقاريات بشكل عام[2] وأن جزيئات الحمض النووي الريبي RNA غير المشفرة تختلف كذلك بين الإنسان والشمبانزي ـ أقرب الأنواع للإنسان في السلم التطوري ـ بنسبة ٧٠٪[3] وأنه في ١٥٪ من الحمض النووي تكون الغوريلا أقرب للإنسان من الشمبانزي[4]

شريطي الحمض النووي وقواعده الأربعة



(١) Https://www.newscientist.com/article/dn2352-just-2-5-of-dna-turns-mice-into-men/

(٢) Http://www.ncbi.nlm.nih.gov/m/pubmed/15716009/

(٣) Https://genomebiology.biomedcentral.com/articles/10.1186/s13059-016-0880-9

(٤) Https://www.nature.com/news/gorilla-joins-the-genome-club-1.10185

السيتوزين	Cytosine
الجوانين	Guanine
الأدينين	Adenine
الثيمين	Thymine
اليوراسيل قاعدة تحل محل الثيمين في ال RNA	Uracil
القواعد النيتروجينية	Nitrogenous Bases
الحمض النووي (الديوكسي ريبوزي)	Deoxyribonucleic Acid
الحمض النووي الريبي	Ribonucleic Acid

الشكل ١: تركيب الحمض النووي والحمض النووي الريبي. الحمض النووي هو الشريط المزدوج، في حين أن الحمض النووي الريبي هو الشريط الواحد. المصدر: أوديكس شاترستوك.

٤,١,٢ مفهوم النوع وعملية الانتواع:

على الرغم من أن تعريف الأنواع أمر بالغ الأهمية لفهم التطور، وخاصة في التفريق بين التطور الكبير والتطور الصغير، إلا أنه لا يوجد اتفاق بين العلماء - حتى كتابة هذه الكلمات - على مفهوم واضح ومحدد للأنواع.

مشكلة الأنواع:

بذل علماء البيولوجيا وخبراء التصنيف العديد من المحاولات لتحديد الأنواع، بدءًا من التشكل والتحرك وانتهاء بعلم الوراثة. ولم يكن لدى خبراء التصنيف في وقت مبكر مثل ليناوس أي خيار سوى وصف ما رأوه. وقد تم إضفاء الطابع الرسمي على ذلك في وقت لاحق كمفهوم الأنواع الطوبولوجية أو المورفولوجية - والتي تعتمد على دراسة الصفات الظاهرية -. في حين أكد ماير على مفهوم العزلة الإنجابية، ولكنها مثل مفاهيم الأنواع الأخرى، من الصعب أو حتى من المستحيل اختبارها. كما أن بعض العلماء قد سجلوا أكثر من ٢٠ تعريفا لنفس المصطلح «الأنواع». منهم عالم الأحياء ر. ل. مايدن الذي سجل حوالي ٢٤ تعريفًا[١]، في حين ذكر فيلسوف العلوم جون ويلكنز

(١) Mayden, R. L. (1997). M. F. Claridge, H. A. Dawah, M. R. Wilson, ed. *A hierarchy of species concepts: the* =

٢٦ تعريفًا[١]

تعرف المسألة المثيرة للجدل المتعلقة بتعريف الأنواع باسم «مشكلة الأنواع». وحينما نرجع إلى جوهر التطور نجد أنه انحدار أنواع من الكائنات الحية من أنواع أخرى، ولكن لا يوجد تعريف متفق عليه أو مفهوم لمصطلح «لأنواع» بين التطوريين أنفسهم. والقضية هنا أن التطوريين يحاولون دائما تهميش مفهوم الأنواع في فهم جوهر التطور. وبالتالي؛ ليس هناك مجال للتمييز بين التطور الصغير Microevolution أو الكبير Macroevolution، أو بعبارة أخرى، التفريق بين التكيف أو التغيير عبر الزمن والانتماء لفصيلة معينة وبين تطور أنواع جديدة بالكلية من أنواع سابقة لها. وفي نهاية المطاف، يحاولون إقناع أنفسهم بأن حقيقة التغير عبر الزمن وكذلك فرضية التطور الكلي للأنواع الجديدة من خلال الانتقاء الطبيعي والطفرات الجينية العشوائية تشير إلى نفس الشيء.

وعلى الرغم من معضلة إعطاء تعريف متفق عليه للأنواع، فيما يلي بعض المحاولات لتوضيح معناه وبعض تعريفاته:

كلمة نوع «Specie» مشتقة من الكلمة اللاتينية من نفس الأحرف، والتي تعني الصنف أو النوع، والكلمة في الأصل تعني «المظهر أو المنظر أو الرؤية»، أو مشتقة من الكلمة اللاتينية «specere»، وهو ما يعني «أن ننظر إلى، أن نرى»[٢]

التعريف الاصطلاحي للأنواع: هي مجموعة من الكائنات الحية التي لها خصائص عديدة مشتركة، وتقع في سلم التصنيف تحت «الجنس». فالكائنات الحية التي تتكاثر جنسيًّا وتنتمي إلى نفس النوع تتزاوج وتنتج ذرية لها القدرة على التناسل. أما الأنواع فهي أصغر وحدة قياسية من التصنيف البيولوجي،

=denouement of the species problem. *The Units of Biodiversity-Species in Practice Special Volume 54*. Systematics Association.

(١) Zelnio, K. (2012, April 20). Species Concepts. *Scientific American*. Retrieved June 8, 2017.

(٢) Species. (n.d.). *Online Etymology Dictionary*. Retrieved June 7, 2017 from Dictionary.com website http://www.dictionary.com/browse/species

ويمكن تقسيمها إلى أصناف أو سلالات أو أنواع فرعية[١]

في القرن الثامن عشر، قام العالم السويدي كارل ليناوس بتصنيف الكائنات الحية وفقًا للسمات الجسدية المشتركة، وليس على أساس الاختلافات بينها[٢] ووفقا لتصنيف لينيان، فقد صنفت النباتات والحيوانات تقليديًا حسب هيكل أجسادها، في تسلسل هرمي تنازلي للفئات: المملكة، والشعبة، والطبقة، والنظام، والأسرة، والجنس، والأنواع. على سبيل المثال، يصنف البشر على أنهم ينتمون إلى مملكة الحيوان، وشعبة الحبليات، وفئة الثدييات، وترتيب الرئيسيات، وجنس الإنسان، ونوع العاقلين.

ويدور الجدل بين العلماء حول ما إذا كان ينبغي الإبقاء على نظام التصنيف التقليدي أو لا فيرى البعض أن تصنيف الكائنات الحية من أصولها مع تجميع أحفاد السلف الواحد معًا، هو أكثر انسجامًا مع أفكار التطور. بينما الآخرون يريدون تصنيف الكائنات الحية من قبل تكوينهم الجيني، وذلك باستخدام التسلسل في الحمض النووي أو الحمض النووي الريبي. وكل منهما يقدم مخططات لطرق مختلفة لترتيب الأحياء، ولكن ليس هناك ما يعرف بالصواب المطلق في هذه التقسيمات[٣]

ويقول داروين نفسه، الذي حاول معرفة أصل الأنواع، أن مصطلح «الأنواع» لا يمكن تحديده: «من المضحك حقًا أن نرى ما هي الأفكار المختلفة الناتجة عن اختلاف علماء الطبيعة عندما يتحدثون عن «الأنواع». في بعضها يعتبر التشابه هو كل شيء والنسب الوراثي ليس له أهمية، وفي بعضها لا يوجد وزن كبير للتشابه، وفي بعضها فكرة «الخلق» هي الحاكمة، وفي

---

(١) Species. (n.d.). *The American Heritage Ø* Science Dictionary. Retrieved June 7, 2017 from Dictionary.com website http://www.dictionary.com/browse/species

See also: species. (n.d.). *The American Heritage Ø* New Dictionary of Cultural Literacy, Third Edition. Retrieved June 7, 2017 from Dictionary.com website http://www.dictionary.com/browse/species

(٢) Davis, P. H.; Heywood, V. H. (1973). *Principles of Angiosperm Taxonomy*. Huntington, New York: Robert E. Krieger Publishing Company. P. 17.

(٣) Linnean classification. (n.d.). *The American Heritage Ø* New Dictionary of Cultural Literacy, Third Edition. Retrieved June 7, 2017 from Dictionary.com website http://www.dictionary.com/browse/linnean-classification

بعضها النسب الوراثي هو المفتاح، وكل ذلك يأتي، على ما يبدوا لي، من محاولة لتحديد ما لا يمكن تحديده»[١].

وقد أسهم السير فريدريك أندروز أكثر من ذلك في منع وضع مفهوم واضح للأنواع، قائلًا: «لا يعتقد عالم الأحياء في الوقت الحاضر في الثبات المطلق للأنواع»[٢].

وقدم إرنست ماير، وهو الرائد في مجال التطور، التعريف الأكثر شيوعًا للأنواع، والذي تعتمده معظم المصادر البيولوجية الحديثة، قائلًا: «الأنواع هي مجموعات من السكان الطبيعيين أو المحتملين للتزاوج، وهي معزولة عن مجموعات أخرى من هذا القبيل»[٣] ومع ذلك، اعترف ماير نفسه بمشكلة تعريف الأنواع قائلًا: «من الواضح أن المرء لا يستطيع دراسة أصل الفجوات بين الأنواع ما لم يفهم المرء ما هي الأنواع. ولكن علماء الطبيعة أخذوا وقتًا طويلًا في محاولة للتوصل إلى توافق في الآراء حول هذه النقطة في كتاباتهم، وهذا ما يشار إليه باسم «مشكلة الأنواع». حتى في الوقت الحاضر ليس هناك إجماع بعد على تعريف الأنواع. وهناك أسباب مختلفة لهذه الخلافات، ولكن هناك اثنان من أهم الأسباب. الأول هو أن مصطلح الأنواع يطبق على أمرين مختلفين جدا، على الأنواع كمفهوم وعلى الأنواع كمجموعة تصنيفية. ويشير مفهوم الأنواع إلى معنى الأنواع في الطبيعة وإلى دورها في الأسرة المعيشية للطبيعة. بينما تشير المجموعة التصنيفية للأنواع إلى مجموعة من السكان التي تفي بمتطلبات تعريف مفهوم للأنواع. المجموعة التصنيفية للإنسان العاقل هو مجموع السكان الموزعة جغرافيا المؤهلون للانضمام تحت مفهوم نوع معين. السبب الثاني لـ«مشكلة الأنواع» هو أنه خلال ال ١٠٠ سنة الأخيرة تغير معظم الطبيعيين من الالتزام بمفهوم الأنواع الطوبولوجية إلى قبول مفهوم

(١) Darwin, F. (1888). *The Life and Letters of Charles Darwin: Charles Darwin. Letter to J. D. Hooker (24 Dec 1856)*. p. 446.

(٢) Andrewes, F. W. (1906). *The Evolution of the Streptococci* (Vol. 2). The Lancet. 2, 1415-6.

(٣) Mayr, E. (1942) *Systematics and the Origin of Species* (Columbia Univ. Press, New York).

الأنواع البيولوجية»[1]

وجود مفاهيم متنوعة ومتباينة للأنواع ليس جديدًا؛ لأن المفاهيم المختلفة تقوم على خصائص ذات أهمية كبيرة لمختلف تخصصات علماء الأحياء. فعلى سبيل المثال، يميل علماء الأحياء الذين يدرسون مناطق التهجين إلى التأكيد على حواجز التكاثر بين الأحياء، في حين يميل التقليديون النظاميون إلى التشديد على قابلية التشخيص وأحادية النمط الخلوي، ويميل علماء البيئة إلى التركيز على الاختلافات الفرعية الخاصة، في حين يميل علماء الحفريات وعلماء المتاحف إلى التشديد على الاختلافات المورفولوجية، ويميل علماء الوراثة وعلماء النظام الجزيئي إلى التأكيد على الاختلافات الجينية. ومع ذلك، فبالنسبة للعلماء القادرين على تحييد آرائهم الشخصية والمصالح البحثية جانبًا، فإن جميع المفاهيم التي أنتجوها لها بعض الاحترام والجدارة. ومن المؤكد أنها كلها تقوم على خصائص بيولوجية هامة[2]

في عصر بحوث البيولوجيا الجينية والجزيئية، من المرجح أن تكون البحوث التي تركز على الحمض النووي والمختصة بالتمييز بين الأنواع المختلفة أكثر دقة من الأبحاث التي تركز على التشابهات المورفولوجية، وذلك مع اعتبار مسألة التزاوج وإنتاج الأجيال الخصبة. ومن المثير للاهتمام أن المنحازين للتطور ـ بما في ذلك عبارات ماير الطويلة المذكورة أعلاه ـ أصروا على تجنب التمييز بين الأنواع من خلال المناهج البحثية التي تركز على الجانب الجيني، والتي تفصل بمسافة طويلة جدا بين التطور الصغير والتطور الكبير، والتي بدورها فضحت الادعاء بأن التطور الدارويني الأعمى حقيقة علمية. وفي ظل هذا المعنى الهام لعملية الانتواع لإدراك ما هو تطور صغير وما هو تطور كبير، نأتي إلى إلقاء الضوء على هذه المفاهيم إمعانًا في هدم المنظور الدارويني من جذوره لكل من يبحث عن الحقيقة.

---

(١) Mayr, E. (2002). *What evolution is?* UK: PHOENIX paperback. P. 193.

(٢) De Queiroz, K. (2005, May 3). Ernst Mayr and the modern concept of species. *PNAS: Proceedings of the National Academy of Sciences of the United States of America, 102.*

٤,١,٣ التطور الصغير والتطور الكبير:

في سياق المناقشات بين المؤمنين بالتطور والمعارضين له يتم استخدام مصطلحي «التطور الصغير» و«التطور الكبير» للإشارة إلى معان مختلفة. فالمؤمنين بالتطور يصرون على استخدام مفهوم التطور بشكل عام للدلالة على التطور الصغير والتطور الكبير. ويرون الفرق الوحيد بين هذين النوعين من التطور هو الوقت والمقياس، ولكن العملية هي نفسها. من ناحية أخرى، يصر المعارضون للتطور على الفرق الشاسع بين مفهومي التطور الصغير والتطور الكبير حيث إن التطور الصغير هو عملية قابلة للتغيير قابلة للاختبار والتجربة داخل نفس النوع؛ أي: أن الأجيال تختلف ولكن ضمن نفس المجموعة الجينية ولا يتغير تركيب حوضها الجيني، ولكن العملية التطورية التي تتناسب مع مجموعة جينية معينة لم يحدث أن حولتها إلى مجموعة جينية أخرى. وهذا على الأقل هو ما لوحظ بشكل طبيعي أو صناعي. وعلى الرغم من ذلك ففيما يلي بعض الضوء على التطور الصغير والتطور الكبير:

التطور الصغير:

يعرف التطور الصغير بأنه التغير التطوري تحت مستوى الأنواع، وهو ناتج عن الاختلافات الجينية الصغيرة نسبيًا. وينشأ عن التطور الصغير سلالات جديدة. ويؤدي تراكم العديد من التغيرات التطورية الصغيرة إلى حدوث تطور كبير[١] ويمكن تقسيم هذا التعريف إلى جزأين:

الجزء الأول: «التغير التطوري تحت مستوى الأنواع، والذي ينتج عنه التنوعات الجينية الصغيرة نسبيًا، وينشأ عن التطور الصغير سلالات جديدة»، وهو يتماشى مع آراء المؤمنين بالتطور والمعارضين له. هذا هو الجزء الوحيد من «التطور» الذي سيكون مقبولًا من جميع الناس. وكذلك هو الجزء الوحيد من «التطور» الذي يمكن اختباره وتجريبه وملاحظته في الطبيعة والمختبر. مما

---

(١) Microevolution. (n.d.). *The American Heritage Ø* Science Dictionary. Retrieved June 8, 2017 from Dictionary.com website http://www.dictionary.com/browse/microevolution

يجعله الجزء الوحيد من «التطور» الذي يمكن إثباته من خلال الأدلة العلمية والمنهجية العلمية. إذا كان التطور يشير فقط إلى هذا المعنى المحدد، لن يكون هناك أي نقاش أو اختلاف بين العلماء على ذلك. ولكن المقصود بمصطلح التطور هو الدلالة على التطور الكبير فقط، مع إعطاء أدلة على التطور الصغير باستخدام الجملة العظيمة «على مدى ملايين السنين». وقد قدم التطوريون أطنانًا من الأدلة على التطور الصغير لإثبات التطور الكبير، والذي ليس عليه دليل واحد، ولا يمكن اختباره أو إثباته على الإطلاق، قائلين إنه «يحدث على مدى ملايين السنين».

وبناء على ذلك، يمكن فهم التطور الصغير بشكل واضح كما أوجزه الدكتور هشام عزمي عندما قال: «فحقيقة التطور الصغير أنه عبارة عن تغير يقع في المظهر الخارجي أو الوظائف الحيوية أو القدرة على التكاثر أو تتابع النيوكليوتيدات داخل الجين الواحد، لكنه لا يشمل التغير في تركيب الحمض النووي المميز للنوع. وبينما يقوم الحمض النووي بتحديد كل نوع، يقوم ترتيب النيوكليوتيدات داخل الجينات بتحديد التنوع والاختلافات بين سلالات النوع الواحد، وهذا التنوع هو المقصود بالتطور الصغير. فخلاصة الموضوع أنه مع التطور الصغير لا توجد أنواع جديدة، قد توجد سلالات جديدة، أما أنواع جديدة فلا. نشوء أنواع جديدة يتطلب وقوع التغير في تركيب الحمض النووي نفسه»[١]

الجزء الثاني من التعريف: «تراكم العديد من التغيرات الصغيرة التطورية ينتج عنه التطور الكبير»، مما يدل على أن التحول الصغير مع مرور الوقت يؤدي إلى ظهور أنواع جديدة. ويسمى هذا الجزء من التطور التطور الكبير.

التطور الكبير:

هو التطور الذي يؤدي إلى تشكيل مجموعة تصنيفية جديدة فوق

---

(١) هشام عزمي (٢٠١٦)، التطور الموجه بين العلم والدين، الطبعة الثانية، المملكة المتحدة: مركز براهين، ص٣٤.

مستوى الأنواع[1]

وقد تمت الموافقة على هذا التعريف من قبل الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم، التي وصفت التطور الصغير كتغيير على نطاق صغير داخل الأنواع، والتطور الكبير كتشكيل أنواع جديدة، ولكنه لا يختلف عن التطور الصغير. ففي التطور الكبير، يؤدي تراكم التغيرات التطورية الصغيرة إلى أنواع جديدة.

هذا هو الجانب المتنازع عليه من التطور. ومن المفارقات أن مصطلح «التطور» يستخدم عادة وبشكل عام للإشارة إلى جانب التطور المتنازع عليه؛ التطور الكبير، وليس الجانب المتفق عليه؛ التطور الصغير. ومن أجل فهم الاستخدام المزدوج للمصطلح، قال مايكل إبيغا: «يتم استخدام مصطلح «التطور الصغير» للإشارة إلى أنه نوع من التغيير الذي يتراكم ليصبح «التطور الكبير». وعلى الرغم من ذلك فهناك عدد متزايد من التطوريين يعترفون أنه لا يوجد أي دليل على ذلك. وهكذا، يتم الخلط الاستقرائي بين ظاهرة يمكن ملاحظتها وظاهرة لا يمكن ملاحظتها ولا يوجد دليل عليها، ثم يتم الإعلان عن هذه الأخيرة لتكون (حقيقة) على قوة الأولى. وهذا هو النوع من الاستقراء الخاطئ الذي يميز الكثير من الجدل حول التطور!»[2]

اعترافات التطوريين:

ويعترف المنصفون من المؤمنين بالتطور بالفجوة الكبيرة بين التطور الصغير والتطور الكبير. فعلى سبيل المثال، يقول إرنست ماير:

«السبب في أن هذا الجدل لم يتم تسويته تمامًا هو أن هناك صراعًا مذهلًا بين النظرية والملاحظة. ووفقًا للنظرية الداروينية، فإن التطور ظاهرة سكانية وينبغي أن تكون تدريجية ومستمرة. وينبغي أن يكون هذا صحيحًا ليس فقط للتطور الصغير ولكن أيضًا للتطور الكبير وكذلك للانتقال بين الاثنين،

---

(١) Macroevolution. (n.d.). *The American Heritage Ø* Science Dictionary. Retrieved June 8, 2017 from Dictionary.com website http://www.dictionary.com/browse/macroevolution

(٢) Ebifegha, M. (2009). *The Darwinian Delusion: The Scientific Myth Of Evolutionism.* AuthorHouse â. P. 82.

وللأسف، يبدو أن هذا يتعارض مع الملاحظة. فأينما ننظر إلى الكائنات الحية، سواء على مستوى الأصناف الأعلى أو حتى في الأنواع، فإن الانقطاعات تتكرر بأغلبية ساحقة! ومن بين الأصناف الحية لا يوجد وسيط بين الحيتان والثدييات الأرضية، ولا بين الزواحف والطيور أو الثدييات، وهناك فجوات تفصل بين جميع شعب الحيوان التي يبلغ عددها ٣٠ شعبة. ويبدو أن هناك فجوة كبيرة بين النباتات المزهرة (كاسيات البذور) وأقرب أقربائها. وحالات الانقطاع أكثر وضوحًا في السجل الأحفوري. وعادة ما تظهر أنواع جديدة في السجل الأحفوري فجأة، لا علاقة لها مع أسلافهم بأي سلسلة وسيطة. وبالتأكيد هناك حالات قليلة نوعًا ما من السلاسل المستمرة من الأنواع المتطورة تدريجيًا»[١] **وهذا الاعتراف الصادق يعتبر غصة في حلق كل متعصب للداروينية، فهي تعارض المنهج العلمي التجريبي القائم على الملاحظة؛ بل تفترض أمورًا وتقدم تفسيرات متناقضة تمامًا مع الملاحظات ومتناقضة مع الأسس التي بنيت عليها.**

وكتب ثلاثة علماء أحياء آخرون في مجلة علم الأحياء التنموي: «ابتداء من سبعينيات القرن الماضي، بدأ العديد من علماء الأحياء التشكيك في مدى الكفاءة في تفسير التطور. فقد تكون الوراثة كافية لشرح التطور الصغروي، ولكن التغيرات الجزئية التطورية في الجينات لم ترى من قبل قادرة على تحويل الزواحف إلى حيوان ثديي أو تحويل سمكة إلى برمائيات. وينظر التطور الصغروي إلى التكيفات على أنها تتعلق فقط ببقاء الأصلح، وليس وصول الأصلح. كما يشير غودوين (١٩٩٥)، «أصل الأنواع - مشكلة داروين - لا تزال دون حل»»[٢]

وعلاوة على ما سبق، فقد اختتم ريتشارد غولدشميت، عالم الجينات المعروف في نهاية كتابه «الأساس المادي للتطور» بأنه لا يمكن لأي تطور

---

(١) Mayr, E. (2002). *What evolution is6* UK: PHOENIX paperback. P. 208.

(٢) Gilbert, S., Opitz, J., & Raff, R. (1996). Resynthesizing Evolutionary and Developmental Biology. *Developmental Biology*, (173), 361. Retrieved May 5, 2017.

صغروي أن يؤدي إلى التطور الكبير، قائلًا: «النتيجة كما هي عليه اليوم، والتي حاولنا أن نبنيها على مجموعة كبيرة من الحقائق المتنوعة تتلاقى نحو نقطة مركزية واحدة، ويمكن التعبير عنها في جمل قليلة. وهي أن التطور الصغير يحدث داخل الأنواع من خلال تراكم الطفرات الدقيقة واحتلال المواقع الإيكولوجية المتاحة من قبل نواتج الطفرة بعد تكيفها. ويساعد التطور الصغير، لا سيما حال التنوع الجغرافي، على تكيف الأنواع مع الظروف المختلفة الموجودة في نطاق التوزيع المتاح. ولا يؤدي التطور الصغير إلى ما هو أبعد من حدود الأنواع، والمنتجات النموذجية للتطور الصغير، أما الأجناس التي تتباين بالتوزيع الجغرافي فليست من الأنواع الأولية»[١]

وتتم مناقشة الشعور بالتفريق بين التطور الصغير (أو الصغروي) والتطور الكبير (أو الكبروي) في الطبيعة والآلية وكذلك في الوقت والحجم وهذا على نحو متزايد في الأبحاث التي قدمها المؤمنون بالتطور. على سبيل المثال، نصت ورقة بحثية حديثة: «لقد نوقشت منذ فترة طويلة ما إذا كان يمكن استخلاص العمليات والآليات المسؤولة عن الاختلاف المظهري داخل السكان أو بين السكان المرتبطين ارتباطًا وثيقا لشرح الاتجاهات التطورية على مدى مسافات أطول من النشوء والارتقاء خاصة الجيل المتعلق بالهياكل الجديدة.

وعلى الرغم من إحراز تقدم كبير في السنوات الأخيرة في معالجة الأساس الجيني للتغيرات التطورية الجزئية، فإن معظم هذه الجهود لم يقدم الكثير لمعالجة هذا النقاش. ولا يمكن تطبيق الدراسات الجينية التطورية، بطبيعتها، إلا على المجموعات ذات الصلة الوثيقة. فعلى سبيل المثال، تقتصر عملية رسم الخواص الكمية على الأنواع ذات الصفات المورفولوجية المميزة القادرة على إنتاج سلالة قابلة للحياة وذلك عند اختلاطها بشكل طبيعي أو صناعي»[٢]

---

(١) Goldschmidt, R. (1940). *The Material Basis of Evolution.* New Haven: Yale University Press. p. 396.

(٢) Cooper, K. L., & Tabin, C. J. (2008). Understanding of bat wing evolution takes flight. *Genes & Development, 22*(2), 121-124.

وخلاصة القول: أن مصطلح التطور يتم استخدامه في معظم المراجع البيولوجية في الوقت الحاضر يقتصر على التطور الكبير، وليس التطور الصغير. حيث إن كلا المصطلحين (التطور والتطور الكبير) يشيران إلى تطور بنية DNA جديدة وكذلك تطور أنواع جديدة باعتبار التطور هو الطريقة الوحيدة لإنتاج أنواع جديدة، في حين أن التطور الصغير لم يؤد أبدًا إلى تكوين بنية DNA جديدة أو تكوين أنواع جديدة. وقد أجاب الدكتور هشام عزمي على سؤال: **لماذا لا ندرج التطور الصغير في مفهوم التطور؟** بقوله: «يمكننا ذلك، لكن المشكلة أن التطور الصغير لا يؤدي إلى نشوء تركيب جديد للحمض النووي، ولأجل أن تكون نظرية داروين صحيحة لابد أن يكون التطور قادرًا على تخليق ملايين التراكيب الجديدة المتتابعة من الحمض النووي، وهذا ما لا يحققه التطور الصغير إطلاقًا، وليس هو مقصود التطوريين عند الكلام عن نظرية التطور، ولأجل هذا فهو لا يصلح لإدخاله في مصطلح التطور الدارويني. . . فرغم أن داروين استعمل لفظ التطور ليشير إلى أمثلة من التطور الصغير والكبير على السواء، إلا أننا ينبغي أن نضع في الاعتبار جوهر النظرية؛ ألا وهو نشوء الأنواع الجديدة من أخرى قديمة صعودًا حتى الإنسان، فقط التطور الكبير يحقق هذا المقصود، وبالتالي فإن مقصود النظرية في الحقيقة لا يتفق إلا مع التطور الكبير القادر على تخليق أنواع جديدة، ولأجل هذا فنحن نستعمل مصطلح التطور لنقصد التطور الكبير فقط لا غير»[١]

في ضوء ما ذكر، فإن التطور ليس حقيقة. والحقيقة هي أن التطوريين يستخدمون مصطلحات غامضة للإشارة إلى المعاني الغامضة. والحقيقة هي أن التطوريين يستخدمون البراهين الخاصة بالتطور الصغير لإثبات التطور الكبير. والحقيقة هي أن التطوريين ليس لديهم تعريف محدد للأنواع، التي هي أساس

(١) هشام عزمي (٢٠١٦)، التطور الموجه بين العلم والدين، الطبعة الثانية، المملكة المتحدة: مركز براهين، ص٤٩ ـ ٥٠.

ظهور أو تطور الأنواع الجديدة. وقد ذكر هذه الحقيقة بوضوح أحد أبرز علماء الكيمياء الحيوية وتكنولوجيا النانو في العالم في الوقت الحاضر، جيمس تور، عندما قال في محاضرة على موقع يوتيوب: «إذا كان أي شخص يجب أن يكون قادرًا على فهم التطور فهو أنا؛ لأنني أركب الجزيئات الحيوية. وأنا لا أقوم بشراء معدات وخلط هذا وخلط هذا والحصول على ذلك! وإنما أنا أعني حرفيًّا أني أعد جزيئات حيوية. وأنا لا أفهم التطور، وسوف أعترف لكم بذلك!... اسمحوا لي أن أقول لكم ما يجري في غرف العلم مرة أخرى، مع أعضاء الأكاديمية الوطنية، مع الفائزين بجائزة نوبل، فقد جلست معهم بشكل فردي وليس في العلن؛ لأنه شيء مخيف أن يقول شخص ما قلته الآن، أقول هل تفهم كل هذا؟ من أين جاء كل هذا؟ وكيف يحدث هذا؟ في كل مرة جلست معهم وهم متخصصون في الكيمياء الاصطناعية يقولون ما يدل على عدم فهمهم للأمر! هؤلاء الناس حتى الآن لا يفهمون كيف تم دمج هذه الأمور معًا!... جلست مع أعضاء الأكاديمية الوطنية والفائزين بجائزة نوبل، وأحيانًا أقول هل تفهم هذا؟ وإذا كانوا يخشون أن يقولوا نعم فإنهم لا يقولون شيئًا، ويقومون فقط بمجرد التحديق في وجهي!... أنا أفهم التطور الصغير، أنا حقًّا أفعل ذلك، ونحن نفعل ذلك طوال الوقت في المختبر، ولكن عندما يكون لديك تغييرات في الأنماط، عندما يكون لديك تغييرات في الأعضاء، عندما يكون لديك خطوط تطور تحدث كلها مجتمعة في نفس المكان والزمان، فهذا من الصعب جدًّا أن يتم سبر أغواره!... كنت في إسرائيل [فلسطين المحتلة] منذ وقت ليس ببعيد، وقمت بالحديث مع مهندس بيولوجي، كان يصف لي الأذن، وكان يدرس التغيرات المختلفة في معامل الأذن، قلت كيف جاء هذا؟ فقال: عجبًا يا جيم! أنت تعرف أننا جميعا نؤمن بالتطور ولكن ليس لدينا أي فكرة عن كيفية حدوث ذلك»[١] وتأكيدًا على نفس الحقيقة حول استحالة وتعقيد الاستدلال

---

(١) Https://youtu.be/PZrxTH-UUdI. From 52:05 to 56:35.

على التطور الكبير يقر بول ويسون: «لم يتم حتى الآن فهم الابتكارات التطورية الكبيرة؛ فلم يسبق أن لوحظ أي شيء، وليس لدينا أي فكرة عما إذا كان أيًّا منها في طريقه للحدوث، وليس هناك أي سجل أحفوري جيد لأي منها!»(١)

وفي هذه المقدمات كفاية لذوي البصائر للتشكك في مدى كون التطور «حقيقة» لا تقبل الجدل، وخاصة إذا كان المعني بهذا المعنى هو التطور الكبير لا الصغير. إذ كيف يكون حقيقة دون دليل مادي واحد نستطيع اختباره، وكيف يكون حقيقة وهو مبني على خلط استقرائي وقياس مع الفارق! وإذا لم يقتنع بعد من ذاب وعيه بين شعاب المادية وسلم فكره لطغاتها، فدونه في النقاط التالية أيقونات التطور الهشة التي بُني عليها بنيانه المتهالك، معراة من تزيين الباطل، منهكةً من سهام الحق، لا تقوم لها قائمة فضلًا عن أن يقوم عليها أي شيء، ليستيقن الذين آمنوا إيمانًا!

٤,٢ النقد العلمي لأدلة التطور:

والمقصود بها أمهات أدلته التي صاغها داروين ومن قبله ومن بعده، فمع التنزل أنها منهجية علمية، فإن الأدلة التي زعموا أنها تنقل التطور إلى مصاف الحقائق أدلة مضطربة تناقض في نفسها وفي دعواها الحس والمكتشفات العلمية. وفيما يلي أهم هذه الأدلة والانتقادات المثارة حولها من قبل أهل التخصص من التطوريين وغيرهم:

٤,٢,١ الانفجار الكامبري:

ويعرف الانفجار الكامبري على أنه: [الظهور المفاجئ و]التنوع السريع للكائنات متعددة الخلايا والذي حدث في العصر الكامبري. وأدى ذلك إلى ظهور جميع الحيوانات الحديثة تقريبا(٢) فحسب جوناثان ويلز: «في أفريقيا

---

(١) Wesson, P. (1991). *Beyond Natural Selection.* Cambridge, MIT Press. p. 206.

(٢) Cambrian explosion. (n.d.). *The American Heritage Ø* Science Dictionary. Retrieved June 8, 2017 from Dictionary.com website http://www.dictionary.com/browse/cambrian-explosion

وأستراليا، أبلغ الجيولوجيون عن الرواسب غير المتحولة التي يزيد عمرها عن ثلاثة مليارات سنة والتي تحتوي على كائنات متحجرة أحادية الخلية. وقد تم العثور على رواسب أصغر عمرًا تحتوي على حفريات «ستروماتوليتس» عبارة عن طبقات من البكتيريا الضوئية والرواسب التي تتشكل في البحار الضحلة. لكن حفريات ما قبل الكامبري تكونت من كائنات أحادية الخلية فقط حتى لحظة الكامبري»[١]

ويضيف إروين وفالانتاين: «تظهر مجموعة كبيرة ومتنوعة من الحفريات الحيوانية في الترسيبات التي يرجع تاريخها الجيولوجي إلى الفترة بين حوالي ٥٣٠ إلى ٥٢٠ مليون سنة مضت، وذلك في وقت مبكر من عصر الكامبري. خلال هذا الوقت، ظهرت ـ تقريبا ـ للمرة الأولى جميع المجموعات الحيوانية الحية الرئيسية (فيلا) التي لديها هياكل عظمية في الأحافير. والمثير للدهشة أن عددًا من تلك المواقع قد احتوت على حفريات تحافظ على تفاصيل الأعضاء المعقدة على مستوى الأنسجة، مثل العينين والأحشاء والزوائد. وبالإضافة إلى ذلك، ظهرت العديد من المجموعات ذات الأجساد اللينة (الرخوة) والتي لا يمكن الحفاظ عليها إلا في ظل ظروف غير عادية.

ولأن العديد من تلك الحفريات تمثل مجموعات معقدة مثل الفقاريات والمفصليات، فإنه يبدو من المرجح أن جميع المجموعات على مستوى الشعبة الرئيسية من الحيوانات الحية، بما في ذلك العديد من المجموعات الصغيرة اللينة جسديًا ـ التي لم نجدها في الواقع على صورة حفريات ـ قد ظهرت في نهاية الكامبري المبكر!»[٢]

واستطرد ويلز قائلًا: «إن الانفجار الكامبري يمثل تحديًا خطيرًا للتطور الداروينى، فقد كان حدثًا لافتًا لأنه كان مفاجئًا وواسع النطاق، وقد كان كذلك لأنه حدث بسرعة كبيرة، ولأنه واضح من الناحية الجيولوجية، ولأن

---

(١) Wells, J. (2002). *Icons of Evolution: Science Or Myth?* (First Paperback ed.). U.S.A. Regnery Publishing. p. 37.

(٢) Erwin, D., & Valentine, J. (2013). *The Cambrian Explosion*. Roberts & Co. page. 5.

العديد من المجموعات الرئيسية من الحيوانات ظهرت لأول مرة في ذلك الوقت. لكن تحدي الانفجار الكامبري لنظرية داروين لا يكمن كثيرًا في كونه مفاجئًا (فلا يهم حقًّا ما إذا كان قد استمر ٥ ملايين سنة أو ١٥ مليون سنة)، ولا في مداه (لا يهم إذا ما سبقته الإسفنجيات، أو أن هناك بعض أنواع الديدان ظهرت في وقت لاحق بعده)، وإنما في حقيقة أن الشعب والأنواع ظهرت مرة واحدة في البداية. بينما تدعي نظرية داروين أن الاختلافات على مستوى الشعب والأنواع تظهر فقط بعد تاريخ طويل من التشعب من الفئات الأقل مثل الأنواع والأجناس والأسر والرتب. ولكن لا يتفق الانفجار الكامبري مع هذه الصورة. كما قالها التطوري جيفري شوارتز «تظهر المجموعات الحيوانية الرئيسية في السجل الحفري كما ظهرت أثينا من رأس زيوس؛ حيث انفجرت مرة واحدة وأخذت تمضي في طريقها»[١]

إحدى أهم دعاوى التطور الدارويني الرئيسية هي التطور التدريجي البطيء على مدى فترات طويلة من الزمن. إلا أن الانفجار الكامبري هو أحد أصعب التحديات التي تواجه التطور الدارويني، كما اعترف داروين نفسه. «عندما كتب تشارلز داروين «أصل الأنواع» في عام ١٨٥٩، كان الظهور المفاجئ للحفريات الحيوانية في بداية الكامبري مصدر قلق شديد له. وقال إنه يتناقض مع وجهة نظره القائلة بأن تنويع الحياة على الأرض عن طريق الانتقاء الطبيعي يتطلب وقتًا طويلًا. وتنبأت نظرية داروين أن المجموعات الرئيسية للحيوانات يجب أن تتباعد تدريجيًّا خلال التطور، وكان يعلم أن الظهور المفاجئ للأحافير سوف يتم استخدامه من قبل خصومه كحجة قوية ضد نظرياته من الارتقاء مع التعديل والانتخاب الطبيعي. ونتيجة لذلك، قال إن فترة طويلة من الزمن ـ غير ممثلة في السجل الأحفوري ـ يجب أن تكون قد سبقت الكامبري للسماح لمختلف المجموعات الرئيسية للحيوانات أن تتباعد. وخلال تلك الفترة كانت الطبقات التي نعتبرها الآن كامبرية قد صنفت وفقًا لمفهوم العصر السيلورياني، لذلك كتب داروين:

---

(١) Wells, J. (2002). *Icons of Evolution: Science Or Myth?* (First Paperback ed.). U.S.A., Regnery Publishing. P. 41.

«ليس عندي شك في أن كل ثلاثيات الفصوص السيلوريانية قد انحدرت من قشريات، التي لابد وأن تكون قد عاشت قبل فترة طويلة من العصر السيلورياني. وبالتالي؛ إذا كانت نظريتي صحيحة، فلا جدال أنه قبل ترسب الطبقات السيليورية الأدنى قد انقضت فترات طويلة، بنفس طول الفاصل الزمني الكامل منذ العصر السيلورياني وحتى يومنا هذا، أو ربما أطول. . . . . وهذه الحالة في الوقت الحاضر لا يمكن تفسيرها؛ بل يمكن استخدامها كحجج قوية بالفعل ضد وجهات نظري التي أثبتها هنا» (أصل الأنواع، ١٨٥٩، ص٣١٣ ـ ٣١٤ ـ ملاحظة: في وقت داروين، تم استخدام «سيلوريان» كاسم تم إطلاقه على أقدم الطبقات الأحفورية المعروفة، مع ملاحظة أن «الكامبري» لم يرد ذكره في فهرس هذه الطبعة من الأصل)»(١)

وقد علق جوناثان ويلز على نفس تصريح داروين قائلًا: «كان داروين مقتنعًا، مع ذلك، بأن المشكلة واضحة وظاهرة. فالسجل الأحفوري هو «تاريخ العالم الذي تم حفظه بشكل غير كامل» كما زعم «وهذا التاريخ، الذي كتب بلهجة متقلبة، نمتلك ـ فقط ـ منه المجلد الأخير الذي يتعلق فقط ببلدين أو ثلاثة». وقد اعتقد داروين أن الصخور الأقدم من العصر الكامبري قد تغيرت بصورة كبيرة بسبب الحرارة والضغط ولذلك تم تدمير كل آثار الأحافير. وبسبب هذا كان الاعتقاد الخاطئ بأن المجموعات الرئيسية من الحيوانات قد ظهرت فجأة في العصر الكامبري. وأشار داروين أيضا إلى أن «جزء صغير فقط من سطح الأرض قد تم استكشافه جيولوجيًا» وكأنه يشير إلى أن المزيد من الصيد الأحفوري قد يوفر على الأقل بعض الأدلة المفقودة.

ومنذ ذلك الوقت، حدث المزيد من الاستكشافات للعديد من الحفريات الأقدم من حفريات الكامبري، وأصبح فهمنا الحالي للتاريخ السابق للعصر الكامبري هو أفضل بكثير من داروين. كما وجد علماء الحفريات الصخور الكامبرية في كندا وغرينلاند والصين حيث تتوافر الحفريات المحفوظة بعناية

---

(١) Briggs, D., Erwin, D., & Collier, F. (1994). *The Fossils of the Burgess Shale*. Smithsonian Institution. p. 39.

كبيرة. ولكن هذه المعرفة المتزايدة بشكل كبير عن حفريات الكامبري وما قبله أدت إلى تفاقم مشكلة داروين بدلًا من تخفيفها. فقد أصبح العديد من علماء الحفريات الآن مقتنعون بأن المجموعات الرئيسية من الحيوانات ظهرت بالفعل فجأة في أوائل الكامبري. فالأدلة الأحفورية قوية جدًّا، والحدث دراماتيكي لدرجة أنه أصبح يعرف باسم «الانفجار الكامبري»، أو «الانفجار البيولوجي العظيم»»[1]

وبالنظر إلى هذه الثغرات بين السيناريو التطوري والملاحظات الواقعية المتعلقة بظهور أنواع مختلفة في مرحلة مبكرة من الحياة، رفض بعض العلماء الآخرين التبرير الضعيف لداروين، والذي حاول من خلاله معالجة هذه الفجوة الواضحة في نظريته، من السجل الأحفوري في وقته. فمثلا؛ قال نايلز إلدريدج، عالم الأحياء التطوري الأمريكي وعالم الحفريات: «يبرز السجل الأحفوري، وتبين جميع الأدلة أن السجل حقيقي: الفجوات التي نراها تعكس الأحداث الحقيقية في تاريخ الحياة، وليس قطعة أثرية من سجل أحفوري فقير [يشير إلى تشبيه داروين السابق للسجل الأحفوري]»[2] وقال أيضًا: «معظم الأسر والرتب والطبقات، وشعب الكائنات الحية تظهر فجأة في السجل الأحفوري، وغالبًا بدون أشكال تشريحية وسيطة تربط على نحو سلس بين التطور الحادث في الأحفاد وبين أسلافهم المفترضة»[3]

وهنا يتضح بجلاء أن السجل الأحفوري الكامبري عرّى الادعاء الخاص بحدوث تشكيل بطيء جدًّا وتدريجي وظهور أنواع جديدة كما توقع داروين، فلا توجد أنواع انتقالية ولا تسلسل تطوري تدريجي للأنواع الجديدة؛ بل «تظهر الأصناف المعروفة كرتب خلال فترة الانتقال من عصر ما قبل الكامبري إلى العصر الكامبري بشكل رئيسي دون أن يكون لها ارتباط مع الأجداد عبر

---

(١) Wells, J. (2002). *Icons of Evolution: Science Or Myth?* (First Paperback ed.). U.S.A. Regnery Publishing. p. 35 - 37.

(٢) Eldredge, N. and Tattersall, I. (1982) *The Myths of Human Evolution*. Columbia University Press. p. 59.

(٣) Eldredge, N., (1989) *Macro-Evolutionary DynamicsK Species, Niches, and Adaptive Peaks*. New York: McGraw-Hill Publishing Company, page 22.

وسيط أحفوري. هذا الوضع هو في الواقع حقيقة فيما يخص معظم رتب اللافقاريات في الفترة المتبقية من عصر فانيروزويك أيضًا. فلا توجد سلاسل من الأصناف توضح الانتقال التدريجي من حالة الأجداد إلى الجسم الجديد الظاهر في الرتبة. وبالتالي؛ فإن الرتب تظهر كتقسيمات فرعية منفصلة بدلًا من كونها أقسام متتابعة في نوع من التواصل المورفولوجي»(١) وبالفعل كان الانفجار الكامبري في الروكيز الكندية Canadian Rockies كان مشكلة كبيرة لأتباع داروين. وبعد مرور قرن ونصف من عمليات التنقيب الأخرى، لا يزال السجل الأحفوري يفشل في دعم اعتقاد داروين بأن الانتقاء الطبيعي (البقاء للأصلح/الانتقاء الطبيعي الذي يعمل وفقًا لاختلافات عشوائية) يخلق معلومات معقدة تؤدي إلى أنواع جديدة. هذه أخبار سيئة بالنسبة للسجل الأحفوري أو أخبار سيئة عن معتقدات داروين. وعلى المرء أن يختار(٢)

إن الانفجار الكامبري ليس التحدي الوحيد للسيناريو التطوري الدارويني، إلا أن السجل الأحفوري كله لا يزال عقبة كبيرة أمام التدقيق العلمي للتطور الدارويني. وللأسف، تم القيام بالكثير من التزييف والتزوير لكثير من الحفريات للادعاء - زورًا - بأنها تدعم التطور الدارويني. ومن بين العديد من الأمثلة رَجُلْ أورس. «تم اكتشاف هذه الأحفورة في مدينة أورس جنوب إسبانيا في عام ١٩٨٢، وطاروا بها بأنها أقدم بقايا بشرية متحجرة اكتشفت في أوروبا. وبعد مرور عام، وبعد أن طرحت بعض التشكيكات حول (الميل التاريخي) لهذا الاكتشاف، اعترف العلماء بأن الجزء المكتشف للجمجمة ليس لإنسان، ولكن على الأرجح تنتمي إلى حمار صغير. وقد ادعى العلماء قبل هذا أن الجمجمة هي لرجل يبلغ من العمر ١٧ عاما عاش منذ ٩٠٠,٠٠٠ إلى ١,٦٠٠,٠٠٠ سنة مضت، وحتى أنه قد تم إعداد رسومات

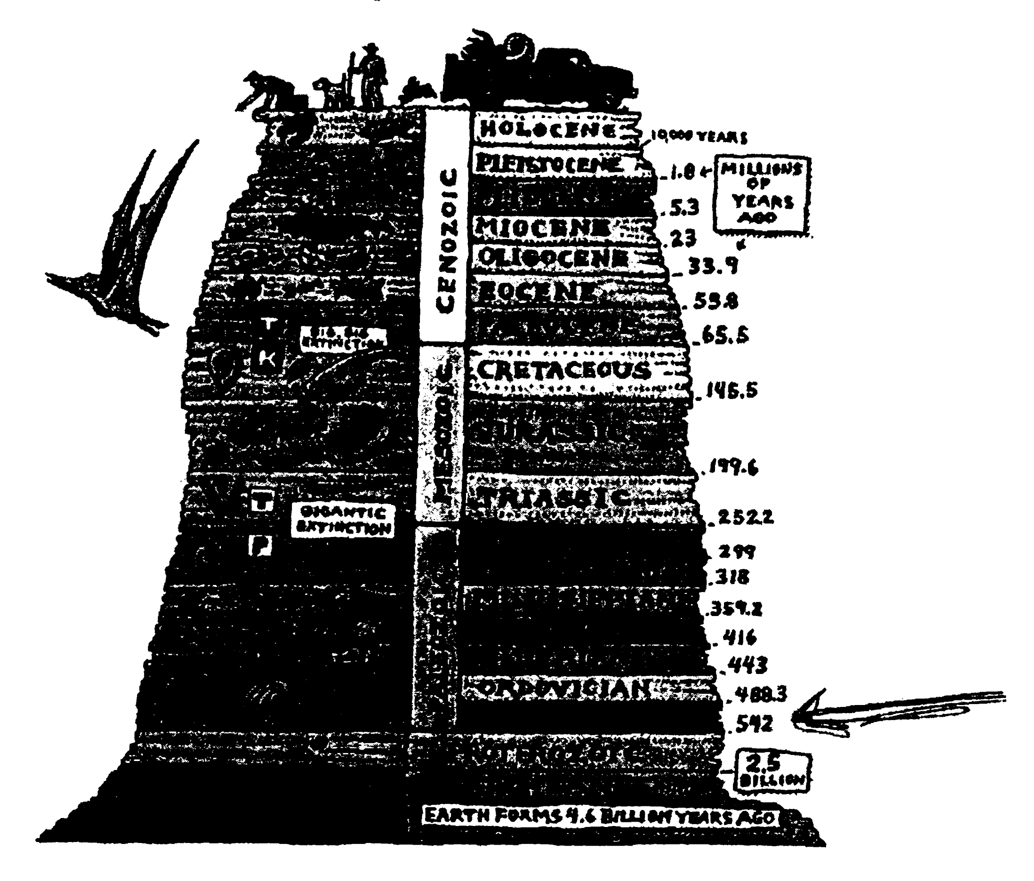
---

(١) Valentine, J.W., Awramik, S.M., Signor, P.W., and Sadler, P.M. (1991). *The Biological Explosion at the Pre-cambrian-Cambrian Boundary*. Evolutionary Biology, Vol. 25, Max K. Hecht, editor, New York and London: Plenum Press. p. 284.

(٢) Richards, J. (2010). *God and Evolution*. Seattle, USA: Discovery Institute Press. p. 132.

تفصيلية لما كان يشبهه رجل ما قبل التاريخ»[1] وهذا الذي ذكرناه في الانفجار الكامبري وتحديه ـ المتشح بالصبغة العلمية البحتة ـ للسيناريو التطوري المزعوم لتنوع الكائنات الحية يوجهنا إلى الخطوة التالية التي هي إلقاء الضوء على السجل الأحفوري.

الظهور المفاجئ للكائنات متعددة الخلايا في عصر الكامبري



يشير السهم إلى العصر الكامبري من ٥٤٢ إلى ٤٨٨,٣ مليون سنة مضت (تصميم راي ترول).

٤,٢,٢ سجل الحفريات ومشكلة الأنواع الانتقالية:

عند دراسة موضوع الحفريات وعلاقتها بالتطور كثيرًا ما يحضرني بيت الشعر:

(١) Persaud, C. H. (2007). *Evolution: Beyond The Realm Of Real Science*. Xulon Press. p. 233.

وكل يدعي وصلًا بليلى... وليلى لا تقر لهم بذاك

وتظهر في هذا المجال لا أقول السقطات بل الجرائم العلمية لمؤيدي التطور. ولا عجب في ذلك فغالبهم يستحل الكذب كوسيلة من وسائل البقاء. فلا تلبث قطعة من ساق أو إصبع يتم اكتشافها إلا ويطيرون بها على أنها الحلقة الانتقالية بين كيت وكيت بل ويرسمون هيكلها كله مع إضافة بعض المؤثرات البصرية حتى يقتنع متبعيهم. ثم إذا اكتشفت الخدعة يتراجعون بتبريرات سخيفة لا تنطلي على الصبيان. ومما يزيد العجب أنهم بدلًا من أن يدفنوا رأسهم في الرمال عند ذكر الحفريات لئلا يصيبهم سهم حقيقة صائب من هنا أو هناك، تراهم يتكلون على ما سوف يكتشفونه لاحقًا أو الأمثلة القليلة جدًّا التي يعتقدون أنها حلقات وسيطة، وهي في الحقيقة ليست كذلك. ثم يبنون اعتقادهم المهلهل على أسس الجهل المركب في مسألة أصل الإنسان وغيرها من المسائل. يقول أحد التطوريين: «إن النظرة التطورية لمكاننا في تاريخ الأرض، في ظل اعتمادها على مجموعة كبيرة ومتزايدة من الأدلة **الأحفورية** والجزيئية؛ تذكرنا بأن الإنسان العاقل قد احتل الكوكب لأصغر جزء زمني من هذا الكوكب الذي يبلغ عمره أربعة آلاف ونصف مليار سنة. من نواح كثيرة، نحن حادث بيولوجي، نتاج عدد لا يحصى من الظروف الملائمة. ولو عدنا إلى السجل الأحفوري، بالمرور من طبقة إلى طبقة من الأنواع المنقرضة منذ فترة طويلة، والتي عاش الكثير منها أكثر بكثير من الأنواع البشرية، فسنتذكر وفياتنا كنوع. فلا يوجد قانون يعلن أن الجنس الحيواني البشري مختلف ـ كما رأينا في هذا المنظور البيولوجي الواسع ـ عن أي حيوان آخر. لا يوجد قانون يعلن أن الجنس البشري خالد»[١]

ومع ذلك، فوفقًا للتطوريين أنفسهم، فإن سجل الحفريات مليء بالفجوات بين الأنواع المختلفة إلى الحد الذي يمكن التعبير عنه بأن هناك عدد قليل جدًّا من الأنواع الانتقالية تم العثور عليها وملء بعض هذه الثغرات. على

(١) Leakey, R. E., & Lewin, R. A. (1977). *Origins: What New Discoveries Reveal about the Emergence of our Species and its Possible Future*. p. 256.

الرغم من أنه يجب أن يكون هناك الملايين من الأنواع الانتقالية وفقا للنموذج التطوري، وليس فقط قطع قليلة من الحفريات، كما ادعى. وقد قال ستيفن ستانلي، عالم الحفريات الأمريكي وعالم الأحياء التطوري «إن السجل الأحفوري نفسه لم يقدم أي وثائق لاستمرارية التحولات التدريجية من نوع واحد من الحيوان أو النبات إلى شكل آخر مختلف تمامًا»[١]

يدرك التطوريين تمامًا، حتى داروين نفسه، هذه المعضلة في سجل الحفريات، لكنهم حاولوا تبرير التطور بطريقتين. إما إلقاء اللوم على فقر الحفريات أو إنشاء فكرة تطورية أخرى لا تتطلب الانتقال التدريجي البطيء للأنواع. وقد كان ستانلي المذكور آنذاك والتطوري الشهير المعروف ستيفن جاي جولد من بين رواد الفكرة التي تسمى التوازن المتقطع Punctuated Equilibrium. وأنصار هذه الفكرة، في الغالب، عادة ما ينتقدون زملاءهم التطوريين بسبب التزام هؤلاء الزملاء بالمفهوم الدارويني الكلاسيكي للانتقال البطيء والتدريجي للأنواع، وعادة ما يستخدمون مكتشفات سجل الحفريات للقيام بذلك! على سبيل المثال: ذكر جولد: «يعلم جميع علماء الحفريات أن السجل الأحفوري يحتوي على القليل الثمين من الأشكال الوسيطة، فالتحولات بين المجموعات الرئيسية حدثت بشكل مفاجيء، وعادة ما يخادع التدريجيون أنفسهم للخروج من هذه المعضلة بأن هناك نقص شديد في السجل الأحفوري!»[٢]

والفجوات في السجل الأحفوري ليست نتيجة لفقر المكتشفات في هذا الصدد، فهي فجوة حقيقية. ذكر ويسون: «إن الفجوات في السجل الأحفوري حقيقية، لكن عدم وجود سجل من أي من الفروع الهامة منتشر إلى حد كبير. وعادة ما تكون الأنواع ثابتة، أو تقريبا كذلك، لفترات طويلة، ونادرا ما تظهر الأنواع والأجناس التطور إلى أنواع أو أجناس جديدة ولكن استبدال واحد تلو

---

(١) Stanley, S. M., (1981). *The New Evolutionary Timetable: Fossils, Genes, and the Origin of Species*. New York: Basic Books, Inc., Publishers. p. 40.

(٢) Gould, S. J. (1980). *The Panda's Thumb: More Reflections in Natural History*. Norton Paperback. p. 189.

الآخر، وتغيير أكثر أو أقل فجائية»[١] وقال أيضًا: «لم يتم فهم الابتكارات التطورية الكبيرة فلم يسبق أن لوحظ أي شيء، وليس لدينا أي فكرة عما إذا كان أيا منها في طريقه للحدوث فليس هناك أي سجل أحفوري جيد لأي منها»[٢]

هذه الثغرات لا تقتصر على الفجوات بين الأنواع المتعلقة بالحيوانات فقط، فهناك فجوات كبيرة بين الأنواع المختلفة من النباتات أيضًا. جورج غايلورد سيمبسون، واحد من علماء الحفريات الأكثر تأثيرًا في القرن العشرين، ذكر ثغرات الحيوانات والنباتات في السجل الأحفوري قائلًا: «هذا ينطبق على الاثنين وثلاثين رتبة من الثدييات... فالأعضاء الأوائل من كل رتبة لديهم بالفعل الخصائص الأساسية لتلك الرتبة، ولم يحدث في أي حالة أن ظهر التغير في صورة تسلسل مستمر من رتبة لأخرى، ففي معظم الحالات هناك انقطاع حاد وفجوة كبيرة مما يجعل أصل الرتبة جدليّ جدًّا ويظهر به الكثير من الأمور المتنازع عليها. وهذا الغياب المنتظم للأشكال الانتقالية لا يقتصر على الثدييات؛ بل هو ظاهرة عالمية تقريبًا، كما لوحظ منذ فترة طويلة من قبل علماء الحفريات. وهذا صحيح بالنسبة لجميع فئات الحيوانات تقريبا، سواء الفقاريات واللافقاريات... وهذا ينطبق على الطبقات، وشعب الحيوان الرئيسية، ويبدو أنه ينطبق أيضًا على فئات مماثلة من النباتات»[٣]

وعلاوة على ذلك، فإن احتمال سمبسون في سحب ظاهرة غياب الأشكال الانتقالية في السجل الأحفوري بقوله «يبدوا» قد تم تأكيده في دراسة بحثية حديثة، حيث خلصت الدراسة إلى أن: «مسألة بنية وبيولوجيا كاسيات البذور الأجداد، وخاصة الزهور، تعتبر لغزًا دائمًا. على الرغم من أننا نحصل باستمرار على رؤى جديدة من خلال الحفريات الجديدة والدراسات الجديدة في علم تطور السلالات وعلم الوراثة التنموية في النباتات الموجودة، إلا أننا

---

(١) Wesson, P. (1991). *Beyond Natural Selection*. MIT Press, Cambridge, MA. p. 45.

(٢) نفس المصدر، ص٢٠٦.

(٣) Simpson, G. G. (1944). *Tempo and Mode in Evolution*. New York: Columbia University Press. p 105, 107.

لا نزال بعيدين عن أي إجابة نهائية. هناك ثغرات على مستويات مختلفة! الأول: هو عدم اليقين بشأن أي نباتات البذور الأخرى هي أقرب أقارب كاسيات البذور، وخاصة المجموعات المنقرضة لأن معظم التحليلات الجزيئية تشير إلى أنه لا يوجد أي مجموعة حية من عاريات البذور هي أقرب إلى كاسيات البذور من مجموعة أخرى! ثانيًا، حتى لو كان يمكن التعرف على الحفريات المعروفة كأقارب للأوعية الجذعية فكل هذه المجموعات تمت إزالتها بشكل تام من كاسيات البذور، لذلك لا تزال هناك فجوة كبيرة لا يمكن ملؤها إلا من خلال اكتشاف أقرب الأقارب الجذعية! ثالثًا، مشكلة التركيب الظاهري الأصلي والتمايز المبكر التطوري لكاسيات البذور!»(١)

وأضاف مايكل ج. ساندرسون: «أصل كاسيات البذور من أكثر الألغاز كراهةً في تطور النبات. حيث يمكن تفسير عدد من الأطوار الحديثة جدًّا من كاسيات البذور على أنها أعمال كريهة صغيرة: وذلك لأن لديها سجلات أحفورية فقيرة للأجداد، ومستحدثات جديدة ذات أشكال انتقالية غير واضحة بين الأصناف ذات الصلة!»(٢)

الأنواع الانتقالية:

يحاول التطوريون ربط أي نتائج لأي مكتشفات من الأحافير مع الروابط المفقودة في السجل الأحفوري والتي تمثل الأنواع انتقالية. ومن بين أكثر الادعاءات المعروفة عن هذه الروابط الانتقالية بين الزواحف والطيور هو الأركيوبتركس، وهو طائر أحفوري ذو أسنان في فكيه ومخالب في أجنحته، وهي الحلقة المفقودة بين الزواحف القديمة والطيور الحديثة. ومع ذلك، كما كتب ويلز: «هناك نزاع حول دور الأركيوبتركس كحلقة وصل بين الزواحف

---

(١) Bot, A. J. (january 2009). Reconstructing the ancestral angiosperm flower and its initial specializations. *The American Journal of Botany, 96*(1), 22-66. doi:10.3732/ajb.0t800047 Am. J. Bot. January 2009 vol. 96 no. 1 22-66.

(٢) Sanderson, M. J. (July 2015). Back to the past: a new take on the timing of flowering plant diversification. *New Phytologist, 207*(2), 257Ù259.

والطيور، ويتفق علماء الحفريات حاليا على أن الأركيوبتركس ليست سلفًا للطيور الحديثة، كما أن أسلاف الأركيوبتركس هذا من أكثر نقاط الجدال الساخنة في العلوم الحديثة، ومن هنا يبدو أن حلقة الوصل ما زالت مفقودة»(١) وقال أيضًا: «هناك الكثير من الخلافات الهيكلية بين الأركيوبتركس والطيور الحديثة من حيث كونها أحفادًا للأركيوبتركس. في عام ١٩٨٥، كتب عالم الحفريات في جامعة كانساس لاري مارتن: «الأركيوبتركس ليس سلفًا لأي مجموعة من الطيور الحديثة». بدلًا من ذلك، هو «أقدم عضو معروف في مجموعة منقرضة تمامًا من الطيور». وفي عام ١٩٩٦ صرح عالم الحفريات مارك نوريل، من المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي في نيويورك، أن الأركيوبتركس «حفرية مهمة جدًّا»، لكنه أضاف أن معظم علماء الحفريات يعتقدون الآن أنه ليس سلفًا مباشرًا للطيور الحديثة»(٢)

هناك العديد من الأمثلة التي تنسف فكرة الأنواع الانتقالية وتحيلها هباءًا منثورًا، وتوضح أنه لا حاجة لها على الإطلاق لظهور أنواع جديدة؛ بل وتؤكد فكرة النشوء المفاجئ للأنواع كما هو الملاحظ المشاهد من خلال دراسة عصر الانفجار الكامبري. وتُظهر هذه الأمثلة بعض الكائنات الفريدة أو الخصائص البيولوجية التي لا يوجد لها سلف سابق نشأت منه. وتشمل هذه الأمثلة على سبيل المثال لا الحصر: كاسيات البذور والزرافات والخفافيش. وهنا نجعل الكرة في ملعب التطوريين ليقدموا لنا تصوراتهم المضحكة عن كيفية تطور هذه الحيوانات. فيمكننا أن نسألهم سؤالًا غير بريءوهو «أين ذهبت الأنواع الانتقالية من الخفافيش؟!».

أجاب كيمبت أنه لا توجد أنواع انتقالية على طول ملايين السنوات الطويلة من التطور، قائلًا: «خفافيش عصر الأيوسين المبكر هي متطابقة تقريبًا في هيكلها مع الأشكال الحديثة. وتُظهِر الهياكل العظمية ل إيكارونكتيريس من

---

(١) Wells, J. (2002). *Icons of Evolution: Science Or Myth?* (First Paperback ed.). U.S.A. Regnery Publishing. p. 112.

(٢) نفس المصدر، ص١١٦.

أمريكا الشمالية وأرتشونيكتيريس من أوروبا أن التطور الكامل لآلية الطيران قد حدث في ذلك الوقت، والسمات البدائية الوحيدة التي يمتلكونها والتي تغيب عن الخفافيش الحديثة هي بعض تفاصيل مثل الاحتفاظ بمخلب على الإصبع الثاني... بينما في حالة الحيتان، فإن السجل الأحفوري تشيروبتران لا يكشف عن أي شيء على الإطلاق فيما يتعلق بالمراحل الوسيطة في تطور طريقة تنقلهم عالية الخصوصية!»[1]

وقد ذكر بعض علماء الأحياء في مقدمة بحثهم بعنوان «تطور رحلة الخفافيش: التطور المورفولوجي والجزيئي لأصابع الخفافيش» أن: «أقرب الخفافيش الأحفورية تشبه نظرائها الحديثة في امتلاك أصابع ممدودة إلى حد كبير لدعم غشاء الجناح، وهي السمة التشريحية المميزة للطيران القوي. لتأكيد هذه التشابهات كميًّا، أجرينا تحليل مورفوميتري على عظام الجناح من الخفافيش الأحفورية والحديثة فوجدنا أن أطوال الأصابع الثالثة والرابعة والخامسة (العناصر الأساسية الداعمة للجناح) ظلت ثابتة بالنسبة لحجم الجسم على مدى الـ ٥٠ مليون سنة الماضية. هذا الغياب للأشكال الانتقالية في السجل الأحفوري دفعنا إلى البحث في مكان آخر لفهم تطور جناح الخفافيش»[2] ومن المفارقات، أنهم أهملوا الحقائق التي لديهم من سجل الحفريات بشأن ثبات الخفافيش طوال تاريخ طويل من التطور المزعوم وحاولوا البحث عن تبرير بعيد لتشابه النمو الجنيني بين الخفافيش والفئران.

والفكرة ليست في الاعتقاد في حقائق فعلية أو فرضيات لا أساس لها، فهم مضطرون للاعتقاد في التطور، وأيضًا مضطرون لإغلاق أي باب يمكن من خلاله ظهور مفاجئ للأنواع التي ليس لها سلف سابق؛ لأنه يشير مباشرة إلى فعل الخلق وإلى بطلان النظرة التطورية للمخلوقات. وقد أقر عالم

---

(١) Kemp, T. S. (2005). *The Origin and Evolution of Mammals* (First Paperback ed.). Oxford University Press. p. 268.

(٢) Sears, K. E., Behringer, R. R., Rasweiler, J. J., & Niswander, L. A. (April 2006). Development of bat flight: morphologic and molecular evolution of bat wing digits. *The National Center for Biotechnology Information*. doi:10.1073/pnas.0509716103

الحفريات غاري مورغان بوضوح في واحدة من محاضراته قائلًا: «كنت أعتقد أنه سيكون هناك نوع من أسلاف الخفافيش، ولكن مرة أخرى لا شيء! فإنها فقط تظهر وبشكل مفاجئ كما تتوقع بأن هناك بعض الناس الذين يعتقدون أنهم خُلِقوا خلقًا خاصًا... إذا كان هناك خلق للأشياء فعلًا فهنا إحدى الثدييات المعقدة للغاية مع كافة عمليات التكيف نجدها تظهر فقط في لحظة معينة من الوقت الذي تشكلت فيه كخفافيش [دون وجود سلف]... نحن علماء الأحياء التطورية وعلماء الحفريات لا نعتقد في هذا، ولكن ليس لدينا سلف أحفوري جيد بالنسبة لهم»[١]

وقد لخص ريتشارد ميلتون في تحطيمه لأساطير الداروينية هذه القضية تلخيصًا جيدًا قائلًا: «حتى الآن لم يكتشف أحد مخلوقًا أحفوريًا يوضح الانتقال بدون إشكال بين نوع وآخر، لم يتم الوصول إلى أي «حلقة مفقودة» واحدة لا نزاع عليها في جميع الصخور المكشوفة من قشرة الأرض على الرغم من عمليات البحث بالغة الاهتمام وواسعة النطاق! هذه عقبة لأنه إذا تطورت الحياة على النحو الذي اقترحه داروين، يجب أن يكون هناك الملايين من الأنواع الانتقالية (اللافقاريات مع العمود الفقري البدائي، والأسماك مع الساقين الأوليتان، والزواحف مع نصف تشكل أجنحة) وهلمّ جرًّا. في الواقع، وبالنظر إلى نظرية تفترض وجود طفرة وراثية عشوائية مستمرة، ومن هنا فالمسار المستمر من أشكال الحياة يجعلها تتطور باستمرار لتصبح أفضل وأفضل في تكيفها، وينبغي أن تكون هذه النماذج هي القاعدة بدلًا من أن تكون الاستثناء، يجب أن تكون الحياة نفسها إبداعية بوضوح، بدلا من أن تكون متحفظة بحذر! فبداية يمكن أن يعزى عدم وجود تلك الروابط المفقودة إلى حقيقة أن جزءًا كبيرًا من العالم لا يزال غير مستكشف، وقد أعرب داروين نفسه عن أمله في أن المزيد من الاستكشاف سوف يُظهِر الأحافير المفقودة، ولكن الأمل تلاشى تدريجيًا حتى أصبح من الواضح أن علم الحفريات قد

---

(١) Https://www.youtube.com/watch?v=EUhOGTgW8q8&spfreload=10

جمّع مجموعة غنية من النماذج ولكن السجل الأحفوري مع ذلك بقي يتألف أساسًا من الثغرات!»[(١)]

وأخيرًا؛ نختم بمقولة العالم التطوري رونالد جينر الخالدة: «بسبب النقص الشديد في السجل الحفري، فلا مجال لنا إلا اللجوء لإعمال خيالنا حتى نتمكن من بناء تاريخ للكائنات، والذي هو هدفنا الأسمى من دراسة تطور الحيوانات. حقا، إن الخيال هو أداتنا الوحيدة لترميم شظايا الأدلة لتصبح تاريخًا كاملًا»[(٢)]

٤,٢,٣ السلف المشترك وشجرة التطور:

يعتقد التطوريون أن الأنواع المتشابهة تتطور من سلف مشترك واحد، ومصدر جميع الكائنات الحية سلف واحد فقط؛ وهي الخلية الأولى. كما أن هناك سوء فهم شائع بأن التطوريين يعتقدون أن الإنسان قد تطور من القردة وهذا أمر خاطئ، فهم يعتقدون أنه قد تطور من سمكة! كما يقول أحدهم: «كما أوضحت أبحاثنا، فإن الحيوان المرتفع في النطاق العضوي يصل فقط إلى هذه الرتبة من خلال المرور عبر جميع الحالات الوسيطة التي تفصله عن الحيوانات الموضوعة تحته في الرتبة. فالرجل يصبح رجلًا فقط بعد عبور الحالات التنظيمية الانتقالية التي تجعله مشابها أولًا للأسماك، ثم إلى الزواحف، ثم إلى الطيور والثدييات»[(٣)]

وفي ضوء ما تناولناه في النقاط السابقة، فإنه المؤكد أن نفس معضلات سجل الحفريات والأنواع الانتقالية تنعكس على السلف المشترك. وعلاوة على ذلك فإن المشكلة تنسحب على الحيوانات والنباتات، حتى إن بعض علماء الأحياء صرح في دراسة قائلًا: «إنه لمن الغموض المخزي أن يشير

---

(١) Milton, R. (1997). *SHATTERING the MYTHS of DARWINISM*. Rochester, Vermont: Park Street Press. p. 254.

(٢) Ronald A. Jenner. (2014), "*Macro evolution of animal body plans: Is there science after the tree?*" BioScience, 64: 653-664.

(٣) Antoine Ïtienne Reynaud Augustin Serres. Annales des Sciences Naturelles (1834), 2 (ii), 248. Trans. in E. S. Russell, Form and Function (1916), 82.

تشارلز داروين إلى ارتقاء وتنوع بذور (النباتات المزهرة)، وهي واحدة من أعظم الاشعاعات الكونية التي نتج عنها أكثر من ٢٥٠٠٠٠ نوع! ومنذ ذلك الحين، كان علماء الأحياء النباتية يدرسون تطور كاسيات البذور لفهم أصلهم وارتقائهم إلى الهيمنة الإيكولوجية. ومع ذلك، على الرغم من الكثير من البحوث والتحليلات لمصادر مختلفة من البيانات (على سبيل المثال السجل الأحفوري وتحليلات النشوء باستخدام الخصائص الجزيئية والمورفولوجية)، لا يزال أصل كاسيات البذور غير واضح! تظهر كاسيات البذور فجأة في السجل الأحفوري خلال العصر الجوراسي [٢٠٨ ـ ١٤٥ مليون سنة مضت]، مع عدم وجود أجداد واضحة لفترة تتراوح بين ٨٠ و٩٠ مليون سنة قبل ظهورها»[١]

وفي دراسة أخرى، أصبح من الواضح أن المشاكل المرتبطة بسجل الحفريات والأنواع الانتقالية والأجداد المشتركة تزداد تناقضًا أكثر وأكثر مع المفهوم التطوري للحياة. حيث ذكر بعض البيولوجيين أن: «الظهور المفاجئ لأصناف عليا في السجل الأحفوري يعتبر لغزًا دائمًا. والأمر لا يقتصر فقط على بعض السمات والبقايا المميزة للشعب والتي تظهر فجأة بدون أسلاف معروفة، ولكنه يتعدى ذلك إلى الظهور المفاجئ لعدة أصناف تحت هذه الشعب، ورتبة كل صنف وهلمّ جرًّا، في نفس الوقت تقريبًا، دون مراحل وسيطة معروفة!

وقد أقر داروين بأن مثل هذه الثغرات تمثل عقبة رئيسية أمام إثبات أن التطور يجري بالتراكم البطيء للتغيير داخل الأنساب، وعزا عدم وجود الأسلاف إلى عدم اكتمال السجل الأحفوري. وبعد أكثر من مائة سنة، ما زلنا نواجه مشكلة الأسلاف المفقودة للعديد من الأصناف العليا. والواقع أن معرفتنا الحالية بالسجل الأحفوري تظهر بوضوح أكبر الطبيعة العرضية

---

(١) De Bodt, S., Maere, S., & De Peer, Y. V. (2005). Genome duplication and the origin of angiosperms. *Trends in Ecology and Evolution,* (20), 591-597. Retrieved May 11, 2017, from http://www.cell.com/trends/ecology-evolution/fulltext/S0169-5347(05)00249-1

[الفجائية] لأصل الأصناف العليا الجديدة. وإذا قرأنا السجل حرفيًّا، فإنه يعني أن الكائنات المشتملة على درجات جديدة من التعقيد نشأت وتشعبت بسرعة نسبية»[١]

شجرة التطور[٢]:

عندما فشلت الأحافير في إثبات أن الحيوانات تطورت من سلف مشترك تحول العلماء التطوريون إلى نوع آخر من الأدلة؛ وهو بيانات تسلسل الحمض النووي لإثبات شجرة الحياة عام ١٩٦٢. وفي الوقت الذي تم فيه فهم الشفرة الوراثية لأول مرة، اقترح عالما الكيمياء الحيوية èmile Zuckerkandl وLinus Pauling أنه من الممكن استخدام تسلسلات الحمض النووي لبناء الأشجار التطورية، وإذا كانت الأشجار المبنية علي الأدلة الجزيئية تطابق تلك الأشجار المبنية على الخصائص التشريحية والمورفولوجية، فإنه سيكون أفضل دليل متاح على حقيقة التطور الكبير. وهكذا بدأت الجهود التي استمرت لعقود طويلة لمقارنة تسلسل الجينات في العديد من الكائنات الحية، وبناء الأشجار التطورية الجزيئية، وكان الهدف النهائي هو بناء شجرة الحياة الكبرى والتي توضح كيف ترتبط كل الكائنات الحية ببعضها من خلال سلف مشترك عالمي......

الافتراض الرئيس:

يعتبر الافتراض الأساسي لبناء الأشجار الجزيئية بسيط نسبيًّا:

أولًا: يختار الباحثون جينًا أو مجموعة محددة من الجينات الموجودة في العديد من الكائنات الحية، ثم يتم تحليل هذه الجينات لتحديد تسلسل النيوكليوتيدات داخلها، وبالتالي يمكننا مقارنة تسلسل الجينات عبر الكائنات

---

(١) Valentine, J. W., & Campbell, C. A. (November December 1975). Regulation and the Fossil Record: Evolution of the regulatory genome may underlie the rapid development of major animal groups. *American Scientist, 63*(6), 673-680. Retrieved May 12, 2017, from https://www.jstor.org/stable/27845784?seq=1#page_scan_tab_contents.

(٢) هذا المقال من إعداد الأخ الفاضل محمد ابن رشد.

الحية المختلفة، ثم أخيرًا يتم بناء الشجرة التطورية بناء على مبدأ أن الأنواع الأكثر تشابها في تسلسل النيكليوتيدات أكثر قرابة وارتباطًا ببعضها البعض. والورقة في مجلة Biological Theory تشرح هذه الطريقة (علم النظم الجزيئية مبني - إلى حد كبير - على الافتراض الذي تم وضعه لأول مرة بوضوح من قبل zuckerkand و...pauling وهو أن درجة التشابه الكلي تعكس درجة القرابة)، وهذا الافتراض مرتبط بشكل رئيسي بسمة من سمات النظرية؛ وهو فكرة السلف المشترك العالمي. وبالرغم من ذلك، من المهم أن ندرك أن الادعاء بأن «أوجه التشابه الجينية بين الأنواع المختلفة هو بالضرورة نتاج سلف مشترك بينهم» مجرد افتراض.

تعمل هذه المعطيات وتتدفق بشكل طبيعي ضمن اطار دارويني كما أشارت الورقة في مجلة Biological theory بأن الافتراض الرئيسي الذي تستند اليه الأشجار الجزيئية يأتي من التشابه على المستوي الجزيئي أو الاختلاف بين المجموعات التصنيفية في اطار آلنموذج الدارويني التدريجي المستمر. إذًا، فقد تم افتراض أن هذه النظرية صحيحة لبناء الشجرة. إلا أنه من المفترض أيضًا - إذا كان التطور الدارويني صحيحًا - أن بناء الأشجار باستخدام التسلسلات المختلفة لا بد أن يظهر لنا نمطًا متسقًا عبر الجينات والتسلسلات المختلفة! ولكن كل الجهود المبذولة لبناء شجرة الحياة باستخدام الحمض النووي أو أي تسلسلات بيولوجية أخرى لم تتفق مع هذه التوقعات. المشكلة الأساسية لهذا الافتراض هي أن أحد الجينات يضع نموذجًا واحدًا لشجرة الحياة في حين أنه يمكن لجين آخر أن يضع نموذجًا مختلفًا ومتناقضًا. على سبيل المثال - كما سنناقش بعد ذلك - الشجرة القياسية للثديات تجعل البشر أكثر ارتباطًا بالقوارض من الفيلة، ولكن الدراسات التي أجريت على نوع محدد من الحمض النووي micro RNA اقترحت العكس؛ أن البشر أقرب إلى الفيلة من القوارض. وهذه التضاربات بين الأشجار والقائمة على التحاليل الجزيئية شائعة جدًّا.

وبالتالي؛ فإن البيانات الجينية لا ترسم صورة متسقة عن فكرة السلف

المشترك، وتبين ان الافتراضات التي قام عليها بناء الأشجار عادة ما تكون غير صحيحة. وهذا يقودنا إلى تساؤل مشروع عما اذا كانت فكرة السلف المشترك العالمي (الكائنات الحية تتشارك جميعها في سلف مشترك واحد) صحيحة.

الاختلافات في أساس شجرة الحياة:

ظهرت تلك المشكلة لأول مرة عندما قام علماء البيولوجيا الجزيئية بتحليل الجينات في أشكال الحياة الأساسية الثلاثة [البكتيريا والبكتيريا القديمة وحقيقيات النواة]، ولكن هذه الجينات لم تسمح لهذه الأشكال الأساسية للحياة أن تنتظم في شكل شجرة. وفي عام ٢٠٠٩ نشرت مجلة نيو ساينتيست على غلاف مجلتها مقالة بعنوان «لماذا كان داروين مخطئًا بخصوص شجرة الحياة» شرحت فيها تلك الورطة.

بدأت تلك المشكلة في مطلع ١٩٩٠ عندما أصبح من الممكن القيام بعملية تسلسل لجينات البكتيريا والبكتيريا القديمة بدلًا من ال RNA فقط. وتوقع الجميع أن قياس تسلسلات الحمض النووي سيؤكد الشجرة المبنية على RNA فنجح ذلك عدة مرات وفشل في أغلب الأحيان. فعلى سبيل المثال قد يشير تحليل ال RNA إلى أن الكائن (أ) أقرب إلى الكائن (ب) من الكائن (ج)، ولكن الشجرة المبنية على الحمض النووي (الـ DNA) تشير إلى العكس!

هذا النوع من البيانات قاد عالم الكيمياء الحيوية فورد دوليتيل إلى القول بأن (التطور السلالي الجزيئي قد فشل في إيجاد الشجرة الحقيقية، ليس بسبب عدم ملاءمة الطريقة العلمية أو اختيار الجينات الخاطئة، وإنما يرجع ذلك إلى أن تاريخ الحياة لا يمكن أن يمثل في شجرة بشكل ملائم). وكما ذكرت مجلة النيو ساينتست (لفترة طويلة كان الكأس المقدس هو بناء شجرة الحياة، ولكن اليوم هذا المشروع في حالة يرثي لها، وقد أردته الأدلة السلبية إلى جثة هامدة).

ويجيب كثير من التطوريين أحيانا بأن هذه المشكلات تظهر فقط عند

دراسة الكائنات الدقيقة مثل البكتيريا (الكائنات التي يمكن أن تتبادل الجينات من خلال عملية تسمى (النقل الأفقي للجينات) وبالتالي يحدث تشويش على العلاقات التطورية. ولكن هذا الاعتراض ليس صحيحًا تمامًا؛ حيث إن شجرة التطور تواجه تحديات حتى بين الكائنات الأعلى عندما لا يكون النقل الأفقي للجينات شائعًا. ويوضح كارل ووز، الرائد في علم النظم الجزيئية التطورية، قائلًا:

(يمكن ملاحظة الاختلافات في كل مكان في شجرة التطور العالمية، من أول الجذور والتشعبات الكبرى بين الفئات التصنيفية المختلفة، وداخلها، وحتى بين هياكل المجموعات الرئيسية نفسها).

وبالمثل، أشارت مقالة في مجلة نيو سايتنست إلى أن الأبحاث تشير إلى أن تطور الحيوانات والنباتات لا يشبه الشجرة تمامًا، وتوضح المقالة ما حدث عندما حاول عالم الأحياء الدقيقة مايكل سيفان بناء شجرة تظهر العلاقة التطورية بين مجموعة متنوعة من الحيوانات باستخدام ٢٠٠٠ نوع من الجينات.

(لقد فشل، والمشكلة أن الجينات المختلفة تحكي سيناريوهات تطورية متناقضة؛ حيث كانت الجينات ترسل اشارات مختلطة وما يقرب من ٥٠٪ من الجينات كان لديها تاريخ تطوري واحد والـ ٥٠٪ الأخرى لديها تاريخ مختلف).

(«كان يصعب جدًّا وضع البيانات في شجرة واحدة» قالها سيفان بأسف «لقد محونا للتو شجرة الحياة»).

أيضًا أظهرت العديد من الأوراق العلمية الأخرى مشكلات مماثلة:

الاختلافات بين الفروع العليا في الشجرة...

تشير إحدى الدراسات التي تمت في ٢٠٠٩ (التحدي الرئيسي في دمج هذه الكميات الكبيرة من المعلومات في الاستدلال بأشجار الأنواع هو أن تاريخ الأنساب المتضاربة في كثير من الأحيان موجود في جينات مختلفة في

جميع أنحاء الجينوم) وأيضًا خلصت دراسة في مجلة الجينوم درست تسلسل الحمض النووي في مجموعات حيوانية مختلفة إلى أن البروتينات المختلفة تقوم ببناء أشجار فيلوجينية مختلفة.

وفي مجلة Nature في مقالة نشرت في يونيو ٢٠١٢ أفادت أن (أجزاءً صغيرة من الـRNA تسمى microRNAs تمزق الأفكار التقليدية حول شجرة الحياة الحيوانية). وبالإضافة إلى ذلك يقول عالم الأحياء كيفن بيترسون، والذي يدرس microRNAs، بأسى (لقد نظرت إلى آلاف من مورثات الـ microRNAs ولا يمكنني العثور على مثال واحد يدعم شجرة الحياة التقليدية). وطبقًا للمقال فإن الـ microRNAs تعطي مخططات مختلفة للثديات، واحدة منها أن البشر أقرب إلى الأفيال من القوارض، ويقولها بيترسون بصراحة أنه لا يخفى على أي أحد أن الـ microRNAs تعطي شجرة مختلفة تمامًا عما يريده الجميع.

الاختلافات بين الأشجار المورفولوجية والأشجار الجزيئية:

ليست كل الأشجار التطورية يتم بناؤها عن طريق مقارنة الجزيئات مثل الحامض النووي من الأنواع المختلفة، فهناك العديد من الأشجار التي تستند على مقارنة الشكل والبنية والمخططات الجسدية المظهرية للكائنات الحية المختلفة وتسمى الأشجار المورفولوجية ولكن التضاربات بين الأشجار القائمة على المستوى الجزيئي والمستوى الشكلي أيضًا شائعة.

في عام ٢٠١٢ وضحت دراسة تدرس العلاقات بين الخفافيش (التضارب بين أشجار التطور المستمدة من البيانات المورفولوجية مقابل البيانات الجزيئية بمختلف المجموعات الفرعية يزداد انتشارا كلما ازداد حجم البيانات في كافة الخصائص والأنواع).

هذه هي الدراسة الوحيدة بالكاد التي تصادم التضارب بين الأشجار المبنية على تحليلات الحمض النووي والخصائص المورفولوجية. وكثيرًا ما تدعي الكتب المدرسية أن السلف المشترك مدعوم باستخدام شجرة مبنية على

إنزيم سيتوكروم c والذي يطابق شجرة التطور المبنية على الشكل المورفولوجي، ومع ذلك، نادرًا ما تذكر تلك الكتب أن شجرة التطور المبنية على إنزيم مختلف مثل سيتوكروم b تتعارض بشدة مع شجرة التطور التقليدية.

(سيتوكروم b يقوم برسم شجرة سخيفة للثديات بغض النظر عن طريقة بناء الشجرة. حيث تقع القطط والحيتان ضمن الرئيسيات وتجتمع مع الهباريات وتستبعد الترسيرات، تسلسلات سيتكروم b هي الأكثر شيوعًا في جميع الفقاريات مما يجعل هذه النتائج المفاجئة أكثر إثارة للقلق). ومن الجدير بالذكر أن مقالة أخرى خلصت إلى أن الثروة القادمة من الأشجار المورفولوجية والجزيئية المنافسة للأشجار الفيلوجينية لترتيب الثدييات من شأنها أن تخفض شجرة الثدييات إلى شجيرة. وبسبب هذه التضاربات ذكر مقال في nature.

أن الفوارق بين الأشجار المورفولوجية والجزيئية تؤدي إلى حرب تطورية؛ لأن الأشجار التطورية المبنية من خلال المستوى الجزيئي لا تشبه غالبًا تلك المبنية على الشكل المورفولوجي.

وأخيرًا، نشرت دراسة في مجلة ساينس في ٢٠٠٥ حاولت استخدام بعض الجينات لإعادة بناء العلاقات في شعب الحيوانات، لكنها خلصت إلى أنه على الرغم من كمية البيانات واتساع تحليلها ظلت العلاقة بين الحيوانات دون حل. وفي العام التالي نشر نفس الباحثون ورقة علمية بعنوان «شجيرات في شجرة الحياة» والتي قدمت استنتاجات مذهلة؛ حيث تقترح الورقة أن «بعض الأجزاء الحرجة في شجرة الحياة قد يكون من الصعب حلها، بغض النظر عن كمية البيانات التقليدية المتاحة». وتؤكد الورقة أيضًا أن «الاكتشاف المتكرر للشجيرات التي لم تحل بعد يجب أن يجبرهم على إعادة تقييم عدة افتراضات واسعة النطاق من الأنظمة الجزيئية. إلا أنه مع الأسف لا يوجد إلا افتراض وحيد لعلماء الأحياء التطورية ليسوا على استعداد لإعادة تقييمه؛ وهو أن السلف المشترك العالمي صحيح. وقد وضعوا عددًا ضخمًا من الافتراضات بهذا الشأن بالذات، منها الانتقال الأفقي للجينات وتجاذب الفرع

الطويل والتطور السريع ومعدلات التطور المختلفة والتطور المتقارب والعينات غير المتكاملة لمحاولة تفسير البيانات التي لا تتناسب مع نموذج الشجرة المفترض. وكما ورد في ورقة بحثية في العام ٢٠١٢ التضارب الفيلوجيني شائع جدًّا وعادة ما تكون هذه هي القاعدة وليست الاستثناء.

وفي نهاية المطاف فشل الحلم الخاص بأن تسلسلات الحمض النووي سوف تبنى عليها شجرة داروينية ومناسبها وفشل معها أيضًا تنبؤ رئيسي للداروينية الحديثة.

[لينك المقالة]:

https://evolutionnews.org/2015/02/problem_6_molec/

وفقًا لعالم الأحياء فورد دوليتل، من جامعة دالهوسي في كندا، كان مفهوم شجرة الحياة محوريًّا تمامًا في تفكير داروين مثل الانتخاب الطبيعي، وبدون ذلك لن تكون نظرية التطور قد نُظّرت أبدًا. وكما أضاف جون ديبيري، فيلسوف علم الأحياء في جامعة إكسترا في المملكة المتحدة: «إذا كان هناك شجرة فإنها لن تكون سوى غصن نابت من شبكة الحياة» ويذهب البروفيسور روز أبعد من ذلك فيقول: «إن شجرة الحياة قد تم دفنها بأدب، نحن جميعًا نعلم ذلك».

ويقر عالم الأحياء التطورية إريك بابتيست: «ليس لدينا أي دليل على الإطلاق أن شجرة الحياة التطورية حقيقة». كما يقول: «وهذه الحقيقة المفجعة جعلتنا نسلم أن بعض وجهات نظرنا الأساسية لعلم الأحياء تحتاج إلى تغيير». ويضيف: «بنيت لفترة طويلة من الزمن هالة مقدسة حول شجرة الحياة! ولكننا اليوم لا نملك أي دليل على أن شجرة الحياة صحيحة. وأصبح هذا المشروع حاليًّا في حالة يرثي لها وممزقًا إلى أشلاء بفعل هجمات الأدلة المضادة. والعديد من علماء الأحياء الان متفقون على أن مفهوم الشجرة عفى عليه الزمن ويجب أن يتم التخلص منه». وينهي فورد دولتيل الجدل حول هذه الشجرة بوصفها الوصف الدقيق حين قال: «يجد بعض البيولوجيون أن هذه الأفكار مربكة ومثبطة، ويبدو أننا أخفقنا في المهمة التي كلفنا بها داروين؛

وهي الرسم الدقيق لبنية شجرة الحياة. ولكن في الحقيقة، يعمل العلم كما يجب فقط. حيث أوحت إلينا فرضية جذابة أو مثيرة للاهتمام بإجراء تجارب؛ وهذه التجارب في هذه الحالة هي تجميع بعض تسلسلات الجينات وتحليلها باستخدام علم تطور السلسلات الجزيئية. إلا أن البيانات أظهرت أن هذا النموذج (شجرة داروين) **مفرط في سذاجته**، والأمر يستدعي وضع فرضيات جديدة لا يمكن لنا حاليًّا أن نخمن صيغتها النهائية».

(لينك المقالتين):

1-https://www.sott.net/article/173647-Why-Darwin-was-wrong-about-t-he-tree-of-life

2-https://www.google.com.eg/url?sa=t&source=web&rct=-j&url=http://www.bennington.edu/doc/23731&ved=0ahUKEwjPr_ONjaj-XAhVMuhoKHRWBAMgQFggtMAU&usg=AOvVaw26tLBwPBn-XyOJtvWJFncPd

٤,٢,٤ التشابهات المورفولوجية (الشكلية):

والتي يفترضون من خلالها أن التشابهات الشكلية مثل تركيب العظام في أجنحة الخفافيش وزعانف الدلافين وأرجل الأحصنة وأيدي البشر فكلها تشير إلى نفس الأصل التطوري في السلف المشترك. وفي الواقع، وبالنظر إلى الانتقادات السابقة الخاصة بالتطور الكبير والأنواع الانتقالية والسلف المشترك وشجرة التطور؛ فإن التشابه المورفولوجي يشير إلى يد مصمم ذكي في تنوع الحياة. وكما قالت آن جوجر: «بالنسبة لمعظم علماء الأحياء، يفترض أن التشابه يؤكد أن البشر والشمبانزي مرتبطين ببعضهم البعض من خلال الأسلاف المشتركة. وهذا الافتراض يكمن وراء كل المنطق التطوري. ولكن لاحظ أن التشابه في هيكل أو تسلسل لا يمكن أن يؤكد السلف (الأصل) المشترك في حد ذاته. فسيارات «موستانج» و«توروس» لها أوجه تشابه قوية أيضًا، ويمكنك أن تقول أنها تطورت من سلف مشترك «فورد». ولكن أوجه التشابه بين هذه

السيارات هي نتيجة التصميم المشترك وليس الأصل المشترك»[1]

فهذه التشابهات بين المخلوقات ليس لها أي تفسير يقوم بنفسه دون مناقضة إلا أنها من تصميم مصمم واحد عليم بخلقه حكيم في تنويعه خبير في تدبير أموره وتصريف حاجاته على كثرته واختلافاته. فاللَّهُمَّ لا تكلنا إلى المنهج التجريبي المادي المضطرب، فإنه من اتكل عليه أنكر نفسه وفكره وصار لا يستيقن بشيء. وحقيقةً هؤلاء الناس يتعنتون في سبيل الهروب من الحقائق التي تصدم وتهدم معتقداتهم، ويحاولون التمسك بركن المادية الضعيف. وبعد هذه المحاولات المضنية للوصول إلى شجرة الحياة من خلال الدراسات المورفولوجية والجينية وفرض فكرة السلف المشترك بالقوة، يتذكر المرء تدرج فرعون في رده على موسى ﷺ، حتى إذا نفدت حججه وانقطعت تشغيباته وتعرى منطقه أمام متبعيه أظهر عين الطغيان وهدد موسى قائلًا لئن اتبعت إلهًا غيري لأجعلنك من المسجونين!

وهؤلاء التطوريين بالمثل، لا يلبث الباحثون في نقض عرى أصول مذهبهم عروة عروة، حتى إذا لم يبق لهم رد، وظهر عوار نظرتهم الضيقة للحياة، أظهروا عين التهديد والوعيد بأن معارضيهم أعداء العلم، وجهلة، ومعارضون لإجماع العلماء، وهلم جرا من السفسطات الفارغة التي لا تظهر إلا من العقول الفارغة والأحلام الطائشة. ولا يزال هناك من يبحث عن الحق للحق، بتجرد وإنصاف، وهم قليل في كثير من أتباع الرأي السائد ومتبعي الثقافة الغالبة. وما زال عرض أصول مذهب التطوريين وتعريتها وتحطيمها مستمرًا فإلى الأصل التالي...

٤,٢,٥ الانتخاب الطبيعي:

على الرغم من أن داروين عنون كتابه «أصل الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعي»، فقد شدد في طبعات لاحقة قائلًا: «حيث إن استنتاجاتي قد تم إساءة فهمها إلى حد بعيد، ونسب إليّ أنني أعزو تطور الأنواع إلى الانتخاب

---

(١) GAuGer. A., Axe, D., & LuSkin, C. (2012). úiÍ Òûi úéÌÆúÌ Seattle, USA: Discovery institute Press. p. 18.

الطبيعي بصورة حصرية، فربما يكون مسموحا لي أن أذكر أنه في الطبعة الأولى من هذا العمل، وفيما بعدها، وضحت تمامًا في ختام المقدمة موقفي من خلال الكلمات التالية: «أنا مقتنع بأن الانتخاب الطبيعي كان الوسيلة الرئيسية ولكن ليس الحصرية للتطور»[١] إذن؛ فداروين نفسه لا يقول بأن الانتخاب الطبيعي هو الوسيلة الوحيدة، ومع ذلك يروج التطوريون لها على أنها بالفعل الوسيلة الأساسية إن لم تكن الوحيدة لظهور الأنواع الجديدة، أملًا منهم في استبعاد مفهوم الخلق عن هذه النقطة الحرجة من تاريخ الكائنات الحية، وخصوصًا الإنسان. وفكرة الانتخاب الطبيعي الأعمى تعرضت لهجوم شديد من قبل الملحدين والمؤمنين على السواء. فقد كتب اثنان من الملحدين في مقدمة كتاب أخطاء داروين: «هذا ليس كتابا عن الإله، ولا عن التصميم الذكي، ولا حول الخلق. لا أحد منا ينتمي إلى أي هذه التوجهات. ونظن أنه من الأفضل جعل هذا واضحًا منذ البداية؛ لأن خلافنا الرئيسي في نقد الأخطاء التي ربما تأتي وراء ذلك، ويرجع هذا الخلاف لوجود شيء خاطئ بصورة قاتلة في نظرية الانتخاب الطبيعي»[٢] وعلاوة على ذلك، ذُكر أن الفيلسوف الملحد المعروف نيتشه قام بانتقاد نظرية داروين الخاصة بالبقاء للأصلح من خلال الانتخاب الطبيعي قائلًا: «لا تنمو الأنواع في صورة أكثر كمالًا: فالضعيف يهيمن على القوي، مرارًا وتكرارًا، والسبب هو أنه يمثل الغالبية العظمى، كما أن لديه أيضًا ذكاء. وقد نسي داروين العقل (وهذا بالإنجليزية!): الضعيف يمتلك المزيد من العقل. للحصول على العقل، لا بد من الحاجة إلى العقل، ويفقده الفرد عندما لا يعد هناك حاجة له»[٣]

وهذا المبدأ الدموي البغيض مهد الطريق لظهور الفلسفة الداروينية

---

(١) داروين:
C. (1899). *In The Origin of Species by Means of Natural Selection with additions and corrections from sixth and last English edition.* Vol. 2, page 293.

(٢) Fodor, J., & Piattelli-Palmarini, M. (2010). *WHAT DARWIN GOT WRONG* (First American ed.). New York, USA: Farrar, Straus and Giroux. p. 15.

(٣) Nietzsche, F., & Translated by Hollingdale, R. J. (1990). *Twilight of the Idols and the Anti-Christ.* p. 67.

الاجتماعية التي أباد معتنقوها ملايين الملايين من البشر. والحق أن الطبيعة ليست اللاعب، ولا المصمم. الطبيعة فقط تفعل ما تم تصميمها لأجله، وتقَرّرَ قيامها به. فلا تستطيع الطبيعة أن تنتخب شيئًا من تلقاء نفسها؛ إذ كيف ينتخب الأعمى الذي ليس له هدف؛ بل لا يعرف الهدف، وعلى أي أساس تميز الطبيعة الطفرات الصحيحة من الطفرات المميتة [إذا سلمنا جدلًا بصحة هذه الخزعبلات]. وقد ذكر دكتور هيثم طلعت في بعض مقالاته بعضًا من الآثار المخيفة لتبني هذا النوع من المبادئ «البقاء للأقوى» وخطره على البشرية جمعاء. فمما ذكر: «أنهى هربرت سبنسر عمله الشهير (الإحصاء الاجتماعي Social Statistics) في أواخر القرن التاسع عشر، وعارض في هذا العمل كل الطرق التي تقدمها الدول والحكومات للفقراء وضعيفي الإنتاج؛ لأن الفكرة تحمل في طياتها تمردًا على الداروينية المادية - تخيل أن أسدًا يساعد غزالًا على الفرار -! عراض سبنسر فكرة وسائل الوقاية الصحية وتدخل الدولة في الحماية الصحية لمواطنيها وتلقيحهم؛ لأنه طبقًا للداروينية الاجتماعية فالبقاء للأقوى، واسنا بصدد التمرد على هذا القانون أو تعطيله. إن مساندة الضعفاء أو محاولة حماية المرضى والحرص على بقائهم يأتي في تحد صارخ لقانون الطبيعة، هذا ما حاول سبنسر أن يؤكد عليه مرارًا حين قال: (إذا كان هؤلاء مستعدين للصراع من أجل الحياة، فإنهم سيحيون بل يجب أن يحيوا، أما في حالة أنهم لم يمتلكوا الأدوات التي تؤهلهم لذلك فإنهم سيموتون، ومن الأفضل أن يموتوا)[١] وطبقًا لتايل Tille «من الخطأ الشديد مجرد محاولة منع الفقر أو الإفلاس أو مساعدة الضعفاء أو محدودي الإنتاج، مجرد مساعدة هؤلاء خطأ جوهري في النظرية لأنه يتعارض أساسًا مع الانتخاب الطبيعي وهو جوهر الداروينية»[٢] ويضيف دكتور هيثم قائلًا: لقد وضعت الداروينية الأساس الفلسفي للرأسمالية العلمانية الانتهازية، وطبقًا

---

(١) Spencer, H. *Social Status*. p. 414-415.

(٢) The Idea of Race and Racism, p. 61.

لريتشارد هوفستادر Richard Hofstadter مؤلف كتاب الداروينية الاجتماعية في الوعي الأمريكي: فالرجال أصحاب الثراء ومراكز القوة في مدينة نيويورك يمثلون رموزًا حية للبقاء للأقوى[١] بل إن ريتشارد ملنر Richard Milner كبير محرري مجلة التاريخ الطبيعي كتب يقول: «المليونيرات هم الأكفأ في المجتمع، ويحتفظون دائمًا بمزايا أعلى، إنهم منتخبون طبيعيًّا naturally selected»[٢] وكتب إينوك H. Enoch في كتابه «التطور أو الخلق» ما يلي: «عندما توضع الداروينية كقيمة معيارية للتصويب والتخطئة فإننا حتمًا داخل غابة حيث القوة هي الصواب might is right، حيث الأكفأ يعيش، حيث المكر والقسوة والخداع هي أسس بقاء الفرد والمجتمع»[٣] ويختتم د. هيثم مقاله مقارنًا: وبينما أسست الأديان عللى البذل والفداء، أسست المادية الداروينية العلمانية الملحدة لعبادة المال ورموز القوة، وبينما يقول رسول الله ﷺ: **«ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به»** يقول هؤلاء: In order to rise there has to be a stepping stone for one to tread on؛ أي: لن تصعد إلا عندما تدوس على كتف جارك»[٤]

لم تنته مهازل قانون الانتخاب الطبيعي والبقاء للأقوى عند هذا الحد، «فطبقًا لداروين، فإن الجنس الأبيض هو الجنس المختار favoured race بينما الأفارقة والآسيويون في ذيل الأجناس البشرية، وسيخسرون معركة البقاء مع الجنس الأبيض ثم يختفون للأبد، يقول داروين بالحرف في كتابه «نشأة الإنسان ص١٧٨» ما يلي: «في المستقبل القريب ستقوم الأجناس البشرية الأكثر تقدمًا بإبادة الأجناس البدائية والحلول بدلًا منها، سينتهي القردة البشريون anthropomorphous apes للأبد، هذا مما لا شك فيه»[٥] يقصد

---

(١) Depew, Chauncey. (1922). *My Memories of Eighty Years.* PP 383-384

(٢) Milner, R. (1990). *Encyclopedia of Evolution.* p. 412.

(٣) Enoch, H. (1966). *Evolution or Creation.* p. 145.

(٤) طلعت، هيثم (٢٠١٤)، موسوعة الرد على الملحدين العرب، مصر: دار الكاتب للنشر والتوزيع، ص٢٣٩ ـ ٢٤١ بتصرف.

(٥) Darwin, C (1874). *The Decent of Man.* 2nd Edition. New York: A L. Burt Co., p. 178.

بمصطلح القردة البشريون الزنوج والسكان الأصليين للقارات المستعمرة [كنتيجة حتمية لقنون البقاء للأقوى]. وكتب الداروينى الشهير روسدن H. K. Rusden عن سكان القارات الأصليين عام ١٩٨٧ يقول: «إننا فقط نستشهد بقانون الطبيعة الذي لا يرحم. وعندما نقوم بإبادة سكان أستراليا ونيوزلندا الأصليين، فنحن فقط نقوم بما تلزمنا به الطبيعة، والطبيعة لا تعرف الرحمة أو الشفقة»[١] لقد تمت إقامة المذابح في كل القارة الأسترالية، وقدموا للسكان الأصليين الخبز المسموم، وبالفعل اختفت معسكرات السكان الأصليين من الوجود خلال ٥٠ سنة. كان الغرب الاستعماري يقبل نظرية داروين ليس لكونها صحيحة؛ بل لرغبتهم في أن تكون صحيحة. يقول عالم الإنسانيات الهندي Lalita Vidyarth: «نظرية داروين، والتي تقول بالبقاء للأقوى، كان مرحبًا بها بشدة في تلك الأيام، وخاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ـ عصر العنصرية الشهير ـ، وكانت تلقى قبولًا متزايدًا؛ وكانت العنصرية مقبولة كحقيقة طبقًا لأغلبية علماء الاجتماع الغربيين»[٢] وبالفعل صدقت نبوءة آدم سدجويك Adam Sedgwick الصديق الشخصي لداروين الذي قال بعد اطلاعه على كتاب أصل الأنواع لداروين: «إذا لقي هذا الكتاب قبولًا لدى الرأي العام فإنه سيجلب للبشرية مذابح لم يسبق للبشرية أن شهدت مثلها»[٣] جرت كل هذه الجرائم باسم الداروينية [وباسم قانون البقاء للأقوى والانتخاب الطبيعي]، واندس خلف الداروينية كل اللصوص والخبثاء والمستعمرين، ووجدوا فيها مبررًا لجرائمهم الوضيعة. فكان كل شيء يجري بمنتهى الديمقراطية والحياد، وبالفعل تم تفريغ قارات بأكملها من سكانها الأصليين، ولم يحدث ذلك إلا في وسط إلحادي وبتبرير دارويني وبدعم مادي لا يرحم»[٤]

---

(١) Http://adbonline.anu.edu.au/biogs/A060084b.htm

(٢) Http://en.wikipedia.org/wiki/L._P._Vidyarthi

(٣) Http://en.wikipedia.org/wiki/Adam_Sedgwick

(٤) طلعت، هيثم (٢٠١٤)، موسوعة الرد على الملحدين العرب، مصر: دار الكاتب للنشر والتوزيع، ص٢٤٣ ـ ٢٤٦ بتصرف.

ولمن أراد الاستزادة يمكنه البحث حول علاقة هذا القانون بعمليات التطهير العرقي من بعد ظهوره وحتى الآن، فقد علق عليه كافة السفاحين مبرراتهم القميئة في إزهاق الأنفس البشرية واستعبادها، وقد خلقها ربها حرة معصومة!

٤,٣ التطور والمنطق:

٤,٣,١ معضلة الخلية الأولى (لا شيء يأتي من لا شيء):

في إطار النموذج التطوري، وبمحاولة تناسي المصائب والطوام التي أدمت القلب السليم في الفصل السابق، لا تزال أسئلة الحياة الرئيسية بلا جواب. فالتطور لم يبحث مسألة من أين جاء الكون؟ أو لماذا هو موجود؟ أو ما هي الروح؟ بعض التطوريين إما يهمش أهمية وسبب هذه الأسئلة، وأحيانًا يسموها أسئلة غبية، أو يحاولون ـ عبثًا وسفسطة ـ تعميم النهج التطوري المادي على كل شيء.

منطقيًّا، لا يمكن أن يأتي شيء من لا شيء، ولكن الملاحدة لديهم إجابة أخرى. على سبيل المثال، كتب الفيزيائي الملحد لورانس كروس فرضيته المثيرة للسخرية «كون من لا شيء». لا يوجد نهج واضح لتبرير وجود الخلية الأولى، ولا توجد فكرة كيف تمت كتابة المعلومات في الحمض النووي، على الرغم من أن نظرية التطور تقوم على ذلك. يعلق ستيفن ماير قائلًا: «ماذا يعني عندما نجد المعلومات في كائنات طبيعية، وخلايا حية، لم نكن صممناها أو أنشأناها بأنفسنا؟» وكما يلاحظ منظّر المعلومات هوبيرت يوكي: «بنيت الشفرة الجينية لمواجهة وحل مشاكل الاتصال والتسجيل بنفس المبادئ الموجودة في الاتصالات الحديثة ورموز الكمبيوتر»، ويذكر يوكي أن «تكنولوجيا نظرية المعلومات ونظرية الترميز الخاصة بها كانت موجودة في علم الأحياء لمدة ٣,٨٥ مليار سنة على الأقل أو من الوقت الذي نشأت فيه الحياة على الأرض! ماذا يجب أن نستنتج من هذه الحقيقة؟ كيف نشأت المعلومات في الحياة لأول مرة! قد يؤدي حدسنا المنطقي إلى استنتاج أن المعلومات

اللازمة للحياة الأولى، مثل المعلومات في التكنولوجيا البشرية أو الأدب، نشأت من تصميم ذكي. ولكن البيولوجيا التطورية الحديثة ترفض هذه الفكرة». مع العلم أن كثيرًا من علماء الأحياء التطورية يعترفون، بالطبع، بأن الكائنات الحية «يبدو أنها قد صممت بعناية وبراعة» كما يقول ريتشارد ليوينتين. وكما يقول ريتشارد دوكينز، «علم الأحياء هو دراسة الأشياء المعقدة التي يبدو أنها قد صممت لغرض» ومع ذلك، ليوينتين وداوكينز، مثل علماء الأحياء التطورية عمومًا، يصرون على أن ظهور التصميم في الحياة هو وهم. يقولون «تبدوا الحياة وكأنها مصممة، ولكنها لم تصمم من قبل مصمم ذكي وضع غاية لها»[1] ويضيف فزال رنا: «إن النموذج التطوري يكافح حاليًا من أجل حساب الكم الهائل من المعلومات البيوكيميائية وتعقيدها. وبناء على الفهم الحالي فإن جزيئات المعلومات الغنية لا يمكن تجميعها عن طريق عمليات تحدث بالصدفة. كما أن الانتقاء الكيميائي لا يبدو قويًا بما فيه الكفاية (كما يتصور حاليًا) لعبور الفجوة بين خليط عشوائي من الأحماض الأمينية الحرة أو حتى ببتيد واحد يعمل، ليجعل مجموعة من البروتينات اللازمة للحياة أن تتواجد في أدنى صورة لها»[2]

وفي الدراسات الحديثة، لا يزال السؤال بلا جواب. ما هو المصدر، أو يمكننا أن نقول «من هو المصدر»، لهذه المعلومات؟ «النظام المرجعي الذاتي، كما حددنا هنا، ينطوي على تحويل المعلومات بين أنظمة الترميز المتميزة المحددة لبعضها البعض بالتبادل. وبالتالي؛ فإن المنظور الشمولي يفترض وجود مفاضلة ذاتية (وهي اكتمال المعلومات المخزنة والاتساق الكامل للرموز مختلفة) كتعقيد منظم غير قابل للاختزال لقواعد التنظيم الجيني لأي خلية. وبعبارة أخرى، فهذا يعني أن الديناميكيات الهيكلية للكروموسوم يجب

(١) Meyer, S. C. (2009). *Signature in the Cell: DNA and the Evidence for Intelligent Design.* U.S.A., Harper One trade mark of Harper Collins. p. 18.

(٢) Rana, F. (Ed.). (n.d.). *The Cell's Design eBook PDF Free Download How Chemistry Reveals the Creator's Artistry.* page 167.

أن تكون قابلة لأن تتحول إلى تعبير جيني مكتمل والعكس بالعكس. وبما أن الحمض النووي هو الناقل الأساسي للمعلومات الوراثية، فإن السؤال الأساسي هو كيف يتم ترميز هذا النظام المرجعي الذاتي في تسلسل البوليمر بالحمض النووي؟»[١]

٤,٣,٢ الضبط الدقيق مقابل الفوضى:

في حين يفضل التطوريون العمى على الحكمة، وعدم التنظيم على التصميم، والعشوائية على الغاية، والصدفة على القصد؛ يميل المعارضون الآخرون للتطور إلى الجانب الآخر ويفضلون الحكمة والتصميم والغاية في نظرتهم للحياة. الطبيعة تعمل وفقًا لتصميم خالقها كما قال ميلتون: «عدم وجود أنواع انتقالية (بما في ذلك الوحوش المنقرضة) في السجل الأحفوري وفي المملكة الحيوانية المعاصرة يدل على أن الطبيعة تذهب دون هوادة إلى هدفها. فالجفن البشري يغطي تمامًا العين البشرية والعملية التي جعلت الجفن ينمو ثم يتوقف عندما يصل إلى الحجم الصحيح! لا يمكن أن يكون غير مألوف أن يكون هناك جفن أطول قليلا من الحاجة، ولكن لا يوجد مخلوق لديه مثل هذا «النقص» في هذه التفاصيل التشريحية أو في أي التفاصيل الأخرى التي لا يحصى عددها.

وهذه مجرد أمثلة واضحة على ظاهرة عالمية نعتبرها أمرًا مفروغًا منه. فأسنان الطفل في المرحلة الثانية تكون كبيرة الحجم على الرغم من أنها تظهر في سن السابعة بينما يكون فك الطفل لم يكتمل نموه بعد، وأشجار البرتقال الصغيرة لديها برتقال بحجم صغير وأشجار البرتقال الكبيرة لديها برتقال بحجم كبير، والأجزاء الفردية من أي كائن حي من الضفدع إلى الفيل تظهر كلها بالحجم النسبي الصحيح»[٢] تصميم وضبط جميع مكونات الكون يجعل نظرية

---

(١) Muskhelishvili, G. (December 2013). Integration of syntactic and semantic properties of the DNA code reveals chromosomes as thermodynamic machines converting energy into information. *Cellular and Molecular Life Sciences, 70*(23), 4555-4567.

(٢) Milton, R. (1997). *SHATTERING the MYTHS of DARWINISM*. Rochester, Vermont: Park Street Press. p. 221.

التطور التي تعزو كل هذا الكمال إلى عملية عمياء من الانتخاب الطبيعي أمرًا سخيفا؛ كما قال داروين: «لنفترض أن العين بكل ما فيها من الوسائل الفذة الخاصة بتعديل التركيز على مسافات مختلفة، لتتسع لتقبل كميات مختلفة من الضوء، وكذلك لتصحيح الانحراف الكروي واللوني، يمكن أن تكون قد تشكلت من خلال الانتخاب الطبيعي، يبدو، وأنا أعترف بحرية، أن هذا مناف للعقل تمامًا»[1]

٤,٤ التطور من الناحية الفلسفية:

٤,٤,١ لا يستطيعوا أن يسمحوا بالتدخل الإلٰهي:

أدت الفلسفة المادية التي اعتقد فيها داروين وأتباعه التطوريين إلى إهمال المنطق والعقل والنقد العلمي من أجل القضاء على مفهوم الإلٰه أو الميتافيزيقا. فهم يناقضون أنفسهم ليوائموا وعيهم مع وجهة نظرهم غير المنطقية وغير المعقولة للحياة. كما اعترف نقل ستيفن هاليس اعتراف ريتشارد ليونتن في أحد مقالاته حين صرح: «استعدادنا لقبول الادعاءات العلمية التي هي ضد الحس السليم هو المفتاح لفهم الصراع الحقيقي بين العلم وما هو خارق للعادة. ونحن نأخذ جانب العلم على الرغم من سخف براءات الاختراع في بعض ما توحي إليه، وعلى الرغم من فشلها في الوفاء بالعديد من وعودها الباهظة حول الصحة والحياة، وعلى الرغم من التسامح من المجتمع العلمي مع القصص التي تحكى كمسلّمات، **لأن لدينا التزام مسبق بالمادية**. وليس بسبب أن أساليب ومؤسسات العلم تجبرنا بطريقة ما على قبول تفسير مادي للعالم الهائل؛ بل على العكس من ذلك، نحن مضطرون بسبب التزامنا المسبق بالأسباب المادية، مهما كانت مضادة للحدس، ومهما كانت تخيلية. وعلاوة على ذلك، فتلك المادية هي مطلقة لأننا لا يمكن أن نسمح

---

(١) Darwin, C. (1971). *In The Origin of Species by Means of Natural Selection with additions and corrections from sixth and last English edition.* London: J. M. Dent & Sons Ltd. Page 167. (page 18 of The Revised Quote Book).

بالتدخل الإلٰهي»[١]

٤,٤,٢ فلسفة الداروينية الاجتماعية:

كما تناولنا في فصل سابق، ليس هناك معنى للحياة في الفلسفة الداروينية. ونتيجة لذلك، تشبع الطغاة الأول في التاريخ الحديث بالأفكار الداروينية الإلحادية للحياة. وقد أسس هربرت سبنسر الداروينية الاجتماعية من خلال تأثره بأفكار داروين؛ أن الارتقاء يحدث في الإنسان عن طريق الانتخاب الطبيعي، وان الإنسان ظاهرة بيولوجية ترتقي من خلال الصراع وتنقية الأعراق. والداروينية الاجتماعية، كما يذكر د. هيثم طلعت، تعني تنزيل قوانين داروين في الأحياء على علم الاجتماع، يقول داروين في كتابه أصل الإنسان، في الفصل السادس ما يلي: في مرحلة مستقبلية معينة، ليست ببعيدة، سوف تقوم الأعراق البشرية المتحضرة على الأغلب بالقضاء على الأعراق الهمجية واستبدالها في شتى أنحاء العالم. وهذا ما حدث بالفعل. وكتب القائد النمساوي المجري الجنرال فان هودزاندوف، القائد الكبير في الحرب العالمية الأولى بعد انتهاء الحرب قائلًا: الحرب قانون الطبيعة، علينا أن ننسى قليلًا ما تدعونا إليه الأديان[٢] كما كتب أحد جنرالات الحرب العالمية الأولى، فريدريك فوربرنارد، قائلًا: الحرب حاجة أيدولوجية بقدر حاجة الأحياء في الطبيعة للصراع، وتعطي نتائج مجدية من الناحية البيولوجية[٣] ومن أفضل المطبقين لهذه النظرة الفلسفية المشؤومة للحياة وللبشر كان هتلر، عندما قام بقتل الغجر واليهود والأقزام وغيرهم في أفران الغاز وكان يقول إن هذه «أدشاش تطهير» للعرق الآري، فالتطهير العرقي أمر بدهي من منظور دارويني إلحادي مادي مجرد. وتم أيضًا تأسيس وحدات الموت للقتل العام، والتي قتل فيها أكثر من ١١ مليون شخص بحجة التطهير

---

(١) Hales, S. (2009). *Relativism and the Foundations of Philosophy*. page 149.

(٢) Joll, James (1990). *Europe Since 1870*. Penguin Books: p. 164.

(٣) Man in process world.pub.co. Newyork 1961 p.76.

للجنس الآري، وأسماها هتلر «أدشاش تطهير» لألمانيا، وفي كل مكان عبروه أحرقوا الناس والبلاد والبيوت، وحتى المعاقين والمرضى والضعفاء تمت إبادتهم في النظام الهتلري بحجة أنهم غير منتجين useless eaters لا بد من التخلص منهم في أسرع وقت وبأكثر الطرق كفاءة»[١] ويعتبر داروين أنه لا فائدة من تلقيح السود، فهم بجلاء وبلا أمل سيختفون مع الوقت. يقول داروين: بخصوص السكان الأصليين فإنهم ضعاف في البدن والعقل، نحن الرجال المتحضرين في المقابل نحافظ على أنفسنا من الأمراض ونتلقى اللقاحات التي حفظت الآلاف منا[٢] ويقول عالم الطبيعيات الأمريكي الدراويني الشهير هنري أوسبورن Henry Fairfield Osborn في مقال له تحت عنوان (تطور الأجناس البشرية): مستوى الذكاء لدى السود البالغين لا يعدو أن يكون بمستوى ذكاء طفل أبيض لم يتجاوز ١١ سنة[٣] ويقول الدكتور الفرنسي Etienne Serres: إن الذكر الأسود في مرتبة أقل من الذكر الأبيض لأن مكان السرة في مستوى أقل من ذلك لدى الذكر الأبيض[٤]؛ بل ووصل السخف ببعض علمائهم إلى الزعم بأن القمل الذي ينمو على شعر الرجل الأسود يختلف عن نوعية القمل الذي ينمو على شعر الرجل الأبيض[٥] ولا يوجد أدنى شك أن شيوع الفلسفة الداروينية التي انبثقت كنتيجة حتمية لأفكار داروين التطورية كانت السبب الرئيس في شيوع هذه التفرقة العنصرية البغيضة وتبرير عمليات القتل الجماعي والتطهير العرقي التي طالت ملايين البشر. وتأثير داروين على هؤلاء السفاحين كان مباشرًا، ولا يزال، إلى الحد الذي

---

(١) طلعت، هيثم (٢٠١٤)، موسوعة الرد على الملحدين العرب، مصر: دار الكاتب للنشر والتوزيع، ص٢٥٠ ـ ٢٥١ بتصرف.

(٢) Darwin, C (1874). *The Decent of Man*. 2nd Edition. New York: A L. Burt Co., p. 171.

(٣) Http://en.wikipedia.org/wiki/Henry_Fairfield_Osborn

(٤) Gossett, Thomas (1963). *Race: The History of an Idea in America*. Dallah: Southern Methodist University Press. p. 81.

(٥) طلعت، هيثم (٢٠١٤)، موسوعة الرد على الملحدين العرب، مصر: دار الكاتب للنشر والتوزيع، ص١٤٥ بتصرف.

يصعب تحقيقه: يحكي ج. غلودجيدز، صديق الطفولة لأكبر سفاحي العصر الحديث: ستالين قائلًا: فعندما كان ستالين مجرد تلميذ في المدرسة الكنسية، نشأت لديه عقلية نقدية ومشاعر ثورية. وبدأ يقرأ داروين وأصبح ملحدًا. يقول غلودجيدز:

«بدأت أتكلم عن الله، وسمعني جوزيف، وبعد صمت لحظة قال: كما تعلمون، هم يخادعوننا لا يوجد إله!».

«فوجئت بهذه الكلمات. لم أسمع أي شيء مثل ذلك من قبل!».

صرخت: «كيف يمكنك أن تقول مثل هذه الأشياء؟».

رد جوزيف: «سأقرضك كتابا للقراءة. وسوف يظهر لك أن العالم وجميع الكائنات الحية مختلفة تمامًا عما تتخيل، وكل هذا الحديث عن الله هو هراء محض».

«ما هو الكتاب؟».

«داروين. يجب عليك قراءته»[١]

ووفقًا لمقولة فرانسيس بيكون الشهيرة، فإن ستالين والملحدين مثله، إذا قادتهم كميات صغيرة من الفلسفة إلى الإلحاد، فإنهم إذا درسوها بعمق ستعيدهم إلى الله. نفس الأمر بالنسبة لمعنى الخير والأخلاق والغاية، فليس هناك مجال في الفلسفة التطورية لهذه الجوانب من الحياة. فمعظم الداروينيون يعطون مبررًا ماديًّا للسمات الفريدة للإنسان، وغالبًا يكون من خلال الجينات الأنانية. وقد هدم جون هوت باختصار حجة دوكنز قائلًا: «لقد خلص دوكنز والعديد من التطوريين الآخرين إلى أن الانتخاب الطبيعي ينطبق بشكل أدق على عدد الجينات التي يشترك فيها أفراد النوع الواحد أكثر من انطباقه على الكائنات الفردية، ويشير علم الأحياء إلى أننا ذوي أخلاق لأن الخير ساهم في بقاء الجينات البشرية. وبالتالي؛ لا توجد حاجة لوجود التفاسير اللاهوتية.

---

(١) Yaroslavsky, E. (1940). *Landmarks in the Life of Stalin*. Moscow: Foreign Languages Publishing house. p. 8 - 12.

ووفقًا للتقاليد الدينية الرئيسية، فالإيثار هو نقطة سامية من الوجود الأخلاقي، والحب غير الأناني يقنع المؤمنين ـ خاصة ـ بوجود أصل إلٰهي للأخلاق الإنسانية».

غير أن علماء التطور اليوم يعتقدون أنهم يستطيعون تتبع أصل مثل هذه الفضائل الكريمة للحوادث الوراثية العرَضية غير المقصودة التي برمجت بعض أجدادنا ليكونوا أكثر تعاونًا وإيثارًا من غيرهم. حيث كان لدى مجتمعات الأجداد التي ينتشر فيها الكثير من الجينات الخاصة بالسلوك التعاوني والسخاء فرصة أفضل للبقاء على قيد الحياة والتكاثر من تلك التي لم ينتشر فيها ذلك. فبقاء الجينات، وليس الإلٰه، هو المصدر النهائي لغرائزنا الأخلاقية.

ويدرك دوكنز، بطبيعة الحال، أن الحياة الأخلاقية أكثر تعقيدًا بكثير من سلوك الحيوان، وأن العوامل الثقافية مهمة أيضا في تشكيل الحياة الأخلاقية. ومع ذلك، فإنه لا يزال يصر على أن الأخلاق في نهاية المطاف طبيعية وليست إلهية في أصلها. إلا أنه عند هذه النقطة تنهار حجته فجأة. ففي «تفسيره» التطوري للدين، يبدأ دوكنز بالتنبؤ بنظرية مادية تمامًا، ولكن بعد ذلك ينتقل إلى تعديل تنبؤه الخاص بالتفسير الدارويني إلى رؤية يلعب فيها علم الأحياء دورًا ضئيلًا جدًّا في تكوين الفضيلة الإنسانية. ويعترف دوكنز في نهاية المطاف باستخفاف هائل بأن التطوريين لا ينبغي أن «يخطئوا في تحديد مدى الانتخاب الطبيعي». وفجأة، يعترف بأن الخصائص البشرية التي كانت سببًا في وقت ما لبقاء الجينات «تكون في بعض الأحيان خاطئة» وفي هذه الحالة لا تكون قادرة على تعزيز بقاء الجينات. فعلى سبيل المثال، يمكن لزوجين ذكيين الانخراط في النشاط الجنسي على الرغم من أنهما يدركان أنه لن يؤدي إلى الإنجاب إذا كانت المرأة تأخذ حبوب منع الحمل. فممارستهم للغريزة الجنسية في تلك الحال تعتبر «إخفاقًا» أو «منتجًا ثانويًا» أو «خطأ» تطوري. وبالنسبة لداوكينز هذه المصطلحات ليس لها دلالات ازدرائية لأن هناك مجموعة من الأخطاء «المباركة» الداروينية في السلوك البشري. وفي الواقع، «الرغبة في اللطف ـ إلى الإيثار، والكرم، والتعاطف، إلى الشفقة» إحدى هذه

الإخفاقات![1]

٤,٥ ملخص الفصل:

في ضوء هذا التحليل النقدي القصير لمعظم القواعد والجوانب والأدلة على نظرية التطور، يصبح من الواضح أن النظرية، أو الفرضية، بعيدة جدًّا عن كونها «حقيقة علمية». وبهذا يكون القارئ ـ المنصف ـ قد تخمر في عقله الأسس المتهالكة التي تقوم عليها النظرة التطورية للحياة عمومًا وللإنسان خصوصًا، وأيضًا يكون قد اكتسب المعرفة اللازمة بمصادر التلقي والاستدلال للحقائق العلمية والغيبية بما يؤهله للحكم الواقعي على قضية وجود آدم عليه السلام، أبو البشر وأول البشر وتصنيفها في المكان الأمثل بين الأدلة التجريبية ـ إن وجدت ـ وبين حقائق الوحي المبثوثة في القرآن. وسيتحول البحث لرصد المنظور التطوري والمنظور الديني لآدم عليه السلام وبيان وجه الحقيقة لهذه القضية المحورية في الحوار الإيماني ـ الإلحادي والتطوري ـ الخلقوي.

---

(١) Haught, J. F. (n.d.). *God and the New Atheism: A Critical Response to Dawkins, Harris, and Hitchens*. WJK Books. p. 69 - 70.

الفصل الخامس

آدم بين التطور والتطور الموجه والوحي

٥,١ آدم من المنظور التطوري:

يتفق كافة التطوريين، ملاحدة ومؤمنين، على إنكار شخصية آدم التاريخية التي خلقها الله خلقًا مباشرًا (خاصًا). فلا وجود لشخص اسمه آدم خلقه الله خلقًا معجزًا (على خلاف القوانين الطبيعية) بيديه الكريمتين. ويتفقون كذلك على رفض التفسير الحرفي لقصة آدم في النصوص الدينية، مدعين أن هناك تعارضًا واضحًا بين هذه المعاني الحرفية للوحي وبين حقيقة التطور العلمية.

٥,١,١ رأي التطوريين الملاحدة:

ينكر التطوريون الملاحدة وجود ما يسمى بآدم على الإطلاق (بتفسيره الحرفي أو المجازي). فكما ينسبون أي كلام عن (الإلٰه) إلى الأساطير والخرافات، فكذلك الحال (بل هو أولى) بالنسبة للكلام عن (آدم وحواء). ويرجع موقفهم إلى اعتقادهم برفض أي شيء يتعلق بالخلق أو أي قوة غير طبيعية لتفسير سبب وجودنا، كما يرجع إلى إخلاصهم الشديد للمادية والعلموية. ولكن الجدير بالذكر أن غالب نقد التطوريون الملاحدة لقصة آدم وحواء، بغض النظر عن إنكارهم وجود الإلٰه من الأساس، يرجع إلى القصة المذكورة في العهد القديم على وجه الخصوص. مثل الخطيئة الأصلية ووجود الموت المادي بعد الخطيئة والعديد من الأمور المحرفة الأخرى الموجودة في القصة المذكورة في العهد القديم، والذي يمكن فعلًا أن يقال عنها أنها «أساطير».

تقول عالمة الأنثروبولوجيا ماري ووماك في كتابها «رموز ومعاني» بعد أن نقلت أول إصحاحين من سفر التكوين واصفة إياهما بأنهما «خرافة»: «خرافات الخلق هي قصص رمزية تصف كيف وجد الكون بما فيه. وقد تطورت أساطير الخلق من خلال الروايات الشفهية وبالتالي أصبحت لها العديد من الروايات المختلفة»[1]

وهناك العديد من الكتب الأخرى التي تناولت «الخرافات» حسب ما يرى مؤلفوها. وفي الحقيقة، لا ينبغي أن ننكر أن بعض ما ورد في العهد القديم هو بالفعل «خرافة». ولكن الملاحدة لا يفرقون بين ما صح من الروايات وما لم يصح منها. مثلًا: يقول هوارد شوارتز واصفًا الأساطير في الديانة اليهودية: «الخرافات الموجودة حول خلق العالم هي بطبيعة الحال خرافات الخلق الأولية الموجودة في اليهودية. ولكن هناك نوع آخر مهم من الخرافات وهو ما يتعلق بخلق البشر. ومرة أخرى يلعب النص الوارد في سفر التكوين حول خلق آدم وحواء الدور الأساسي في نشر هذا النوع من الخرافات».

بل عادة ما يسخر التطوريون الملاحدة من قصة آدم ومن يؤمن بها. وجعلوا نظرية التطور هي التفسير المادي الوحيد لتنوع الكائنات الحية دون الحاجة إلى قوة عليا تحركها. مع أن نظريتهم لا تختلف كثيرًا في الاعتماد على الغيبيات والمزاعم التي لا يمكن لأحد التحقق منها، ولكنه العمى والتحيز والكيل بمكيالين وفي مقدمة ذلك اتباع الهوى.

٥,١,٢ رأي أنصار التطور الموجه في الغرب:

يرجع السبب الأساسي لتفريقي بين آراء أنصار التطور الموجه في الغرب والعالم الإسلامي حول قصة آدم إلى مواقفهم المختلفة تجاه ما يعرف بـ«أصول الدين» الذي ينتمون إليه سواء النصرانية أو الإسلام. فلكي تكون من أنصار

---

(١) Womack, Mari (2005). *Symbols and meaning: a concise introduction*. Walnut Creek... [et al.]: Altamira Press. P. 81.

التطور الموجه من خلفية مسيحية أو يهودية؛ يعني: أنك تنكر أسس هذه الأديان وجوهرها. ولكن على العكس، لا يعتبر مؤيدو التطور الموجه في العالم الإسلامي مهرطقين أو منافقين أو بالأحرى كفارًا لمجرد تفسيرهم لآيات القرآن من وجهة النظر التطورية.

من أبرز المؤيّدين الحاليين للتطور الموجه في الأوساط الأكاديمية الغربية فرانسيس كولينز Francis Collins، مؤلف كتاب «لغة الإلٰه ـ The Language of God»، والرئيس السابق لمشروع الجينوم البشري. وكارل جيبرسون Karl Giberson، الفيزيائي بجامعة نازار الشرقية astern Nazarene University ومؤلف كتاب «إنقاذ داروين ـ Saving Darwin»؛ وعالم الأحياء/اللاهوتي دينيس لامورو Denis Lamoureux. وفي السابق، كان الأستاذ هوارد فان تيل Howard Van Till مدافعًا بارزًا عن التطور الإلٰهي في أوائل وأواسط التسعينيات، لكنه ترك المسيحية واعتنق «الفكر الحر».

ويمكن تلخيص توجهات أنصار التطور الموجه وغيرهم في الجدول التالي:

	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
١	أنصار الأرض المسطحة Flat Earth	يتمسك أنصار الأرض المسطحة بالتفسير الحرفي للعهد القديم حيث يؤمنون بأن الأرض تشبه القرص الدائري المسطح وليس الجرم الكروي أو البيضاوي.	نعم	تفسير حرفي	لا	شخصية تاريخية
٢	أنصار الأرض المركزية Geocentrist	وهم يشبهون المدرسة السابقة من حيث تمسكهم بالتفسير الحرفي للعهد القديم حيث يعتقدون بأن الشمس هي التي تدور حول الأرض وأن الأرض هي مركز الكون	نعم	تفسير حرفي	لا	شخصية تاريخية

	المدرسة	التعريف	الإيمان بإله	الكتاب المقدس	التطور (الكبير)	طبيعة آدم
٣	خلقوية الأرض الحديثة Young-Earth Creationism	وتعرف أيضًا بالخلقوية العلمية Scientific Creationism ويعتقد أنصارها بأن عمر الأرض حوالي ٦٠٠٠ عام حسب التفسير الحرفي للترتيب الزمني في العهد القديم، ومن بين أشهر أقوالهم في تحديد هذه المدة ما ادعاه الأسقف جيمس أوشر عام ١٦٥٠ بأن الأرض خلقت في عشية اليوم الذي قبل ٢٣ أكتوبر ٤٠٠٤ قبل الميلاد. وأشهر أنصارها هنري موريس Henry Morris مؤسس معهد بحوث الخلق Institute for Creation Research.	نعم	تفسير حرفي	لا	شخصية تاريخية
٤	خلقوية الأرض القديمة Old-Earth Creationism	وهي خلقوية تعتقد بعمر الكون الطويل حسب ما قررته الجيولوجيا والعلوم الحديثة (بلايين السنين) ولكنها في الوقت نفسه لا تؤمن بالتطور الكبير. ويمثل هذا التوجه أطياف كثيرة يختلفون اختلافًا كبيرًا.	نعم	يختلف من شخص لآخر	لا	تختلف من شخص لآخر
٦	الخلقوية التدرجية Progressive Creationism	وتمثل تفسيرًا غير أرثوذكسي لسفر التكوين مما يسمح بالاعتقاد بتطور الكون عبر ملايين السنين، ويؤمنون أيضًا بالتطور الصغير وأن الإله يتدخل لخلق الأنواع الرئيسية للكائنات المحددة في أوقات معينة، وخصوصًا خلق الإنسان.	نعم	تفسير حرفي أو مجازي مع وجود تدخلات	لا	تختلف من شخص لآخر

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٧	التطور الموجه Theistic Evolution	الاعتقاد بأن التطور حقيقة (أو أفضل التفاسير العلمية أو هو التفسير العلمي الوحيد المقبول) وأنه لا يناقض النصوص المقدسة من خلال التفسير المجازي لها. ويختلفون فيما بينهم حول تدخل الإله في عملية التطور من عدمه وأكثرهم على أن عملية التطور عشوائية.	نعم	تفسير مجازي	نعم	شخصية مجازية
٨	الخلقوية التطورية Evolutionary Creationism	وهي مدرسة قريبة من التطور الموجه ولكنها تميل إلى الجانب المحافظ أكثر، حيث يعتقدون بأن التطور وسفر التكوين كلاهما حقيقة مع استثناء الأحداث في سفر التكوين من حيز الزمن الطبيعي، ويتمسكون بأن عملية التطور موجهة وليست عشوائية لأنهم يؤمنون بأن جميع العمليات الطبيعية تحت سيطرة وقدرة الإله ويمكنه تغييرها في أي وقت.	نعم	تفسير مجازي	نعم	شخصية مجازية

[illegible]	المصطلح	[illegible]	الإيمان بإله	الكتاب المقدس	التطور (التكيف)	خليقة آدم
٩	التطور الربوبي Deistic Evolution	وهو يشبه نوع التطور الموجه الذي يؤمن أفراده بأن الإلٰه لم يتدخل مطلقًا في خلق الكون بعد اللحظة الأولى. وبعض التطوريين الربوبيين يعتقدون بأن الإلٰه لم يعد موجودًا بعد خلق الكون أو خلق الكون ثم تركه ولم ينشغل به. ويختلفون عن أشباههم من أنصار التطور الموجه أنهم لا يؤمنون بنبوة أو رسالة بخلاف الأولين الذين قد يدينون بدين معين.	ربما	لا يوجد كتاب مقدس	نعم	لا يوجد آدم
١٠	التطور اللا أدري Agnostic Evolution	وهذا المصطلح يشير إلى اعتقاد من يؤمنون بالتطور ولكنهم إما لا يأخذون موقفًا إيمانيًّا معينًا من الدين وخاصة سفر التكوين أو لا يعتقدون بأن هناك حاجة لوجود علاقة بين التطور والقضايا الدينية. بمعنى أنهم لا أدريين فيما يتعلق بالعلاقة بين العلم والدين، وقد يكونوا ملاحدة أو لا أدريين - معتقدًا - أو متدينين، وأحيانًا ما يقفون ضد أنصار التطور المادي الإلحادي في المعارك الفكرية.	ربما	لا يوجد كتاب مقدس	نعم	لا يوجد آدم

١١	التطور المادي الإلحادي Atheistic Evolution	وهو الاعتقاد بأن التطور المادي هو القصة الوحيدة الصحيحة لظهور الكائنات الحية وينصون على عدم الحاجة للإله في ظل التطور مثل كارل ماركس وأنصار الإلحاد الجديد.	لا	لا يوجد كتاب مقدس	نعم	خرافة

من خلال الجدول السابق يتبين أن أنصار التطور الموجه يتبنون آراءً عديدة ومتنوعة لتوضيح كيفية إدراج فعل الإلٰه في عملية التطور المادية الواضحة. على سبيل المثال: «يصر فرانسيس كولينز وكين ميلر ودينيس لامورو وآخرون على أن المؤمنين يستوعبون القصة الداروينية. وفي بعض الحالات، يكون الاستيعاب شاملًا للغاية بحيث يتم إخبارنا بأن الداروينية أو الطبيعية المنهجية لا تنشأ من علم الأحياء بل من علم اللاهوت! بينما يرى آخرون، مثل مايكل تيكز، أن عقيدة الخلق تتطلب أن يكون لكل كائن حي تفسير داخل إطار الطبيعة، ويبدو أنه أكثر انزعاجًا بالتصميم الذكي مقارنة بالداروينية. وهناك آخرون، مثل هوارد فان تيل، يخبروننا أنه في كتابات آباء الكنيسة ليس هناك تصميمًا ذكيًا؛ بل «مبدأ الاقتصاد النسبي القوي»، الذي تقوم الطبيعة فيه بخلقها الخاص. ومن المفترض أن حقيقة اتفاق هذه الحجج اللاهوتية الشهيرة مع الطبيعية المنهجية هو محض صدفة. وآخرون، مثل كارل جيبرسون، يجادلون بأنه بدلًا من رفض علم اللاهوت، فإننا نقبل فإن الداروينية كشريك مرحب به. فإذا كانت الحياة هي نتيجة للاختيار والتغيير العشوائي ـ إلى حد كبير ـ، فإن الحجة تذهب إلى أبعد من ذلك وتقول بأن الإلٰه في هذه الحالة أقل تورطًا في الشر الطبيعي»[1].

(١) Richards, J. W., & A. (2010). *God and Evolution*. Seattle: Discovery Institute Press. p. 238.

ويشرح دينيس فينيما، أحد الرواد المساهمين بانتظام على موقع بيولوجوس، الاختلافات بين الآراء المتنوعة لأصل الحياة مدعمًا مبادئ التطور الموجه مثل قبول السلف المشترك ورفض شخصية آدم التاريخية والتأكيد على التفسير المجازي (غير الحرفي) لمعاني سفر التكوين قائلًا: «وبالرغم من اختلافاتهم الكبيرة، فإن الخلقويين من أنصار الأرض الحديثة والأرض القديمة والتصميم الذكي ينكرون بعض جوانب العلم الحديث. ويعتبر التوجه المسيحي الوحيد حول أصل الحياة والذي يقبل تمامًا كافة ما توصل إليه العلم الحديث هو الخلق التطوري أو التطور الموجه. فيرى هذا التوجه أن العلم ليس عدوًا لمجابهته، ولكنه وسيلة إلى فهم بعض الآليات التي استخدمها الإله لتحقيق التنوع الحيوي على الأرض. ويقبل هذا الرأي بأن البشر يشتركون مع أشكال الحياة في سلف مشترك وبأن نوعنا (الإنساني) نما كمجموعة وليس من خلال أبوين مفردين أوليين. وهناك رؤى مختلفة لدى أنصار الخلق التطوري (مسمى آخر للتطور الموجه) حول ما إذا كان هناك زوجين شخصيين تاريخيًا اسمهما آدم وحواء: فبعضهم يرى أنهم كانوا هناك بالفعل وأن الإله اختارهم من وسط مجموعتهم كممثلين. بينما غالبية مجتمع الخلق التطوري يشعرون أن آدم وحواء مجرد شخصيات رمزية (غير تاريخية ولا حقيقية) كتمثيل لعدم وفاء إسرائيل بالعهد. العلم (علم الوراثة السكانية البشرية) واضح أن جنسنا نشأ كمجموعة، وهذا ما كنت قد ركزت عليه (لأن ذلك هو مجال خبرتي). أنا أحاول أن أترك اللاهوت للآخرين، لكن الناس غالبًا ما يريدون التحدث حول هذه النقاط من الناحية اللاهوتية وليس من الناحية العلمية»[١]

اختلافات الرؤى بين أنصار التطور الموجه أساسها تعريفهم لـ«الإيمان» و«التطور» وصفات إلٰههم الذي يؤمنون به. هل يتطلب الإيمان بوجود إلٰه أن يكون متفاعلًا ومتحكمًا بصورة دائمة في تطور الحياة؟ وهل يسمح الإيمان

---

(١) Venema, D. (2011, September 7). Ask an Evolutionary Creationist: A Q&A with Dennis Venema. Retrieved July 1, 2017, from http://biologos.org/blogs/dennis-venema-letters-to-the-duchess/ask-an-evolutionary-creationist-a-qa-with-dennis-venema

بالإله أن يكون إلهًا عاطلًا أو مجهولًا لدرجة أنه لا يعلم النتيجة النهائية لتطور الحياة؟ وعلى العكس، هل تتطلب النظرية التطورية «العشوائية» (كما أصر داروين)؟ أو هل يمكن للتطور أن يتضمن عملية موجهة لتحقيق نتائج مجددة من قبل سبب ذكي؟ وسيكون رأي أنصار التطور الموجه مختلفًا بدرجة كبيرة بناء على إجاباتهم حول هذه الأسئلة.

وبعكس أنصار التطور الموجه الأوائل وبعض أنصاره الحاليين من المسلمين، يوافق العديد من أنصار التطور الموجه الحاليين داروين في كافة التفاصيل والآليات التي ذكرها في نظريته. يقول كارل جيبرسون على سبيل المثال في كتابه «إنقاذ داروين»: «بمجرد قبولنا الرؤية التطورية الكاملة للبشر، سنصطدم بمشكلة تميزهم. فصورة التاريخ الطبيعي التي كشف عنها العلم الحديث وضحت أن البشر يتطورون ببطء وبصورة غير محسوسة من مخلوقات أبسط وأقدم. ولم تظهر فجأة أيا من سماتنا - مثل: الذكاء، أو الوضعية الرأسية، أو الحس الأخلاقي، أو الإبهام المعاكس، أو القدرة اللغوية. بل لا بد أن تظهر كافة قدراتنا الرائعة بشكل تدريجي وأن تكون موجودة بطريقة جزئية وتوقعية في أسلافنا الرئيسيين. وهذا يشير بشكل لا يمكن المفر منه إلى أن الحيوانات، خاصة الرأسيات العليا، يجب أن تمتلك حسًّا أخلاقيًّا محددًا يختلف عن الموجود عند البشر من الناحية الكمية فقط. وليس من المستغرب أن تدعم الأبحاث الحالية هذه الفكرة»(١).

قصة السقوط (المعصية):

النظرة التطورية لآدم تتعارض بصورة مباشرة مع التعاليم اليهودية والمسيحية حول قصة السقوط. كما أشار صديق كولنز الحميم، جيبرسون، «بأن المنظور الداروينى لتطور البشر يشير إلى أنهم كانوا أنانيون ومعيبون منذ البداية. وبالتالي لا يوجد ما يسمى بـ«السقوط» في الرؤية الداروينية

---

(١) Giberson, K. W. (2008). *Saving Darwin: How to Be a Christian and Believe in Evolution*. San Francisco: HarperOne. p. 13.

الأصلية... ويرفض جيبرسون فكرة أن رفضه للسقوط يعد ابتداعًا، مصرًا على أن السقوط «لا تترتب عليه حاجتنا للخلاص». كما وضح قائلًا: «لا أفهم لماذا علينا أن نكون مثاليين ثم نسقط في المعصية حتى يتم خلاصنا. لا أفهم هذا أبدًا. يبدو لي أنه مهما أصبحنا أشرارًا، فلا يزال بإمكاننا الخلاص». حسنًا، نعم، إذا كان المرء مرنًا بما فيه الكفاية، فيمكنه إعادة تعريف مفهوم الخلاص المسيحي حسب هواه. وهذا الأمر سيكون شيئًا مختلفًا جدًّا عن المسيحية التاريخية»[١]

٥,١,٣ الفروقات بين قصة آدم حسب الرؤى التطورية للملاحدة والمؤمنين:

على الرغم من التوافقات المذكورة أعلاه بين الرؤى التطورية المختلفة، إلا أن تقرير التطورين من الملاحدة والمؤمنين حول آدم ليس متطابقًا تمامًا. فبعض أنصار التطور الموجه ينكرون التفسيرات الداروينية للأخلاق. على سبيل المثال: وصف فرانسس كولنز القانون الأخلاقي بأنه شيء تميز به البشر ولا يمكن تفسيره من خلال العملية الداروينية قائلًا: «من أين أتى هذا القانون الأخلاقي؟ أنا أرفض الفكرة التي تقول إنه نتيجة تطورية؛ لأن هذا القانون الأخلاقي أحيانًا ما يخبرنا بأن الصواب هو ما فيه هلاكنا. فلو أنا أسير على ضفة نهر ووجدت رجلًا يغرق، فسيتولد لدي شعور بأنْ ما يصح فعله هو محاولة إنقاذ هذا الشخص وإن لم أعرف كيف أسبح بطريقة جيدة. والتطور سيقول لي العكس تمامًا: حافظ على حمضك النووي، من الذي يهتم بالرجل الذي يغرق؟ إنه ضعيف، دعه يمضي، إنه حمضك النووي الذي يجب أن يبقى. ولكن هذا لم يكتب داخلي (في الحمض النووي)»[٢]

ورأي كولنز هذا يتعارض تمامًا مع الداروينية، فلا يوجد أساس منطقي لاستثناء أي من القدرات أو المميزات الإنسانية من العملية التطورية، ولا

---

(١) Richards, J. W., & A. (2010). *God and Evolution*. Seattle: Discovery Institute Press. p. 39 - 40.

(٢) مقابلة مع فرانسسز كولنز على PBS السؤال حول الإله (٢٠٠٤) في:

Http://www.pbs.org/wgbh/questionofgod/voices/collins.html

يوجد تطوري يقبل بأن التطور الدارويني لا يوضح أو يشمل كافة قدرات البشر، بما في ذلك ملكاتهم العقلية والأخلاقية. وقد وضح داروين نفسه طوال كتابه «أصل الإنسان» أن جميع ملكات الإنسان الفكرية والأخلاقية وحتى الدينية كانت نتيجة لهذه العملية العمياء العشوائية التي أنتجت أيضًا سماته الجسدية[١] وكولنز بتقريره هذا يتناقض مع نفسه، ورأيه هذا غير علمي بالمرة، وينبع فقط من نظرته الدينية للقضية. والعجيب أنه لو عمم نظرته تلك لما أصبح في معسكر مؤيدي التطور الموجه من الأساس، أفيؤمن ببعض التطور ويكفر ببعض؟!

٥,١,٤ رأي أنصار التطور الموجه من المسلمين:

يعد التفريق بين رؤى التطور الموجه في الغرب والعالم الإسلامي واجبًا على كل منصف قارئ لكتابتهم ومتابع لتوجهاتهم الدينية. وهذا لأن القصة من الناحية الإسلامية ليس فيها هذا الكم الهائل من التحريفات في العهد القديم والعهد الجديد والتي أصبحت فيما بعد أسسًا للمعتقد المسيحي مثل الخطيئة الأصلية ووجود الموت بعد معصية آدم وغيرها من الخرافات الموجودة. ولكنهم مع ذلك وقعوا في أخطاء منهجية كبيرة في لي أعناق الآيات للتلفيق بين نظرية يمكن أن تكون صحيحة أو خاطئة وبين معاني الوحي الذي أنزله الله هدى للعالمين، وتعريض هذه الآيات للإبطال إذا بطلت النظرية.

وكإخوانهم التطوريين يقبلون بفكرة السلف المشترك ولا يستثنون منها آدم، وينكرون قصته التاريخية كشخص حقيقي؛ بل ويحاولون تفسير آيات القرآن المتعلقة بالخلق حسب هواهم التطوري. وكذلك ينكرون أحاديث النبي ﷺ الواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار التي تؤكد المعنى الظاهر من الآيات المتعلقة بخلق آدم وتعارض المعاني الباطنية التي يذهبون إليها. ولا يتفق كثير من أنصار التطور الموجه من المسلمين مع النسخة الداروينية للتطور بحذافيرها، وخاصة آليتها العمياء العشوائية «الانتخاب الطبيعي». ولكن

---

(١) Richards, J. W., & A. (2010). *God and Evolution*. Seattle: Discovery Institute Press. p. 45.

مع الأسف يوجد بين علماء المسلمين من يقبل القالب الداروينى بحذافيره.

ومن بين علماء المسلمين البارزين الذين يؤيدون نظرية التطور هو البروفيسور نضال قسوم. ففي فصل «الإسلام والتطور» من كتابه «السؤال الكمي في الإسلام: التوافق بين الإسلام التقليدي والعلم الحديث» ذكر د. نضال بعض الآيات التي ادعى أنها تشير إلى التطور؛ بل إلى التطور البيولوجي:

هل ذكر التطور في القرآن؟

هناك عدد من الآيات القرآنية التي يمكن تفسيرها (وقد تم بالفعل) على أنها تدعم التطور، سواء فيما يتعلق بالإنسان أو بالتطور البيولوجي بشكل عام. وهاك بعضًا منها:

١ ـ تطور البشر:

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ . . .﴾ [نوح: ١٤].

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا . . .﴾ [الأنعام: ٢].

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص: ٧١، ٧٢][١]

---

(١) باديء ذي بدء لا توجد آية واحدة في القرآن تتحدث صراحة عن وجود التطور للحيوانات فضلًا عن الإنسان، ولو قلب التطوريون القرآن صفحة صفحة وآية آية فلن يجدوا ما يسندوا به عجزهم وضعفهم إلا نوعين من الآيات: آيات مجملة يمكن حملها على أكثر من معنى ولكنهم يحملونها على أبعد المعاني عن الصواب وأقربها إلى الخطأ، وآيات صريحة في خلق البشر من الطين أو خلق آدم في سياق قصة لها أحداث معينة ويشترك فيها أطراف معينة ولكنهم يتعنتون في حجب نور الحقيقة عن أنفسهم والبحث عن مغارات أو مدخلًا يولون إليها لتحريف المعنى وهم يجمحون. ومثال النوع الأخير استدلا الدكتور بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ فالله سماه «خلقًا» وسمى مخلوقه «بشرًا» وسمى المادة التي سيخلقه منها «طين»، ثم استعمل سبحانه ضمير الغائب «المفرد» للإشارة إلى هذا البشر، مما يعني أنه فرد حقيقي وليس مجموعة من البشر كما يدعي التطوريون، ثم أمر الملائكة أن تسجد تكريمًا لهذا البشر ـ الذي هو آدم ـ مما يعني أنه شخصية تاريخية حقيقية وأن تكريمه بأمر الملائكة بالسجود له وإسكانه الجنة كان حدثًا حقيقيًا لشخصية حقيقية وليس معاني رمزية؛ إذ صرف المعنى للصور المجازية يحيل سجود الملائكة إلى مجموعة البشر إلى صورة من الأساطير التي ليس عليها أي دليل. فنسأل الله لهم =

٢ - التطور البيولوجي:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)﴾ [العنكبوت: ٢٠].

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠)﴾ [الأنبياء: ٣٠].

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٥)﴾ [النور: ٤٥][1]

= أن يتوب عليهم وأن يوفقهم لاتباع الحق. آية واحدة صريحة صحيحة ترد كافة أفكارهم المتهافتة المتناقضة كما سيأتي مزيد بيانه إن شاء الله.

(١) إذا كان مر معنا أن التطور البيولوجي بمعناه المقصود هو نشوء الأنواع من أنواع أخرى عن طريق الانتخاب الطبيعي أو الطفرات، وإذا تدبرنا الآيات التي يستدل بها الدكتور؛ علمنا يقينا إسقاطه الخاطئ لمعنى التطور البيولوجي على جميع الآيات المذكورة: فالآية الأولى توحي إليك أن التطوريين فقط هم من ساروا في الأرض وعرفوا كيف بدأ الله الخلق، وبمثل هذا الاستدلال قال د. عمرو شريف صراحة دون خشية أو حسبان لمآلات كلامه إلى الحد الذي وصف فيه داروين بأنه طبق الآية دون علماء المسلمين كما سيأتي قريبًا إن شاء الله. والحقيقة أن مثل هذا الفهم لا يليق بدكاترة في مثل قدرهم؛ إذ إنه يبين إما جهل مركب أو تحيز وانتقاء استلالي مرتب. فالتطور لا يبحث في كيفية بدء الخلق ابتداءً، ثم إن الأمر في الآية عام للبشر وهي في سياق قصة إبراهيم عليه السلام، ولكن أساتذة التطور الموجه يجعلون الأمر حصرًا على المتخصصين في الأحياء أو الطب أو من لهم علاقة بهذه العلوم. وليس المراد هذا الفهم الضيق المحدود للآية كما فهموا، وليتهم قرأوا تفاسير أهل العلم ليعرفوا وجه المعنى الصحيح.

وأما الآية الثانية فيستدل الدكتور على التطور البيولوجي بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ والآية وإن كان لها إعجازها فإنها لا تشير إلى التطور من قريب أو بعيد؛ فالآية تحتمل خلق كل شيء حي خلقًا خاصًا وتحتمل تطوره. والآية لا تدل على تطور نوع من نوع، وإنما على الإخبار العام بأن الله عز وجل خلق جميع الكائنات الحية من الماء. فهل كان خلقًا خاصًا أم تطورًا؟ الآية لا تجيب. فلماذا يستدلون بالعام على الخاص، وبالمطلق على المقيد؟ لأنهم ليس لديهم ما هو أفضل من ذلك، وليته يكون حسنًا!

وأما الآية الثالثة فهي أعجب من السابقتين من حيث الاستدلال بها على التطور البيولوجي وأنه موجود في القرآن، إذ يقول الله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ...﴾ ونطلب من الدكتور أن يقرأها ويكررها؛ «خلق» «كل» «دابة» «من» «ماء»، شريطة ألا يكون أحدًا من أنصار الخلق الخاص لكافة الأنواع بجواره؛ إذ سيحسب أن الدكتور قد غير رأيه ومال إلى فكرة الخلق الخاص لكافة الأنواع بدلًا من تطورها.

فلم ولن تسلم للتطوريين آية يستدلون بها على منهجهم، وجميع الآيات التي ذكرها الدكتور إما تشير =

وذكر د. نضال آراء بعض الباحثين المسلمين الذين يؤيدون التطور بصورة جزئية أو كلية ثم ختم ذلك بتفسير الباحث السوري محمد شحرور[1] للآيات القرآنية من المنظور التطوري قائلًا: «لقد سلك المفكر السوري محمد شحرور مسلكًا قرآنيًّا جيدًا لبحث قضية تطور الإنسان. فقد بدأ بتقرير أن الكلمة العربية/القرآنية (إنسان Insan) تشير إلى الإنسان الحالي العاقل، بينما كلمة (بشر Bashar) تشير إلى الجنس البشري بشكل عام. فيجب أن يتم التفريق بينهم لأن المصطلحين يشيران إلى مرحلتين مختلفتين من تطور الجنس البشري. وفي الحقيقة، فقد عرض في مراجعته لقصة آدم في القرآن بأن كل مرة يتم استخدام كلمة (إنسان) فيها تكون هناك إشارة واضحة إلى القدرة العقلية لفهم واستيعاب الحقائق الغيبية وخاصة فيما يتعلق بالإلٰه. بينما على العكس استخدمت كلمة (بشر) في الإشارة إلى مجرد الخلق قبل أن يتطور ليصبح (إنسانًا) ذو قدرة عقلية[2] ويمكن للمرء ببساطة أن يقول إن شحرور يريد تحديد مرحلة البشر بما يعرف بـ«أسلاف الإنسان» ومرحلة الإنسان بالإنسان العصري الحديث. وقد وجد ما يدعم فكرته بأن الآيات القرآنية تشير إلى نفخ الله من روحه في البشر (كما تم ذكرة في صورة ص)، مع الإشارة إلى أن شحرور نبّه على ملاحظة مهمة في استخدام كلمة (جعل) بدلًا من كلمة (خلق) في هذه الآية. ثم بدأ في سرد قصة تطور البشر من خلال الآيات القرآنية بما يتوافق تمامًا مع النظريات الحديثة[3]:

= إلى عكس ما يشير وإما يقوض رحابتها حسب مقياس عقله، ويحملها كرهًا لتناسب فهمه.

(١) محمد شحرور له تطاولات على كلام الله يحسبها تفسيرًا عصريًّا، وليس المراد حتى خزعبلاته التي نقلها د. نضال هنا، ولكن الأمر يتعدى ذلك إلى التشكيك في أصول الدين وثوابته والتشكيك في السُّنَّة المطهرة على قائلها أفضل الصلاة والسلام وعلى حامليها وناقليها ومتعهديها رحمات من الله ورضوان.

(٢) وهذا الأصل الذي بنى عليه شحرور تفسيراته وتبعه عليها د. نضال وأيضًا د. عمرو شريف أصل واهٍ يتناقض مع ذاته قبل أن تنقضه الأدلة الأخرى كما سيأتي معنا قريبًا إن شاء الله.

(٣) لعله سبق كتابة من الدكتور أن يعبر عن التطور بأنه «نظرية»؛ وإلا فالأصل عدم تفسير القرآن إلا بما ثبت من حقائق وليس نظريات تبنى اليوم وتهدم غدًا.

* أسلاف البشر يستطيعون الوقوف (وضع الوقوف على القدمين): ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٦ ـ ٨].

* تطور اللغة: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن: ٣، ٤].

* تعلم الدفن: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائدة: ٣١].

* تقديم الأضحية/ القربان: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧].

* التطور الروحي: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٨].

* الملابس وستر العورة: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا. . .﴾ [الأعراف: ٢٦].

* اكتشاف النار: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [يس: ٨٠].

* وأخيرًا الوحي، وخلق الإنسان، وجعله خليفة الله في الأرض، وهبوط آدم وحواء من الجنة[1] علي أن أنبه أن العلماء اختلفوا في المراد بالجنة التي هبط منها آدم وحواء. وقد قدم شحرور (وآخرون) حججًا مقنعة بأن الجنة المذكورة في القصة كانت جنة أرضية. فمثلًا آدم وحواء أكلا من الشجرة المحرمة لأنهما بحثا عن الخلود، وهو ما يعني أنهم ليسوا خالدين، وهي خاصية دنيوية وليست سماوية للوجود.

---

(١) وللقارئ أن يلاحظ كمية الإسفاف في انتزاع الآيات من سياقها وتفسيرها تفسيرًا **مصطباويًّا** إن صح التعبير، وهو لمن لا يعرفه ما يتناقله عوام الناس من الأساطير والأكاذيب المختلفة في جلساتهم على المصطبة. ولا أجد صراحة أي وصف أليق من ذلك، وليس من المناسب الانحطاط إلى هذا الدرك من الإسفاف والإجحاف وعدم التحقيق أو الإنصاف.

وقد لخص شحرور القصة كلها بالتأكيد على أمرين:

(١) كان هناك العديد من أسلاف البشر وأشباه البشر قبل آدم.

(٢) ثم اختار الله آدم لينفخ فيه من روحه، وهذا العمل الأخير هو الذي نقل آدم ومن بعده النقلة الكبيرة من الحالة الحيوانية إلى الحالة الإنسانية»[١]

ومضى د. نضال إلى أبعد من ذلك في انتقاد أي تفسير غير تطوري أو حتى غير دارويني للقصة، فانتقد بشكل عام الخلقوية وبعض رموزها مثل عدنان أوكتار وسيد نصر. وحتى الاتجاه التطوري غير الدارويني الذي اخترعه د. عبد الصبور شاهين في كتابه «أبي آدم» انتقده د. نضال قائلًا: «وتتضمن أطروحة د. شاهين جانبين:

(١) كان هناك تطور طويل للبشر عبر ملايين السنين ولكنهم لم يتطوروا من أي نوع من أنواع الحيوانات المعروفة.

(٢) ليس هناك ما يسمى بالتطور الكبير ولا توجد أنواع تطورت إلى أنواع جديدة.

ووضح وأكد أنه لا يقبل داروين بأي حال من الأحوال. وغرضه من ذلك كما يقول تطهير الثقافة الإسلامية من فيروسين:

(١) جميع الروايات الكتابية (الإسرائيليات) القديمة والجديدة التي أقحمت في التصور الإسلامي للعديد من القصص التاريخية.

(٢) المنهج الحرفي لتفسير النصوص الدينية. وكتاب شاهين مليء بالأخطاء، وخاصة في كل نقطة علمية ذكرها. مثلًا ذكر أن العصور الجيولوجية تمتد إلى عشرات المليارات من السنين (عصر ما قبل الكامبري فقط ذكر أنه ١٢٥،٧١ مليار سنة). وقد أبدى فهمًا مغلوطًا جدًّا لنظرية التطور وبدا سعيدًا بنقل بعض المقولات البائسة البالية التي تدعي إبطال نظرية داروين»[٢]

---

(١) نفس المصدر، ص٣١٣ ـ ٣١٤.

(٢) نفس المصدر، ص٣٢٢.

وللأسف، وعلى عكس الكثير من التطوريين مؤمنين وملحدين، يختتم د. نضال هذا الفصل بتقرير التطور «كحقيقة ثابتة» قائلًا: «الفكرة الرئيسة هنا والتي ينبغي التأكيد علها أن عملية التطور حقيقة ثابتة في الطبيعة»[(١)]

وهناك أيضًا د. عمرو شريف، أحد مؤيدي التطور الموجه البارزين في العالم الإسلامي. فقد تناول في كتابه «كيف بدأ الخلق» نظرية التطور بنسختها التطورية مبديًا بعض الاعتراضات على بعض آلياتها، كما تناول أصل الإنسان الحديث المتطور من أسلاف أدنى، ثم انتهى إلى أخطر أجزاء كتابه على الإطلاق وهو تفسير بعض الآيات القرآنية المتعلقة بالخلق؛ بل والتي تدل صراحة على الخلق المباشر، لدعم المنظور التطوري للبشر. وذكر د. عمرو في بداية الفصل الثاني عشر من كتابه قائلًا: «ما جلس نفر يتسامرون حول خلق الإنسان وجاء ذكر نظرية التطور إلا وشرع بعض المتدينين من الجالسين في تكفير صاحبها والمؤمنين بها، دون أن يدركوا ما وصل إليه العلم وصار في عداد الحقائق العلمية حول موضوع التطور»[(٢)] ثم يستمر في نقد الذين اختاروا التفسيرات التراثية للخلق المعجز للإنسان قائلًا: «يا ترى بعد ما قرأت في الفصول السابقة من أدلة التصميم الذكي والتطور الموجه في خلق الكون والحياة والإنسان، هل ستتبنى ما عرض عليك من مفاهيم علمية؟ أم تراك ستكون ممن ينكرون التطور ويقولون بالخلق الخاص للكائنات كل على حدة؟... أم تراك ستمسك العصا من الوسط، فتقر بالتطور في خلق الكون وما فيه من كائنات، وتعطل سنة التطور الإلٰهي عند أعتاب الإنسان، وتخصه بفكرة الخلق الخاص برغم ما قدمه العلم من أدلة؟!»[(٣)]

وغالب التفسيرات التي قدمها د. عمرو شريف شابهت تفسيرات محمد شحرور التي ذكر بعضًا منها د. نضال قسوم وأوردته آنفًا. لكن د. عمرو ذهب إلى أبعد من ذلك حينما (حاول) إبطال أدلة علماء التفسير والمؤمنين

---

(١) نفس المصدر، ص٣٢٣.

(٢) عمرو شريف (٢٠١٣)، كيف بدأ الخلق، القاهرة، مصر: مكتبة الشروق الدولية، ص٣٢١.

(٣) نفس المصدر.

بخلق آدم خلقًا مباشرًا وتقديم بعض التفسيرات التي لم يسبق إليها بدلًا منها. وسوف يتم إفراد تفسيراته ومنهجيته في الفصل السابع مع التعقيب عليها بإذن الله.

٥,٢ آدم من المنظور الديني:

يعني: المنظور الديني ذلك المنظور الذي يمثله غالبية علماء الدين لقصة آدم في الوحي: البايبل بشقيه العهد القديم والعهد الجديد ثم القرآن. فقصة آدم في الأديان الإبراهيمية بشكل عام تتطابق في بعض الجوانب وتختلف في جوانب أخرى. فجميعها تتفق على وجود آدم وحواء كشخصيتين تاريخيتين كأول البشر. وتتفق النصوص المقدسة في هذه الأديان كذلك على الخلق المعجز لآدم وحواء، وعلى قصة الهبوط إلى الأرض، وعلى قصة آدم مع إبليس، وعلى قصة أبناء آدم وموته. إلا أن العهد القديم يذكر بعض الجوانب التي لم تذكر في القرآن. وهذه الجوانب تعارض بوضوح الطبيعة البشرية والحقائق العلمية والقوانين المنطقية. ولا يؤمن المسلمون بهذه الجوانب ويعتبرونها تحريفات للقصة الأصلية الحقيقية، بينما يؤمن المسيحيون بها على أنها أركان دينهم. وتشمل هذه الجوانب الإضافية بعض أركان المعتقد اليهودي أو المسيحي الحالي، ومنها:

- أن الحية أغرت المرأة (حواء) وأن حواء أغوت آدم للأكل من الشجرة المحرمة، بينما في الإسلام الشيطان خدعهما معًا ولم تذنب المرأة فقط.

- حينما عصى آدم وحواء أوامر ربهما بدت لهما سوءاتهما وأخفيا أنفسهما عن الإلٰه الذي سألهما أين أنتم؟ وعندما أخبره آدم بالقصة سأل المرأة: لم فعلت ذلك؟ بينما في الإسلام أنهما بمجرد أكلهما من الشجرة قال لهما الله: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف: ٢٢].

- في القصة المذكورة في البايبل الله لعن الحية والأرض وعاقب آدم

وحواء، بينما في السرد القرآني للقصة الله لم يلعن أي شيء وأخرجهما من الجنة لتحقيق مراده من خلق البشر على الأرض.

◄ في المعتقد المسيحي، كافة البشر عليهم عبء من خطيئة أبيهم آدم، ويولدون وعليهم عبء هذا الذنب حتى يؤمنوا بصلب المسيح على الصليب كمخلص لهم. بينما في الإسلام الله غفر خطيئة آدم وحواء في حياتهما وليس هناك أي شخص مسؤول عن ذنب غيره، وكافة البشر يولدون أصفياء أنقياء دون أي عبء لأي ذنب ارتكب قبل وجودهم؛ بل حتى قبل أن يبلغوا رشدهم.

وهناك بعض التفاصيل الفرعية التي ذكرت كذلك في البايبل والتي لا تؤثر على جوهر القصة مثل نوع الشجرة المحرمة. ولعدم إطالة البحث سأذكر فقط الآيات والإصحاحات التي تناولت قصة آدم دون التطرق إلى تفصيل التفاسير حولها.

٥,٢,١ البايبل[1]:

٥,٢,١,١ خلق الإنسان:

فصلت قصة آدم وحواء في سفر التكوين كما يلي:

٤ هَذَا وَصْفٌ مَبْدَئِيٌّ لِلسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَوْمَ خَلَقَهَا الرَّبُّ الإِلَهُ. ٥ وَلَمْ يَكُنْ قَدْ نَبَتَ بَعْدُ فِي الأَرْضِ شَجَرٌ بَرِّيٌّ وَلَا عُشْبٌ بَرِّيٌّ؛ لأَنَّ الرَّبَّ الإِلَهَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَرْسَلَ مَطَرًا عَلَى الأَرْضِ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ إِنْسَانٌ لِيَفْلَحَهَا، ٦ إِلاَّ أَنَّ ضَبَابًا كَانَ يَتَصَاعَدُ مِنَ الأَرْضِ فَيَسْقِي سَطْحَهَا كُلَّهُ. ٧ ثُمَّ جَبَلَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ مِنْ تُرَابِ الأَرْضِ وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ، فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً. ٨ وَأَقَامَ الرَّبُّ الإِلَهُ جَنَّةً فِي شَرْقِيِّ عَدْنٍ وَوَضَعَ فِيهَا آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ. ٩ وَاسْتَنْبَتَ الرَّبُّ الإِلَهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ بَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ، وَلَذِيذَةٍ لِلأَكْلِ، وَغَرَسَ أَيْضًا شَجَرَةَ

---

(١) الترجمة مأخوذة من نسخة Easy to Read Version-Arabic Bible ويمكن الرجوع إليها في موقع Biblegateway.com

الْحَيَاةِ، وَشَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ. ١٠ وَكَانَ نَهْرٌ يَجْرِي فِي عَدْنٍ لِيَسْقِيَ الْجَنَّةَ، وَمَا يَلْبَثُ أَنْ يَنْقَسِمَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى أَرْبَعَةِ أَنْهُرٍ: ١١ الأَوَّلُ مِنْهَا يُدْعَى فِيشُونَ، الَّذِي يَلْتَفُّ حَوْلَ كُلِّ الْحَوِيلَةِ حَيْثُ يُوْجَدُ الذَّهَبُ. ١٢ وَذَهَبُ تِلْكَ الأَرْضِ جَيِّدٌ، وَفِيهَا أَيْضًا الْمُقْلُ وَحَجَرُ الْجَزْعِ. ١٣ وَالنَّهْرُ الثَّانِي يُدْعَى جِيحُونَ الَّذِي يُحِيطُ بِجَمِيعِ أَرْضِ كُوشٍ. ١٤ وَالنَّهْرُ الثَّالِثُ يُدْعَى حِدَّاقِلَ وَهُوَ الْجَارِي فِي شَرْقِيِّ أَشُّورَ. وَالنَّهْرُ الرَّابِعُ هُوَ الْفُرَاتُ. ٥ وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَفْلَحَهَا وَيَعْتَنِيَ بِهَا. ١٦ وَأَمَرَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ قَائِلا: «كُلْ مَا تَشَاءُ مِنْ جَمِيعِ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ، ١٧ وَلَكِنْ إِيَّاكَ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةِ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ لأَنَّكَ حِينَ تَأْكُلُ مِنْهَا حَتْمًا تَمُوت». ١٨ ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ الإِلَهُ: «لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَبْقَى آدَمُ وَحِيدًا. سَأَصْنَعُ لَهُ مُعِينًا مُشَابِهًا لَهُ». ١٩ وَكَانَ الرَّبُّ الإِلَهُ قَدْ جَبَلَ مِنَ التُّرَابِ كُلَّ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ وَطُيُورِ الْفَضَاءِ وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى بِأَيِّ أَسْمَاءٍ يَدْعُوهَا، فَصَارَ كُلُّ اسْمٍ أَطْلَقَهُ آدَمُ عَلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ حَيٍّ اسْمًا لَهُ. ٢٠ وَهَكَذَا أَطْلَقَ آدَمُ أَسْمَاءً عَلَى كُلِّ الطُّيُورِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالْبَهَائِمِ. غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَجِدْ لِنَفْسِهِ مُعِينًا مُشَابِهًا لَهُ. ٢١ فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ، ثُمَّ تَنَاوَلَ ضِلْعًا مِنْ أَضْلاعِهِ وَسَدَّ مَكَانَهَا بِاللَّحْمِ، ٢٢ وَعَمِلَ مِنْ هَذِهِ الضِّلْعِ امْرَأَةً أَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. ٢٣ فَقَالَ آدَمُ: «هَذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. فَهِيَ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِئٍ أُخِذَتْ». ٢٤ لِهَذَا، فَإِنَّ الرَّجُلَ يَتْرُكُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَصِيرَانِ جَسَدًا وَاحِدًا. ٢٥ وَكَانَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ عُرْيَانَيْنِ، وَلَمْ يَخْجَلا مِنْ ذَلِكَ.

٥,٢,١,٢ السقوط:

٣ وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَمْكَرَ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي صَنَعَهَا الرَّبُّ الإِلَهُ، فَسَأَلَتِ الْمَرْأَةَ: «أَحَقًّا أَمَرَكُمَا اللهُ أَلاّ تَأْكُلا مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟» ٢ فَأَجَابَتِ الْمَرْأَةُ: «يُمْكِنُنَا أَنْ نَأْكُلَ مِنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ كُلِّهَا، ٣ مَاعَدَا ثَمَرَ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِهَا، فَقَدْ قَالَ اللهُ: لَا تَأْكُلا مِنْهُ وَلَا تَلْمُسَاهُ وَإِلَّا تَمُوتَا». ٤ فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ:

«لَنْ تَمُوتَا، ٥ بَلْ إِنَّ اللهَ يَعْرِفُ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلانِ مِنْ ثَمَرِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا فَتَصِيرَانِ مِثْلَهُ، قَادِرَيْنِ عَلَى التَّمْييزِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ». ٦ وَعِنْدَمَا شَاهَدَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ لَذِيذَةٌ لِلْمَأْكَلِ وَشَهِيَّةٌ لِلْعُيُونِ، وَمُثِيرَةٌ لِلنَّظَرِ قَطَفَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، ثُمَّ أَعْطَتْ زَوْجَهَا أَيْضًا فَأَكَلَ مَعَهَا، ٧ فَانْفَتَحَتْ لِلْحَالِ أَعْيُنُهُمَا، وَأَدْرَكَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ، فَخَاطَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ مِنْ أَوْرَاقِ التِّينِ. ٨ ثُمَّ سَمِعَ الزَّوْجَانِ صَوْتَ الرَّبِّ الإِلَهِ وَهُوَ يَمْشِي فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَآ مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ الإِلَهِ بَيْنَ شَجَرِ الْجَنَّةِ. ٩ فَنَادَى الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ: «أَيْنَ أَنْتَ؟» ١٠ فَأَجَابَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَاخْتَبَأْتُ خِشْيَةً مِنْكَ لأَنِّي عُرْيَانٌ». ١١ فَسَأَلَهُ: «مَنْ قَالَ لَكَ إِنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنْ ثَمَرِ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَيْتُكَ عَنْهَا؟» ١٢ فَأَجَابَ آدَمُ: «إِنَّهَا الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا رَفِيقَةً لِي. هِيَ الَّتِي أَطْعَمَتْنِي مِنْ ثَمَرِ الشَّجَرَةِ، فَأَكَلْتُ». ٣ فَسَأَلَ الرَّبُّ الإِلَهُ الْمَرْأَةَ: «مَاذَا فَعَلْتِ؟» فَأَجَابَتْ: «أَغْوَتْنِي الْحَيَّةُ فَأَكَلْتُ». ١٤ فَقَالَ الرَّبُّ الإِلَهُ لِلْحَيَّةِ: «لأَنَّكِ فَعَلْتِ هَذَا، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ، عَلَى بَطْنِكِ تَسْعَيْنَ، وَمِنَ التُّرَابِ تَأْكُلِينَ طَوَالَ حَيَاتِكِ، ١٥ وَأُثِيرُ عَدَاوَةً دَائِمَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَكَذَلِكَ بَيْنَ نَسْلَيْكُمَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ وَأَنْتِ تَلْدَغِينَ عَقِبَهُ». ١٦ ثُمَّ قَالَ لِلْمَرْأَةِ: «أُكَثِّرُ تَكْثِيرًا أَوْجَاعَ مَخَاضِكِ فَتُنْجِبِينَ بِالآلامِ أَوْلادًا، وَإِلَى زَوْجِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَتَسَلَّطُ عَلَيْكِ». ١٧ وَقَالَ لآدَمَ: «لأَنَّكَ أَذْعَنْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ، وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَيْتُكَ عَنْهَا، فَالأَرْضُ مَلْعُونَةٌ بِسَبَبِكَ وَبِالْمَشَقَّةِ تَقْتَاتُ مِنْهَا طَوَالَ عُمْرِكَ. ١٨ شَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ، وَأَنْتَ تَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. ١٩ بِعَرَقِ جَبِينِكَ تَكْسَبُ عَيْشَكَ حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ، فَمِنْ تُرَابٍ أُخِذْتَ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ». ٢٠ وَسَمَّى آدَمُ زَوْجَتَهُ «حَوَّاءَ» لأَنَّهَا أُمُّ كُلِّ حَيٍّ. ٢١ وَكَسَا الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ وَزَوْجَتَهُ رِدَاءَيْنِ مِنْ جِلْدٍ صَنَعَهُمَا لَهُمَا. ٢٢ ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ الإِلَهُ: «هَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا، يُمَيِّزُ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَقَدْ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَتَنَاوَلُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ وَيَأْكُلُ، فَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ». ٢٣ فَأَخْرَجَهُ مِنْ

جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَفْلَحَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْ تُرَابِهَا. ٢٤ وَهَكَذَا طَرَدَ اللهُ الإِنْسَانَ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ، وَأَقَامَ مَلائِكَةَ الْكَرُوبِيمِ وَسَيْفًا نَارِيًّا مُتَقَلِّبًا شَرْقِيَّ الْجَنَّةِ لِحِرَاسَةِ الطَّرِيقِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى «شَجَرَةِ الْحَيَاةِ».

٥,٢,١,٣ موت آدم:

٥ هَذَا سِجِلٌّ بِمَوَالِيدِ آدَمَ. يَوْمَ خَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ، صَنَعَهُ اللهُ عَلَى مِثَالِهِ. ٢ وَقَدْ خَلَقَهُ ذَكَرًا وَأُنْثَى. وَيَوْمَ خَلَقَهُ، بَارَكَهُ وَسَمَّاهُ آدَمَ. ٣ كَانَ عُمْرُ آدَمَ مِئَةً وَثَلاثِينَ سَنَةً عِنْدَمَا أَنْجَبَ وَلَدًا كَشَبَهِهِ وَمِثَالِهِ، وَسَمَّاهُ شِيثًا. ٤ وَعَاشَ آدَمُ بَعْدَ مَوْلِدِ شِيثٍ ثَمَانِيَ مِئَةِ سَنَةٍ، وَوُلِدَ لَهُ بَنُونَ وَبَنَاتٌ. ٥ وَمَاتَ آدَمُ وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ تِسْعُ مِئَةٍ وَثَلاثُونَ سَنَةً.

وعند هذه النقطة أحب أن أهمس في أذن كل مؤمن بالتطور الموجه من الخلفية المسيحية متسائلًا: إذا كنت تؤمن برمزية آدم، فمن الذي عاش كذا وكذا سنة وولد له شيث عندما كان عمره كذا وكذا؟ سؤال لن يجد إجابة حقيقية!

٥,٢,٢ القرآن:

ذكرت قصة أدم في القرآن في العديد من الآيات والعديد من السور. والحقيقة أن ذكر آدم بشكل خاص والبشر بشكل عام كثير جدًّا في القرآن ومحكم وثري بالمعلومات. يقول د. زغلول النجار: هناك أكثر من ٨٣٠ إشارة للإنسان في القرآن بصيغ مختلفة كما يلي باختصار:

١ ـ ٩١ آية ذكرت كلمة «إنسان»، خمس منها بالجمع «إناس» وواحدة بصيغة «أناسي» وواحدة بصيغة «إنسي» وهذه الكلمة باشتقاقاتها تعني: الإنسان سواء كان ذكرًا أم أنثى، وتستخدم للمقابلة بكلمة الجن.

٢ ـ ٢٤١ آية ذكرت كلمة «الناس».

٣ ـ ٣٧ آية ذكرت كلمة «بشر» ومشتقاتها.

٤ ـ ٢٥ آية ذكرت كلمة «آدم» وبنيه «بني آدم»، وهو أبو البشر.

٥ ـ ٥٧ آية ذكرت كلمة «رجل» بمعناها «إنسان».

٦ ـ ١١ آية ذكرت كلمة «مرء» ومشتقاتها والتي تعني «الشخص».

٧ ـ ٢٦ آية ذكرت كلمة «امرأة» ومشتقاتها.

٨ ـ ٥٩ آية ذكرت كلمة «نساء» ومشتقاتها.

٩ ـ ٢٩٥ آية ذكرت كلمة «النفس أو الروح» ومشتقاتها[١]

٥,٢,٢,١ آدم في القرآن والسُّنَّة:

ذكرت قصة آدم في القرآن والسُّنَّة بكثرة وفي العديد من السور والروايات بصورة جزئية أو كلية.

فمن بين السور التي ذكرت قصة آدم بشكل كامل البقرة والأعراف وص.

قال الله ﷻ في سورة البقرة:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: ٣٠ ـ ٣٧].

وقال الله أيضًا في سورة الأعراف:

---

(١) د. زغلول النجار (٢٠٠٨)، خلق الإنسان في القرآن الكريم، الطبعة الثانية، لبنان: دار المعرفة للنشر والتوزيع، ص٢٢ ـ ٢٣.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأعراف: ١١ ـ ٢٥].

وذكرت بعض الآيات الأخرى في سور أخرى جوانب معينة من القصة للتأكيد عليها ولإلقاء الضوء على الدروس المستفادة منها. على سبيل المثال:

● في سورة البقرة ذكر الله في سياق قصة آدم أن تاب بعد المعصية وقبل الله توبته. قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[البقرة: ٣٧].

● وفي سورة الإسراء تم التأكيد على عداوة إبليس لآدم وذريته. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الإسراء: ٦١، ٦٢].

● وفي سورة السجدة ذكر الله الفرق بين الخلق المعجز للإنسان الأول (آدم) وبين الولادة الطبيعية لذريته من بعده، فقال: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾ [السجدة: ٧، ٨].

• وفي سورة صٓ ذكر الله أنه بعد أن خلق الإنسان من طين سينفخ فيه من روحه وسيكون مكرمًا بذلك. قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [ص: ٧١ ـ ٧٤].

• وفي سورة آل عمران ذكر الله الخلق المعجز لآدم والميلاد المعجز لعيسى عليه السلام بقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ على عكس باقي البشر. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩].

وأما من السُّنَّة فهناك العديد من الروايات التي في أعلى درجات الصحة ذكر فيها النبي ﷺ صراحة الخلق المعجز لآدم عليه السلام وأنه شخصية تاريخية حقيقية. على سبيل المثال:

• قال ﷺ موضحًا الخلق المعجز والأصل الأرضي لآدم من مختلف تربات الأرض: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الأَرْضِ فَجَاءَ مِنْهُمُ الأَحْمَرُ وَالأَبْيَضُ وَالأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ**»[١].

• وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أصل خلقة آدم كما ساق القرآن، فقالت: قال رسول الله ﷺ: «**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**» (يعني: من طين)[٢]

• وتأكيدًا على وجود آدم كشخصية حقيقية قال رسول الله ﷺ: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ.**

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/٤٠٦)، وأبو داود في سننه (٤٦٩٣)، والترمذي في سننه (٢٩٥٥).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١٨٤٦).

فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ. فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ. فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الآنَ»[1]

• وإظهارًا للمكان الذي خلق الله فيه آدم، وهو الجنة، قال رسول الله ﷺ: «**لَمَّا صَوَّرَ اللهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَتْرُكَهُ فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ يَنْظُرُ مَا هُوَ فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لَا يَتَمَالَكُ**»[2].

• وإلقاءًا للضوء على أهم الأيام في حياة آدم عليه السلام قال رسول الله ﷺ: «**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة: فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها**»[3].

• وإظهارًا لحقيقة خلق آدم الخاص ومكانته، سيأتي الناس إليه يوم القيامة ليسأل الله أن يخلصهم من هول الموقف، تمامًا كالأنبياء الذين أرسلهم الله من بعده، قائلين له يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه (إشارة إلى خلقه المباشر وإلا لم تكن هذه مزية لآدم يذكرونه بها إذ سيشاركه كل البشر). يقول الرسول ﷺ: «**يجمع الله الناس يوم القيامة... فيقولون: ألا ترون من يشفع لكم عند ربكم... يقول** ﷺ: **فيأتون آدم ويقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه** (وفي رواية: وأسجد لك ملائكته) **اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا! فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري** (وفي رواية: وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيت)...»[4]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣٣٢٦).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢٦١١).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١١٤٧).

(٤) رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) وغيرهما.

وتوضح هذه الآيات من القرآن والأحاديث النبوية الشريفة الثابتة عن رسول الله ﷺ مسألة خلق آدم عليه السلام خلقًا خاصًا مباشرًا معجزًا وأنه شخصية حقيقية خلقه الله بيده دون سلف أو أب سابق عليه من جنسه أو من غيره. وهذه الحقيقة ليست من مجال العلم التجريبي في شيء، فكلمة معجزة تعني: انخرام السنن الكونية الطبيعية لأمر أراده الله وقال له كن فكان، وهو على كل شيء قدير ولا يعجزه شيء سبحانه. وتفاصيل هذه القصة مما يعرف (فقط) بالوحي الذي أوحاه الله إلى رسله، إذ لا مجال للمنهجية العلمية الطبيعية المادية فيه، وكذلك لا مجال فيه للاستنتاجات العقلية والمنطقية، إنما هو غيب محض تكفل الله بإخبارنا إياه عن طريق أثبت مصادر المعرفة وأوثقها (الوحي) وعلى لسان أثبت البشر وأوثقهم (الأنبياء). وأما المناهج الأخرى التي تناولت القصة فجميعها تخرص بالظنون التي لا حقيقة تعضدها بل ولا أدلة كافية تسندها.

٥,٣ ملخص الفصل:

تناول هذا الفصل باختصار أهم الرؤى التي تناولت قصة آدم عليه السلام، أبو البشر، كقضية محورية في قضايا الحوار التطوري ـ الخلقوي. وبانتهاء هذا الفصل ينتهي سرد الأدبيات المتعلقة بكافة جوانب القضية والقارئ الآن مستعد للولوج إلى منهجية البحث ونتائجه ومناقشتها.

الفصل السادس

ملخص النتائج

يمكن تلخيص النتائج التي تم التوصل إليها عبر سبر الأدبيات المختلفة حول الموضوع في النقاط التالية:

٦,١ فيما يتعلق بالعلاقة بين العلم والدين:

١ ـ لا يوجد اتفاق بين العلماء حتى هذه اللحظة على تعريف محدد للعلم أو نطاقه.

٢ ـ لا تتفق حركة الخلقوية الموجودة في الغرب مع الرؤى الإسلامية التراثية اتفاقًا تامًا حول الجوانب المتعلقة بخلق آدم عليه السلام.

٣ ـ لا يوجد تعارض بين الحقائق العلمية الثابتة والنصوص الدينية المنزلة. يمكن أن يحدث التعارض بين النظريات أو الفرضيات العلمية من ناحية وبين النصوص الدينية التي ثبتت صحتها من ناحية أخرى، أو بين النظريات العلمية وبين بعضها البعض، أو بين الحقائق العلمية التي ثبتت حقيقتها وبين النصوص الدينية غير الثابتة، وبالطبع بين النظريات العلمية والنصوص الدينية تكميلًا للقسمة.

٤ ـ أكثر الرؤى التي تناولت أصل الإنسان شيوعًا هي التطور والتطور الموجه والتصميم الذكي والخلق الخاص، وغالبهم يقول إن العلم التجريبي يدعم رأيه.

٦,٢ بالنسبة للتطور:

١ ـ هناك العديد من الأفكار التطورية التي تختلف عن الداروينية.

٢ ـ يؤمن التطوريون، مؤمنون وملحدون، بأن التطور حقيقة علمية دون الدخول في التفاصيل حول ما هي الحقيقة وما هي الفرضية داخل النطاق التطوري.

٣ ـ ينكر التطوريون، مؤمنون وملحدون، وجود آدم، الشخصية التاريخية التي خلقها الله خلقًا معجزًا.

٤ ـ يؤمن أنصار التطور بأن البشر انحدروا من أسلاف أدنى وخضعوا لقانون التطور ولديهم أسلاف مشتركة مع بعض الحيوانات الحية مثل القردة والشمبانزي.

٥ ـ المنظور التطوري يفتح الباب واسعًا أمام انتشار المادية والإلحاد، حيث ينسب كل شيء في الكون إلى القوانين الطبيعية دون الحاجة إلى تدخل إلٰهي أو أي قوة غير طبيعية، سواء فيما يتعلق بوجود الكون أو وجود الحياة أو أصل الإنسان.

٦ ـ غالب التطوريون إما ملاحدة أو ربوبيين أو متشككين، والقليل منهم يؤمن بأحد الأديان الإبراهيمية. فحسب إحصائية كورنيل عام ٢٠٠٣ حول معتقد أهم علماء التطور، ٨٧٪ منهم ينكرون وجود إله، و٨٨٪ منهم لا يؤمنون بحياة بعد الموت، و٩٠٪ منهم يرفضون كون التطور موجهًا.

٧ ـ المنظور التطوري يؤثر سلبًا؛ بل هو شديد الخطورة، على جوانب مختلفة للحياة الإنسانية، الفردية والجماعية.

٨ ـ سطا الملاحدة، بطريقة مشروعة نوعًا ما، على نظرية التطور لتبرير منظورهم المادي للحياة. ولكن التطور في حقيقته لا يثبت أو ينفي وجود الإلٰه، فهو مجرد وصف لعملية من العمليات الطبيعية.

٦,٣ بالنسبة للتطور الموجه:

١ ـ مرة أخرى، وكإخوانهم السابقين، التطور حقيقة.

٢ ـ يحاول أنصار التطور الموجه التوفيق المزعوم بين التعارض المزعوم بين حقيقة التطور المزعومة والنصوص المقدسة.

٣ ـ يؤمن أنصار التطور الموجه بالإله والكتب المقدسة، ولكنهم لا يلزمون أنفسهم بالتفسير الحرفي لنصوص هذه الكتب، وخاصة سفر التكوين في العهد القديم وكذلك الآيات التي تناولت قصة آدم في القرآن.

٤ ـ ليس هناك أي قيمة للعلماء السابقين الذين فسروا النصوص تفسيرًا حرفيًّا، حيث إن علمهم المحدود قادهم إلى التفسير الخاطئ لمعاني النصوص الدينية المتعلقة بالخلق.

٥ ـ ليس هناك ما يسمى بآدم وحواء (كشخصيتين تاريخيتين)، وقصتهم عبارة عن مجازات بلاغية تشير إلى مجموعة من القردة العليا التي تطورت إلى الإنسان الحديث.

٦ ـ يتعارض الإيمان بالخلق الخاص مع الحقائق العلمية، ويجب أن يزال هذا الإيمان. ـ الإله لم يخلق آدم بيديه، ولا أسجد له ملائكته.

٧ ـ البشر ليسوا استثناءً من عملية التطور، وليس هناك تدخل إلهي في إيجاد آدم.

٨ ـ يفسر آدم وحواء عند غالب أنصار التطور الموجه كقبيلتين أو رمزين تعبيريين وليسوا أشخاصًا تاريخية حقيقية.

٩ ـ يختلف أنصار التطور الموجه في الغرب عن نظرائهم من المسلمين في علاقتهم بأصول اعتقادهم وكذلك ما للإله من أسماء وصفات.

١٠ ـ غالب أنصار التطور الموجه من المسلمين ينكرون العشوائية الداروينية.

١١ ـ يؤول أنصار التطور الموجه من المسلمين الآيات القرآنية التي تناولت قضية الخلق من منظورهم التطوري، ولا يلتزمون بمن سبقهم من علماء التفسير، وينكرون الأحاديث القطعيَة.

٦,٤ بالنسبة لقصة آدم عليه السلام:

١ ـ يتفق التطوريون، ملاحدة ومؤمنون، على منظورهم لآدم عليه السلام، وهو نفي وجوده كشخصية حقيقية خلقها الله تعالى خلقًا معجزًا.

٢ ـ القصة التوراتية لآدم ﷺ تحمل الكثير من التحريفات الباطلة والتي كان لها الأثر البالغ في خلق الروح العدائية والعلاقة الصفرية بينها وبين العلوم التجريبية (بحقائقها ونظرياتها ودعاواها).

٣ ـ لا يعني القول بخلق آدم ﷺ خلقًا معجزًا غض الطرف عن الروايات الباطلة عن القصة والتي لم تثبت بسند صحيح سواء في البايبل أو في بعض روايات الأحاديث في الأدبيات الإسلامية، ولا يقدح في مصداقية القصة ذلك لوفرة الأدلة القطعية الأخرى.

٤ ـ أفضل السبل لبحث قضية آدم ﷺ هو سلوك طريق القرآن والسُّنَّة الصحيحة الثابتة وتفسير الآيات تفسيرًا منهجيًّا صحيحًا، وجمع الآيات والروايات الواردة في الباب ودراستها دراسة تفصيلية تحليلية موسعة قبل تكوين رأي معين عنها.

٥ ـ مراحل خلق آدم ﷺ من تراب إلى نفخ الروح فيه ذكرها الله وفي أكثر من موضع وبينها النبي ﷺ وليست من المتشابهات ولا مما يستأثر العلم التجريبي بتفسيره.

٦ ـ الآيات والروايات الواردة حول آدم في الشرع غنية جدًّا وشاملة وواضحة ولا لبس فيها إلا من كان اللبس في فهمه هو، ولا تعارض ما ثبت من يقينيات العلم التجريبي ولا التفكير المنطقي. ومن خلالها فقط نستطيع الوصول إلى لب قضية آدم ﷺ.

الفصل السابع

مناقشة تعاطي أنصار التطور الموجه مع النصوص الدينية

٧,١ مقدمة:

نظرًا لأن معتقداتهم الدينية تلعب دورًا أساسيًّا في مقدار تدخل الإلٰه في عملية التطور الموجه، كان لابد من تحليل آراءهم الدينية، وخاصة منهجيتهم في تفسير النصوص المتعلقة بالوحي (إن كانت ثمة هناك منهجية). وستقتصر المناقشات في هذا الفصل على آراء أنصار التطور الموجه من أتباع الأديان الإبراهيمية: اليهودية والمسيحية بشكل عام والمسلمين بشكل أكثر تفصيلًا.

ولدت فكرة التطور الموجه في الغرب ونمت وترعرعت في بقية بلاد العالم، بما في ذلك العالم الإسلامي. وبالتالي؛ فكل ثقافة أو معتقد يرى التطور الموجه من منظوره الخاص عن الإلٰه. وفي الحقيقة، بذل الباحثون من أنصار التطور الموجه جهودًا كبيرة لتبيين اعتمادهم على المنهجية العلمية في تقرير آرائهم، ولكن، رغمًا عنهم، يقع الجزء الأكبر منها في دائرة إيمانهم بالغيبيات وليس في دائرة النتائج التي توصلوا إليها من خلال أبحاثهم العلمية. وآل ذلك إلى اختلاف رؤاهم حول التطور الموجه حسب عقائدهم الشخصية حول الدين والإلٰه. على سبيل المثال، يقول أحد أنصار التطور الموجه، دوجلاس فوتوياما، بأن الإلٰه لا يجب أن يخلق تصميمًا به عيوب. وحاول أن ينسب إلى التطور، وليس الإلٰه، مسؤولية وجود الأنواع قائلًا: «هناك العديد من الأمثلة [على عيوب التصميم] مثل أعين الفقاريات ورخويات رأسيات

الأرجل، حيث تختلف السمات الوظيفية المتشابهة في التركيب بشكل كبير. وهذه الاختلافات متوقعة إذا تم تعديل البنى من سمات تختلف في أسلاف مختلفة، ولكنها لا تتسق مع الفكرة القائلة بأن الخالق القدير، الذي يجب أن يكون قادرًا على تقديم التصميم المثالي دائمًا، قد خلقها»[١] وبالتالي؛ حاول فوتوياما دعم نظرية علمية بذكر أو تذكر بعض الصفات الإلٰهية للخالق الذي يجب فقط أن يخلق تصميمات متكاملة ليس بها أي عيوب.

وعلى الجانب الآخر، لاقت محاولات التوفيق بين التطور والإيمان بوجود إلٰه معارضة من قبل العلماء والمنظمات العلمية والأساتذة بل وحتى المحاكم. وكتب أحد محرري مجلة نيتشر Nature الشهيرة قائلًا: «الجهود المبذولة لتوضيح أن يد الإلٰه هي التي وجهت سياق التطور (يشير إلى التطور الموجه) هي أحد أوجه تشاؤم الباحثين... وتمثل تهديدًا شديدًا لجوهر التفكير العلمي ويجب معارضتها بشدة»[٢]

وفيما يلي مناقشة مختصرة لآراء أنصار التطور الموجه من أتباع الأديان الإبراهيمية.

٧,٢ أنصار التطور الموجه في الغرب:

فيما يلي نبذة مختصرة كرؤوس أقلام في بيان كيفية تناقض التطوريين الغربيين مع أركان العقيدة المسيحية. ومن الجدير بالذكر أن الباحث لا يؤمن بما ورد في البايبل حول هذا الموضوع كوحي معصوم الثبوت والدلالة؛ بل يؤمن بالوحي الذي أوحاه إلى موسى وعيسى عليهما السلام وهو غير موجود الآن. ولعدم إطالة البحث لن يتعرض كذلك إلى إبطال الباطل الموجود في القصة التوراتية. فما كان موافقًا لما ورد في القرآن وصحيح السُّنَّة من هذه القصة فهو صحيح من بقايا الكتاب الذي حرفوه، وما عارض القرآن والسُّنَّة والحقائق العلمية الراسخة فهو باطل كذب حرفته أقلامهم، وما كان بين ذلك فهو

---

(١) Futuyma, D. J. (2005). *Evolution*. Sunderland, MA: Sinauer Associates. P. 49.

(٢) Brumfiel, G. (2005). Who has Designs on Your Students' Minds? *Nature*, (434), 1062-1065.

مسكوت عنه لا ننشغل به إيجابًا أو نفيًا. والغرض من ذكر هذه النقاط المختصرة إظهار مدى جفاء ومعارضة أنصار التطور الموجه من الغربيين لأصول دينهم ومعتقدهم الذي يفترض أنهم ينتسبون إليه.

٧,٢,١ الانتخاب الطبيعي ورحمة الإله:

يصف جاكويز مونود، الحائز على جائزة نوبل، بشاعة عملية الانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح قائلًا: «الانتخاب الطبيعي هو أكثر الوسائل عميً ووحشية في نشوء أنواع جديدة... الصراع من أجل البقاء على قيد الحياة والقضاء على الضعفاء هي عملية وحشية تجابهها جميع قوانيننا الأخلاقية الحديثة... أنا مندهش من مسيحي يدافع عن الرأي القائل بأن هذه هي الآلية التي استخدمها الإله لنشوء الكائنات الحية»[١]

٧,٢,٢ تفسير النصوص المقدسة:

الآراء التطورية لها الأولوية على النصوص الكتابية. يجب أن يعاد تفسير البايبل متى ما عارض النظرة التطورية الحالية للعالم. وفي الحقيقة، إنكار وجود آدم التاريخي أو حتى اعتبار لغة البايبل مجازية وتعبيرية فقط تجعل من سفر التكوين كلامًا بلا معنى. حيث ذكر نصًا في سفر التكوين الإصحاح الثاني ٧ ـ ٨ بأن آدم خلق خلقًا خاصًا معجزًا من تراب الأرض، وبقية السفر تتضمن أن آدم خلقه الله كإنسان بالغ دون المرور بالمراحل العمرية العادية للبشر ودون أن يكون له أب أو ام. وإذا كان آدم ليس شخصية تاريخية حقيقية فإن حواء وقابيل وهابيل وشيث أيضًا كانوا شخصيات غير حقيقية. وأيضًا لن يكون هناك معنى للسرد التاريخي في سفر التكوين الإصحاح الرابع ولا الأنساب المذكورة في الإصحاح الخامس بأن هذا ولد له هذا وذاك مات وعنده من الأولاد ذاك وذاك. وإذا لم يكن آدم شخصية حقيقية فلماذا تم

---

(١) Jacques Monod, The Secret of Life, interview with Laurie John, Australian Broadcasting Co., June 10, 1976; as quoted in Morris, H. M. (1989). *The long War Against God: The History and Impact of the Creation/Evolution Conflict*. Grand Rapids: Baker Book House. p. 58.

تسجيل حياته وحياة ذريته من بعده إلى نوح؟ وكيف إذا تم التنصيص على أنه عاش كذا وكذا من السنين؟! وبالتالي؛ ليس هناك طريق ممكن أو معقول لإثبات عدم تعارض ما ورد في البايبل مع النظرة التطورية لآدم اللَّهُمَّ إلا برفض أحدهما. وما يزيد الأمر خطورة، خاصة بالنسبة للمعتقد المسيحي، ما ورد في رسالة بولس إلى أهل رومية الإصحاح الخامس ١٢ ـ ٢١ حينما أسس بولس الخطيئة الأصلية باعتبار أن آدم كان شخصية تاريخية حقيقية وأن ذريته تتحمل نتائج معصيته.

٧,٢,٣ عقيدة الحلول:

يؤمن المسيحيون بأن الإلٰه حل في جسد يسوع أو أن يسوع جسد الإلٰه على الأرض. وتعتبر عقيدة الحلول، كما تم استقاؤها من الحضارات والأديان الوثنية التي سبقت المسيحية، أحد أهم أركان المعتقد المسيحي اليوم. وقد نص البايبل الحالي على أن الكلمة صارت بشرًا وسكنت بيننا (يوحنا الإصحاح الأول ١٤)، وفكرة التطور، بالقضاء على أي ظواهر خارقة للطبيعة في العالم الطبيعي، تقوض أساس المسيحية هذا وتسويه بالأرض. يقول التطوري هويمر فون ديتفورث مناقشًا عدم توافق عقيدة الحلول مع المنهج التطوري: «إن دراسة التطور تدفعنا دفعًا إلى مراجعة أسس الديانة المسيحية مراجعة نقدية. وهذا يشير بوضوح إلى المفهوم المسيحي المركزي «لتجسد» الإلٰه... إن ما حدث في بيت لحم قد تم قبوله في الفلسفة المسيحية منذ ذلك العهد وحتى الآن، وهو يتناقض مع تعريف هذا الرجل الذي يجسد هذا الحدث (= يسوع) بأنه رجل له طبيعة الانسان العاقل»[١]

٧,٢,٤ عقيدة الفداء:

من بين أهم عقائد المسيحية أيضًا الخطيئة الأصلية ودور المسيح في فداء خطايا البشر. ينص البايبل على أن معصية أول البشر كانت حدثًا تاريخيًّا

---

(١) Ditfurth, H. V. (1984). *We are not just from this world.* München. p. 21 - 22.

حقيقيًّا وكان السبب الرئيس في وجود المعصية في العالم (أهل رومية الإصحاح الخامس ١٢) ولكن أنصار التطور الموجه يرفضون فكرة كون آدم هو أول البشر وأن الإلٰه خلقه خلقًا معجزًا. وغالبهم يعتبر قصة الخلق حكاية خيالية ولكن مع ذلك لها بعض الجوانب الروحية. ولكن يسوؤهم ربط آدم الذي عصى بالمسيح المخلص في البايبل (أهل رومية الإصحاح الخامس ١٦ ـ ١٨). وبالتالي فأي رأي ديني يجعل من آدم شخصية خيالية يقوض أسس البايبل في جعل المسيح مخلصًا للبشر من خطاياهم وبخاصة خطيئة أبيهم الأصلية، ويقف هذا الرأي موقفًا لا شبهة فيه في معارضة النصوص الصريحة للبايبل في هذا الشأن.

٧,٢,٥ تطور موجه أو عشوائي؟

يقر معظم أنصار التطور الموجه الغربيين المعاصرين، في هذه النقطة بالذات، وعلى عكس أنصار التطور الموجه من المسلمين، ويدركون أن مفهومهم الداروينى عن الإلٰه يتعارض بشدة مع العقيدة المسيحية التقليدية. وربما يكون ذلك هو سبب تعتيمهم على مدى إخلاصهم للمفهوم الداروينى للتطور كعملية غير موجهة (عشوائية) ويبدو أن هذا هو نهج أولئك المنتمين إلى مؤسسة BioLogos التي بدأها فرانسيس كولينز للترويج لقضية التطور الموجه. وفيما يلي مقارنة مثيرة للسخرية بين رأي كولنز ورأي دوكنز حول هذا الموضوع: أحيانًا تظهر من كتابات كولنز أنه يؤمن بأن أجزاء كبيرة من تاريخ الحياة لم يكن فيها توجيه من قبل الإلٰه، حتى بالنسبة لظهور البشر. فبينما يعترف بأن «البعض قد يجادل بأن هذه عناصر وظيفية فعلية وضعها الخالق لسبب وجيه، وأن «الـ (DNA) الخردة» ينم فقط مستوى جهلنا الحالي» إلا أن كولينز يرفض في النهاية هذا التفسير: «بعض أجزاء صغيرة منها قد تلعب أدوارًا تنظيمية مهمة. ولكن هناك بعض الأمثلة التي تقلل بشدة من مصداقية هذا التفسير». فمناقشة كولينز حول «الحمض النووي الخردة» توضح أنه يعتقد أن الجينوم البشري «مليء» بـ«الخردة» غير الوظيفية التي تنتج عن غير قصد أثناء العملية العشوائية للتطور الداروينى. ويقترح كولينز أن الإلٰه ربما قد يعرف

ويقرر نتائج التطور في الأزل ولكنه مع ذلك خلق العالم ليبدو وكأنه أنتج بواسطة عملية عشوائية وغير موجهة: وفي هذا السياق، قد يبدو لنا أن الصدفة تحكم العملية التطورية، ولكن بالنسبة للإله، فإن النتيجة ستكون محددة بالكامل. وهكذا، يمكن أن يكون الإله مشاركًا بصورة تامة وفاعلة في خلق جميع الأنواع، بينما في وجهة نظرنا، المحدود بعوامل الزمن، فإن هذا سيبدو عملية عشوائية وغير موجهة... «فإصرار كولينز أن العالم البيولوجي يبدوا وكأنه نتاج «عملية عشوائية وغير موجهة» يضعه في موقف غريب لكونه أقل انفتاحًا لوجود تصميم ذكي في علم الأحياء من ريتشارد داوكينز، الملحد الداروني الأشهر عالميًا. فعلى عكس كولينز، يقر دوكينز بسهولة بأن العالم البيولوجي مليء بالأشياء المعقدة التي تعطي انطباعًا بكونه مصمما لغرض ما. وبعبارة أخرى، يعتقد دوكينز أن الأشياء في علم الأحياء تبدو وكأنها مصممة؛ وببساطة يعتقد أن نظرية داروين للتطور العشوائي توفر سببًا كافيًا لتجاهل المظهر الواضح للتصميم. على النقيض من ذلك، يصر كولينز على أن الأشياء في علم الأحياء تبدو «عشوائية وغير موجهة»، وفقط من خلال الإيمان يمكننا أن نعرف أن مظهر عدم التصميم هذا خداعي. وبالتالي؛ يصر دوكينز على أن الأشياء تبدو مصممة ولكنها ليست كذلك، بينما كولنز يصر على أن الأشياء تبدو وكأنها غير مصممة، وهي كذلك بالفعل»[1].

٧,٣ أدبيات أنصار التطور الموجه في العالم العربي:

على العكس من إخوانهم الغربيين، لا ينكر أنصار التطور الموجه المسلمين أصول الدين ولا أركان الإيمان. بل لبعضهم جهود مشكورة في مكافحة الإلحاد. ولكنهم يقعون في خطأ عظيم بلي أعناق الآيات القرآنية للتلفيق بين النص القرآني والتطور، ومعارضة إجماع العلماء على إعجاز خلق آدم، وإنكارهم لصريح الآيات والأحاديث التي تناولت الموضوع. وليس الغرض من نقد تفسيرات هؤلاء الأفاضل انتقاص ديانتهم وتدينهم أو الحط من

---

(١) Richards, J. W., & A. (2010). *God and Evolution*. Seattle: Discovery Institute Press. p. 40 - 41.

قدرهم، ولكن لإلقاء الضوء على المسألة الشائكة التي يخلطون فيها بين جوانب الحق والباطل بمنهجيات متضاربة وتفسيرات متعارضة. وهناك العديد من الأسباب التي دفعتهم للتمسك بهذا الرأي لعل من أهمها:

- أنهم اعتبروا التطور (بمعناه العام) حقيقة علمية مثل حقيقة دوران الأرض حول الشمس[1]. وبالتالي؛ وجدوا أنفسهم مضطرين للبحث عن معنى آخر غير صريح للآثار الواردة في قصة الخلق، وخاصة المتعلقة بسيدنا آدم عليه السلام.

- أنهم اعتقدوا أن مسألة «آدم» مسألة علمية، بينما في الحقيقة هي غيب يجب استقاء حقائقه من الوحي، ومعجزة لا تسير على نواميس الطبيعة ولا تقدر على سبرها المنهجية العلمية.

- أنهم لم يتقيدوا بمنهجية علماء الشريعة في التعاطي مع النصوص الدينية، وخاصة المفسرون منهم.

- أنهم لم يقدموا منهجية موثوقة أو صحيحة لتفسير آيات القرآن كما ورد في علم أصول التفسير وعلوم القرآن.

- أن بضاعتهم من العلم الشرعي والتأصيل اللغوي مزجاة كما سيتبين من تفسيراتهم المختلفة لآيات كتاب الله.

- أنهم أهملوا - عمدًا أو جهلًا - جانبًا كبيرًا من الأحاديث النبوية التي في أعلى درجات الصحة حول نفس الموضوع لمعارضتها لما يعتقدونه من حدوث التطور.

هذه هي أهم العوامل التي دفعت أنصار التطور الموجه من المسلمين للتشبه بقادتهم من الغرب. أحد أبرز أنصار التطور الموجه، د. عمرو شريف، كتب كتابه «كيف بدأ الخلق» لإثبات وجود الإشارة للتطور في القرآن وتفنيد خلق آدم المعجز، وقد حاول. وهذا الكتاب من أغنى الكتب المؤلفة في الموضوع إن لم يكن أغناها، حيث وضح فيه الكاتب منهجيته في فهم

---

(١) انظر على سبيل المثال: د. عمرو شريف: «كيف بدأ الخلق»، ص٣٣٧. د. نضال قسوم: “Islam's Quantum Question”. p. 323.

النصوص وفسر الآيات المتعلقة بخلق آدم تفسيرًا تطوريًا بل حاول تفنيد آراء مؤيدي الخلق المعجز لآدم عليه السلام كما سماهم الخلقويين. وبالتالي سيركز البحث على التحليل النقدي لما ورد في هذا الكتاب حسب ما يلي:

٧,٣,١ منهجية خاطئة:

يفصل د. عمرو منهجيته قائلًا: «والآن إلى بعض المفاهيم التي ينبغي الأخذ بها عند التصدي لتفسير آيات الخلق في القرآن الكريم. حتى لا نظل أسرى لمفاهيم ربما كانت مقبولة منذ أكثر من ألف سنة، ولكن صار لا مفر من التحرر منها، حتى تتمشى التفسيرات مع ما توصل إليه العلم من حقائق في القرن الواحد والعشرين.

- **التعقيب**: التطور ليس حقيقة علمية. بل هو نظرية في أزمة.

يكمل د. عمرو شريف قائلًا: يجب أن نفهم من قول الله عز وجل ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت ٢٠] أن للخلق بداية وأن لهذه البداية كيفية أمرنا الله عز وجل أن نتحراها. ثم ينقل عن كاتب آخر قوله في ذلك: لم يقم أحد من علماء المسلمين بتنفيذ أمر الحق تبارك وتعالى. غير أن داروين دون أن يطلع على القرآن المجيد على ما يبدوا قد قام بتنفيذ ذلك.

- **التعقيب**: ذكرت هذه الآية في سياق قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام وفيها توجيه للكفار بالنظر في مخلوقات الله وكيف بدأت وكيف أن الله الذي بدأها قادر على أن يعيدها مرة أخرى. والمسلمون كافة مطالبون بهذا النوع من التفكر أيضًا زيادة لإيمانهم وتحقيقًا لأمر ربهم. وكافة علماء المسلمين، سواء كانوا علماء شريعة أو علماء طبيعة، قاموا بتنفيذ أمر الله عز وجل؛ بل آحاد المسلمين كذلك. ولا توجد جناية على أمة المسلمين أسوأ من الجناية على عدم تنفيذهم أوامر الله طوال عمر الأمة الطويل حتى يأتي من ليس منها لينفذه. وصغار المسلمين وكبارهم يتفكرون كيف بدأ الله الخلق وكيف يعيده. بل داروين الذي ظن الدكتور أنه نفذ أوامر الله ما صاغ نظريته إلا لإبعاد يد الإله والتصميم والغاية عن (تنوع الخلق). فالنظرية حتى في ذاتها لا تتناول

أصل الخلق أو بدايته وإنما تتناول تفسير تنوع الكائنات الحية تفسيرًا ماديًّا لا يتدخل فيه الإلٰه بأي حال من الأحوال. والآية لا تقتصر على البحث العلمي حول أصل الخلق كما توهم الدكتور؛ بل تشمل أبعادًا إيمانية كثيرة لا تندرج تحت ما يسمى بالعلم التجريبي ولا تمت إليه بصلة لا من قريب ولا من بعيد، فلماذا التعسف على الأمة وأبنائها وتحجير ما وسع الله؟

يستمر الدكتور عمرو في ذكر منهجيته مقتبسًا قول الدكتور عبد المعطي بيومي: ولئن كنا ندرك أن ربط التفسير القرآني بالنظريات العلمية تحوطه المخاوف عند الكثيرين، مخافة أن تبطل النظرية فيهتز الإيمان بالنص المقدس، فإننا نرى أن الاجتهاد في فهم النص هو غير النص. فلئن تبين خطأ الاجتهاد فلا ضرر ولا ضرار؛ لأن النص باق على اعتباره والإيمان به. ولا يختلف التفسير العلمي في ذلك عما سواه من التفسيرات».

- **التعقيب**: التفسير العلمي لا يرقى أبدًا لمستوى التفسيرات الأخرى المتعلقة بالمعاني اللغوية والدلالات والسياقات التي يفهم منها النص. وذلك لأن التفسيرات العلمية، كما يوافق د. عمرو، لابد أن تكون مبنية على حقائق وليس فرضيات. وبالتالي فإذا ثبت معارضة العلم للتطور فيما بعد، سيكون القرآن معارضًا لما ثبت من حقائق علمية. تمامًا كما قادت التفسيرات المتعارضة للبايبل مع الحقائق العلمية (الثابتة بالفعل) غالبية المسيحيين لفقد ثقتهم في كتبهم المقدسة وتحول أعداد عظيمة منهم إلى «الإلحاد». فهذا ما تجنيه التفسيرات المتعجلة للنصوص الدينية على المدى البعيد. وعلى الرغم من تفهمي لدافع د. عمرو من تفسير بعض الآيات بالمنظور التطوري لحماية بعض الشباب المفتون بالنظرية من الوقوع في براثن الإلحاد. إلا أن منهجه، على المدى البعيد، قد يؤدي بأعداد أعظم من الشباب إلى التشكك في نصوصهم المقدسة أو حتى ترك الإسلام في حال تم إبطال مفهوم الإنتواع أو التطور الكبير (وهو وارد بل بدأت تباشيره بالفعل).

يكمل د. عمرو شريف قائلًا: يمثل الفهم الشائع لعملية الخلق حجابًا كثيفًا لذى المعارضين لقبول التطور كحقيقة علمية... لقد فهم المفسرون من

اصطلاح «الخلق» معنى الخلق الخاص فقط، بالرغم من أن ملامح الخلق التدريجي التطوري واضحة جلية في القرآن... بل إذا نظرنا إلى صميم القضية، وهو خلق آدم عليه السلام، وجدنا القرآن يصرح بأنه قد خلق خلقًا تدريجيًّا تطوريًّا.

ـ **التعقيب**: أولا، نؤكد مرة أخرى على التطور ليس حقيقة علمية. ثانيًا: لا يتعارض خلق آدم الخاص المعجز الأطوار التي مر بها في خلقته. فلا يوجد معنى للإصرار على أن الخلق المعجز يعارض المراحل المتدرجة.

يكمل د. عمرو شريف قائلًا: ألا يتصادم تأويل آيات خلق الإنسان مع ثوابت العقيدة؟ ثم يقتبس جملًا رائعة للشيخ حسين الجسر ويشوهها بإسقاطاته المتحيزة بحيث أخرجها عن سياقها الصحيح إلى سياق معارض له تمامًا: «إن الثوابت القرآنية التي عليها مدار «العقيدة» في خلق الإنسان تتلخص في أن الله عز وجل:

١ ـ قد خلقه من تراب ومن طين ومن حمأ مسنون ومن صلصال كالفخار وورد أنه خلقه من ماء. **(وهي أمور أوضح العلم فيما بعد أنها تشير إلى مراحل خلق الخلية الأولى التي بدأت بها الحياة)**.

٢ ـ خلق الإنسان بيديه **(التي هي قدرته)**.

٣ ـ خلق الإنسان من نفس واحدة **(أصل واحد)** وخلق منها زوجها وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساءً.

وإذا كان ظاهر النصوص يفيد بأن الله عز وجل خلق الإنسان نوعًا مستقلًا، فليس في النصوص ما يفيد صراحة إن كان خلق آدم تم دفعة واحدة أو بتكوين متمهل. أما إذا قام الدليل القاطع على مذهب التطور، فيمكن تأويل هذه النصوص والتوفيق بينها وبين ما قام عليه الدليل. ولا ينافي ذلك عقيدة المسلمين في شيء، ما دام الأصل عندهم أن الله تعالى هو خالق الإنسان في كل حال.

ـ **التعقيب**: أعد قراءة العبارات مرة أخرى دون العبارات المكتوبة

بالخط العريض لتتضح لك رؤية الشيخ الجسر صافية نقية دون تدخلات د. عمرو التي وضعها بين أقواس بين كلام الشيخ، والتي جرفتها عن حقيقتها ـ والله أعلم بالنوايا ـ. ويكفي القول بأنه لا يوجد أحد من معارضي التطور من الباحثين المعتبرين إلا ويفهم كلام الشيخ الجسر دون الحاجة لتدخلات د. عمرو التفسيرية المتحيزة. وما فعله ببساطة أنه ـ سطا ـ على التقريرات العلمية للشيخ الجسر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليوضح للقارئ أن الشيخ الجسر يؤيد فكرة التطور الموجه، بينما في الحقيقة كلام الشيخ كان واضحًا في رفض التطور حتى يصير حقيقة علمية قاطعة؛ بل ذكر الشيخ الجسر أن من حقائق الإيمان أن الله خلق الإنسان نوعًا مستقلًا؛ يعني: بدون أي أسلاف من أنواع أدنى. وباستصحاب الظروف العلمية والاجتماعية والفكرية التي عاشها الشيخ الجسر رَحِمَهُ ٱللَّهُ نستطيع التماس العذر له في «استعداده» لقبول التطور إن كان حقيقة علمية وتفسير النصوص تفسيرًا مجازيًّا من خلالها. أما وقد تبين من خلال البحث أن التطور، وخاصة التطور الدارويني، لا مجال بحال من الأحوال للتوفيق بينه وبين نصوص القرآن والسُّنَّة قطعية الثبوت والدلالة، وتبين كذلك أنه فرضية هزيلة متناقضة متهالكة، فلا يصح لمسلم أن يتنازل أو يُخضِع كلام الله وكلام رسوله لنظريات مادية هزيلة لن تلبث أن تذهب أدراج الرياح كما ذهب غيرها.

ويكمل د. عمرو شريف منهجيته قائلًا: «يجب أن ندرك مجال كل من العلم والدين... معرفة كيف بدأ الخلق أمر أوكله الله عَزَّ وَجَلَّ للعلماء الباحثين في علوم الأرض والمخلوقات. ٢ ـ المنهج الصحيح للتعامل مع القضايا العلمية التي تعرض لها القرآن هو أن يطلع المفسرون على كلمة العلم في هذه القضية ثم يفهموا الآية القرآنية في ضوء ما وصل إليه العلماء من حقائق». ويقول أيضًا: «وقد جعلت منها [نظرية التطور] الأدلة القوية حقيقة علمية ينبني عليها علم البيولوجيا بفروعه المختلفة».

ـ **التعقيب**: أنه لمن المثير للسخرية أن نذكر أن التطور ليست حقيقة علمية في هذا التعقيب أيضًا، ولكن هناك خطأ خطير آخر في الاقتباس السابق: وهو جعل قضية آدم قضية علمية فقط. الحقيقة أنه لا دخل للعلم ـ

حتى الآن على الأقل ـ بقضية وجود آدم من الناحية التاريخية، فضلًا عن عدم وجود دليل تجريبي يرقى إلى مصاف القطعيات حول أصل الأنواع كما يزعمه التطور. واعتبار قضية آدم كقضية علمية يوضح التناقض والخلط في فهم نطاق الدين ونطاق العلم. فآدم، الشخصية الحقيقية التاريخية أبو البشر، خصته نصوص الوحي بالعديد من الإشارات والدلالات، وفصلت قصة خلقه المعجز وحياته ومواقفه وذريته في العديد من الآيات. ولا دخل للعلم بمسألة وجود شخصية آدم من عدمه ولا سجود الملائكة له من عدمه.

يواصل د. عمرو شريف قائلًا: لا ينبغي أن ننصب من فهمنا لآيات كتاب الله حكمًا في قضايا علمية متخصصة. كثيرًا ما يطرح على رجل الدين سؤال حول رأي القرآن الكريم في نظرية التطور، إن هذا سؤال يطرح على غير متخصص. . . فينبغي أن تكون الإجابة: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل ٤٣]، وأهل الذكر هنا هم أهل العلم المتخصصون فيه [يعني علماء الأحياء].

ـ **التعقيب**: من الجدير بالذكر القول بأننا: لا ينبغي أن ننصب من فهمنا لنظرية علمية حكمًا عند تفسيرنا لآيات كتاب الله. والآية نفسها التي ذكرها د. عمرو يجب ذكرها عند الإجابة على سؤال: ما هو الفرق بين مفهومي «بشر» و«إنسان» في القرآن؟ أو اللغة؟ وأهل العلم في هذه الحالة هم المختصون بتفسير كتاب الله والمشتغلين باللغويات وليس البيولوجيين. فلا يصح لهؤلاء البيولوجيين، أو أيًا من غير المتخصصين في التفسير، أن ينكروا كافة التفسيرات السابقة على مدار عمر الأمة الطويل ليأتوا بمعان من ام رأسهم ظنوها صحيحة من الناحية اللغوية والتفسيرية وهي ليست كذلك.

يواصل د. عمرو شريف قائلًا: «تعتمد التفاسير التراثية في تفسير آيات الخلق إلى حد كبير على سفر التكوين في التوراة وعلى شروحه، وما زال المفسرون المعاصرون المعارضون لمفهوم التطور يرددون هذه الشروح، ذلك بالرغم من أن الكثيرين من اليهود والمسيحيين صاروا ينظرون إلى سفر التكوين باعتباره تصويرًا أدبيًا بليغًا يشير بشكل رمزي لمعان مهمة في قصة الخلق، وليس باعتباره وصفًا تاريخيًا علميًا دقيقًا لأحداث هذه القصة».

ـ **التعقيب**: يردد د. عمرو هنا ما يقوله أصحابه من أنصار التطور الموجه في الغرب حول كتبهم، وينكر تاريخية آدم، ويحاول ربط غالبية المسلمين ممن يؤمنون بالخلق المعجز لآدم حسب التفسيرات التراثية المعتمدة لآيات الخلق إلى حركة الخلقويين بمعناها الشائع في الغرب. وقد عنى الدكتور بالعديد من اليهود والمسيحيين إخوانه من أنصار التطور الموجه في الغرب، وليس التيار السائد للممثلين الحقيقيين للديانات اليهودية والمسيحية.

واستنادًا إلى هذه المنهجية الواهية وغير الصحيحة لتفسير القرآن، يكمل الدكتور عمرو في الفصل التالي تفسير الآيات المتعلقة بآدم والخلق من وجهة نظره التطورية. وكما تم التعقيب على معالم منهجيته، سيقوم الباحث بالتعقيب على تفسيراته كذلك لإيقاف القارئ على مدى خطلها وخطئها.

٧,٣,٢ تفسيرات باطلة:

يقول د. عمرو قبل إيراد تفسيراته التطورية للآيات المتعلقة بالخلق: «لقد أصبح على من يتصدى لتفسير آيات الخلق في القرآن الكريم أن يضع هذه الحقيقة العلمية [يعني التطور] في اعتباره»[١]

ولغرض التوضيح فإن الله ﷻ قد يستخدم ألفاظًا مختلفة في القرآن للإشارة إلى جوهر واحد، ويستخدم كل لفظ بما يناسب سياقه. على سبيل المثال: ذكر الله كلمة «القرآن» و«الكتاب» و«الفرقان» و«الذكر» للإشارة إلى شيء واحد وهو القرآن. وبالمثل ألفاظ «إنسان» و«بشر» و«بني آدم» للإشارة إلى الجنس البشري. ومن الناحية اللغوية، فمصطلحي «إنسان» و«بشر» مترادفين يشيران إلى فرد من أفراد الجنس البشري، ذكرًا كان أو أنثى.

إلا أن أنصار التطور الموجه جعلوا لكل لفظ منهما معنى مستقلًا عن الثاني، ففرقوا بين المتشابهات في محاولة للتفريق بين البشر العاقلين الحاليين وغيرهم من أشباه البشر المنقرضين. وسيتم استعمال اللفظين فيما يلي حسب جذورهم العربية، حيث لا وجود لأمثالهما في اللغات الأخرى إلا لفظ واحد

---

(١) عمرو شريف (٢٠١٣)، كيف بدأ الخلق، القاهرة، مصر: مكتبة الشروق الدولية، ص٣٥٠.

يشير إلى البشر أو الإنسان مجتمعين [مثلًا في الإنجليزية human beings أو humans].

وقد بنى د. عمرو [وغيره من أنصار التطور الموجه] آراءه كلها على دعامة أساسية وهي التفريق بين لفظتي البشر والإنسان ثم أورد كافة تفسيراته في ضوء هذا الأصل. قائلًا:

أولًا: إنسان أم بشر؟

جاء في سورة الحجر ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

نظر المفسرون إلى كلمتي إنسان وبشر ككلمتين مترادفتين تحملان نفس المعنى. لكن دعنا ننظر إلى التتابع الزمني لأحداث الآيات من خلال قواعد اللغة العربية. إن الله ﷻ يقول: (خلقنا الإنسان) فعل ماض، ثم يخبر الملائكة أنه (خالق بشرًا) وخالق اسم فاعل يدل على المضارع أو المستقبل القريب، لكنه ﷻ يؤكد زمن الاستقبال بقوله، فإذا سويته. إذا تبين الآية أن «الإنسان» كان قد خلق فعلًا قبل أن يخبر الله ﷻ ملائكته بأنه سيخلق «بشرًا» من نفس مادة الإنسان (كلاهما من صلصال من حمأ مسنون)؛ بل هو منه، متطور عنه.

يواصل د. عمرو شريف قائلًا: ويؤيد هذا الفهم أن الله ﷻ لم يطلق على أي من رسله وأنبيائه لفظ إنسان؛ بل تحدث عنهم دائمًا بلفظ بشر.

ـ **التعقيب**: الأساس الذي بنى عليه د. عمرو منهجه في تفسيره منهج واه أدى إلى تفسيرات باطلة لا أساس لها من الصحة.

فبداية الله ﷻ ذكر صيغة الماضي (خلق) بالنسبة للفظة الإنسان وصيغة المستقبل (خالق) بالنسبة للفظة البشر لملاءمة سياق الآيات، وليس للتفريق اللغوي بينهم. حيث ذكر سبحانه في الآيتين قبلها أنه خلق الإنسان من

صلصال من حمأ مسنون والجان خلقه من قبل من نار السموم. ثم ينتقل الله ﷻ إلى ذكر تفاصيل قصة الخلق هذه فذكر أنه في البداية قال للملائكة انه سيخلق بشرًا من صلصال من حمأ مسنون. وتأمل كيف ذكر الحق ﷻ أنه خلق «البشر» و«الإنسان» بشر وإنسان من صلصال من حمأ مسنون، فالتفريق بين صيغة الماضي والمستقبل كان تبعًا للسياق الزمني للآية وليس للتفريق بين البشر والإنسان.

ثانيًا: ليس هناك فرق بين المصطلحين «بشر» و«إنسان» في الجوهر، تمامًا كما أنه ليس هناك فرق بين القرآن والكتاب في معناهما الذي يشير إلى كلام الله ﷻ. لكن أحيانًا يقتضي السياق ذكر أحد اللفظتين.

ويرى د. عمرو أن لفظ «إنسان» يشير إلى نوع من الحيوانات الادنى عن الإنسان الحديث والذي لم يكرمه الله بالعقل ولا أمره بالعبادة. وحسب رأي د. عمرو لم يكن آدم إنسانًا. ولكن، على عكس كلامه، هناك العديد من الآيات في القرآن التي توضح الاستخدام المتبادل للفظتي «بشر» و«إنسان» للإشارة إلى الشيء ذاته. فالعديد من الآيات أشارت إلى «الإنسان» العاقل. على سبيل المثال:

○ بعد ذكر بعض الأحكام المتعلقة بالزواج والعقوبات المتعلقة ببعض الذنوب استخدم الله لفظة الإنسان قائلًا: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٤].

○ وتأكيدًا لعداوة الشيطان للبشر استخدم الله كلمة «إنسان» فقال: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾ [يوسف: ٥].

○ وأيضًا أكد الله على نفس العداوة في سياق أكثر بيانًا حيث نسب عباده إليه سبحانه نسبة تشريف وتكريم «عبادي» ثم استخدم لفظة «الإنسان» للإشارة إليهم، فقال سبحانه: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء: ٥٣].

○ وعلاوة على ذلك، ففي سياق التأكيد على نفس العداوة،

استخدم الله ﷻ نفس الكلمة «الإنسان» للإشارة إلى البشر العاقلين فقال: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحشر: ١٦].

○ وخاطب الله ﷻ البشر مذكرًا إياهم نعمه عليهم ومشيرًا لهم بلفظ «الإنسان»، فقال ﷻ: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٤].

○ ولإظهار أنه خلق البشر من نطفة استخدم الله لفظ «الإنسان» للإشارة إلى ذلك فقال سبحانه: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾ [النحل: ٤]. وتأمل استخدام الفاء التي تفيد تعاقبًا أسرع من الواو من الناحية اللغوية، فالإنسان بأسرع ما يمكن أصبح هو الخصيم المبين الذي يجادل ويحاجج بالحق وبالباطل بما آتاه الله من قوة في العقل والإدراك.

○ ولإخبارنا أن كل شخص سيلقى مصيره ويقرأ كتاب أعماله [بمعنى انه مكلف] يوم القيامة، استخدم الله لفظة الإنسان وليس البشر فقال سبحانه: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

○ وحينما ربط الله بين معاني الخلق والبعث والحساب، استخدم لفظة الإنسان فقال ﷻ: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾ [مريم: ٦٦، ٦٧].

○ وهناك آية أخرى صريحة في إثبات أن «الإنسان» مكلف حينما وصف الله ﷻ حال الظالمين يوم القيامة معبرًا عنهم بلفظ «الإنسان» فقال: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

○ وحينما ذكر الله أن الظالمين من البشر سيتمتعون بكفرهم قليلًا ثم يدخلون جهنم استخدم كلمة «إنسان» للإشارة إليهم فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ

مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزمر: ٨].

○ ولبيان أن البشر لديهم حرية الإرادة والميل إلى الجدال في أي شيء لا يوافق إرادته، استخدم الله ﷻ لفظة الإنسان للإشارة إلى هذا الكائن العاقل حر الإرادة فقال: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف: ٥٤].

○ وعندما أمر الله البشر أن يكونوا بارين بآبائهم وأمهاتهم، أشار إليهم بـ«الإنسان» فقال سبحانه: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [العنكبوت: ٨].

○ ونفس الأمر في سورة أخرى بنفس الكلمات يقول الله ﷻ: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: ١٤].

○ وفي نفس السياق أمر الله «الإنسان» أن يكون شاكرًا لله ولوالديه فقال سبحانه: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: ١٥].

○ ولتوضيح المخلوق الذي تحمل أمانة التكليف، أشار الله إليه بـ«الإنسان» فقال ﷻ: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢].

○ وللربط بين إعراض الكافرين عن الحق وعدم شكر «البشر» لنعم الله، أشار الله إلى ذلك في القرآن بلفظ «الإنسان» فقال ﷻ: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ﴿٤٨﴾﴾ [الشورى: ٤٨].

○ وأخيرًا فإن السورة القصيرة الجامعة سورة العصر لخصت بوضوح من هو الإنسان وما مصيره حيث قال الله ﷻ فيها: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

وبعد هذه الآيات الواضحات البينات التي وصفت «الإنسان» بأنه بشر مكلف وعاقل، يتضح بما لا يدع مجالا للشك أن الإنسان أو البشر يشير الله بهما في القرآن إلى هذه الذات العاقلة المدركة التي كرمها بالعقل ونفخ فيها من روحه وأرسل إليها الرسل وأنزل عليها الكتب. فهل يمكن لأنصار التطور الموجه بعد ذلك أن يصروا على أنه كائن بدائي لدعم رؤيتهم التطورية في نشوئه من أسلاف مشتركة مع القردة؟!

ويكمل د. عمرو شريف تفسيراته قائلًا:

ثانيًا: آدم عليه السلام نبي مصطفى من قومه:

انظر إلى قول الحق ﷻ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٣ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٣٤﴾ [آل عمران: ٣٣، ٣٤] ذكرت الآيتان الكريمتان أن آدم ذرية؛ أي: أنه ذرية لإنسان يسبقه، مثل نوح وآل إبراهيم وآل عمران عليهم السلام. كما نصت الآيتان على أن الله ﷻ قد اصطفى آدم؛ أي: اختاره وفضله، ولا يكون الاصطفاء إلا من بين أقران له. ويؤكد المعنى السابق قول الحق ﷻ ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ۝١٣٣﴾ [الأنعام: ١٣٣] فالآية تبين أن الخالق الكريم قد أنشأنا نحن البشر من ذرية قوم آخرين (الإنسان). نخرج من هاتين الوقفتين (أولًا وثانيًا) بأن الله ﷻ قد خلق الإنسان أولًا وأبقاه على هيئته لفترة قدرها بمشيئته ثم سواه وعدله، ثم نفخ فيه من روحه فصار بشرًا. ومن هؤلاء البشر اصطفى الله ﷻ آدم عليه السلام ليكون رسولًا إلى قومه.

ـ **التعقيب**: أظهر د. عمرو في تفسيراته السابقة استنتاجات شاذة بنيت في الهواء كما سيتضح أدناه:

أولًا: لا نحتاج بعد إبطال الأصل الذي أقام عليه د. عمرو تفسيراته بالتفريق بين البشر والإنسان أي تعقيبات إضافية، ولكن ليتضح الحق لكل ذي نظر نقول إن فهمه بأن آدم كان ذرية من إنسان قبله فهم شاذ وتفسير يتعارض مع ما أجمع عليه أهل العلم بالتفسير واللغة قبله.

ثانيًا: لا يتطلب الاصطفاء وجود نظائر للمصطفى كما فهم الدكتور، وهذا يعكس سطحية المعرفة اللغوية العربية.

ثالثًا: لم يستنتج عالم من قوله: ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ ما توصل إليه د. عمرو بأنه خلقنا من الإنسان، أو أشباه البشر، فأجدادنا لا يقال عليهم قوم آخرين، ولكن الآية تشير إلى العكس عند اعتبار السياق بأن الله يحذر البشر من عاقبة كفرهم ويبين لهم كيف عاقب البشر الذين سبقوهم.

رابعًا: **استنتج د. عمرو من كلامه السابق بأن:**

- الله خلق الإنسان أولًا [أشباه البشر] لمدة لا يعلمها إلا الله.
- ثم اصطفى الله الإنسان ونفخ فيه من روحه. ثم صار الإنسان بشرًا.
- ثم اصطفى الله آدم من بين قبائل البشر ليكون نبيًّا إلى قومه.

وهذا الفهم الخاطئ والتفسيرات الباطلة يعتبرهما الدكتور الطريق الوحيد الصحيح لرفع التعارض بين الحقائق العلمية والآيات القرآنية. وفي الحقيقة، فهذه الطريق الخطرة الزلقة للتعامل مع الآيات الواضحة بتفسيرات غير واقعية ولا دليل عليها سوف تؤدي بالناس جماعات وأفراد إلى التشكك في موثوقية كتابهم المقدس. وهذا عين ما فعله رجال الدين المسيحيين في تفسيرهم للحقائق العلمية (التي كانت سائدة في ذلك الوقت) مما أدى بقطاعات عظيمة من أتباعهم ـ على المدى الطويل ـ إلى التشكك في مصداقية كتبهم المقدسة وانتهى بهم المطاف أخيرًا إلى الإلحاد.

وهذه المراحل التي اخترعها د. عمرو تعارض النصوص الواضحة الصريحة القطعية كما لا توجد عليها أي أدلة علمية تجريبية فضلًا عن أن تكون حقيقة علمية.

وبعد التفريق غير الدقيق بين كلمتي بشر وإنسان بالزعم بأن الإنسان هم البشر البدائيون أو أشباه البشر الذين تطور منهم البشر العاقلين الحاليين؛ يستمر د. عمرو في تفسيراته المتعلقة بمصطلحات ومراحل الخلق. ومرة أخرى يأتي لنا بمعان شاذة وغير متسقة لا مع المعنى اللغوي ولا مع السياق الدلالي. قائلًا: «والآن نقف مع آيات خلق الإنسان في القرآن الكريم لنرى كيف يمكن تأويلها بجلاء ووضوح وبساطة في ضوء مفهوم هذا الخلق التطوري.

○ أ. سلفنا الأول من طين... الإنسان لم يخلق من الطين مباشرة؛ بل من سلالة خلقت من طين.

○ ب. خلية ثم بيضة ثم جنين في رحم ثم خلقًا آخر: يقول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٤] تأمل هذه الآيات مع الأخذ في الاعتبار أن حرف العطف «ثم» يفيد التتابع مع التراخي. وبالتالي نفهمه على انه عطف يشير إلى الانتقال من نوع من الكائنات إلى نوع آخر، إذ يستغرق ذلك وقتًا طويلًا قد يمتد إلى ملايين السنين. بينما تفيد (فاء العطف) التتابع السريع دون تراخ، والذي نفهمه على أنه يشير إلى تقلب الكائن الواحد في مراحل نشأته».

ـ **التعقيب**: يؤمن د. عمرو، كتطوري، بأن مراحل خلق الإنسان المذكورة في القرآن بدأت بتطور الكائنات وحيدة الخلية حتى وصلت إلى الثدييات وأخيرًا إلى الإنسان. وبالرغم من أن هذا الوصف لم يخبر به قبله رسول ولا نبي، ولا صحابي ولا تابعي، ولا مفسر ولا محقق، لا قديمًا ولا حديثًا، وهو أحد جوانب الخلل المنهجي في مثل هذا النوع من التأويلات، لم يقدم الدكتور أي منهجية موثوقة بل ظهر ضعفه اللغوي الواضح ـ وهو جليل القدر ـ في فهم الحروف والروابط وعلاقاتها بسياق الآيات. فقد ذكر أن (ثم) يفيد التتابع مع التراخي، وهذا صحيح. ولكن الإطار الزمني لهذا التدرج ليس كما زعم د. عمرو أنه ملايين السنين. بل لقد ذكر الله نفس الحرف (ثم) للإشارة إلى تدرج

بطيء يحدث خلال عشرات السنوات أو أقل بكثير، فضلًا عن أن يتم حصر هذا التدرج البطيئ بآلاف أو ملايين أو مليارات السنين! يقول الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم: ٤٠] فما هي الفترة بين خلقنا وبين رزقنا، وما طول الفترة بين محيانا ومماتنا؟ بضع سنوات وليس ملايين السنوات. ومع ذلك فحرف العطف الذي يفيد التتابع والتراخي (ثم) هو المستخدم.

وفيما يلي الجدول الذي ذكره د. عمرو مفسرًا الآيات من منظوره التطوري مع بعض التعقيبات:

[illegible]	[illegible]	[illegible]
يقول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ «ثم»	وتبدأ هذه السلالة بخلية واحدة «البكتريا» تسلسلت عنها الكائنات البسيطة وحيدة الجنس التي تتكاثر لا جنسيًّا كالإسفنج.	الآية توضح وضوحًا لا لبس فيه أن آدم ﵇، أول إنسان، خلقه الله من سلالة من طين وهذا الوضوح يستمد من آيات القرآن الأخرى والأحاديث النبوية الصحيحة الثابتة التي شرحتها ولا يوجد أي دلالة لا لغوية ولا شرعية ولا حتى علمية صحيحة وثابتة حول تطور الكائنات وحيدة الجنس يمكن استمدادها من الآية أو يمكن الاستدلال عليها بالآية وهذه هي الجناية غير المقبولة على كلام الله ﷻ فبصرف الآيات على هذا النحو المتسرع إلى معان ما أنزل الله بها من سلطان يعرض المرء للقول على الله بغير علم وهو من أكبر الكبائر.

﴿جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ	تشير الآية إلى التطور إلى الكائنات التي تتكاثر تكاثرًا جنسيًّا عن طريق تكوين النطف، وتستقر بويضاتها،لفترة، في أعماق الإناث ومنها الفقاريات البيوضة (الأسماك ثم البرمائيات ثم الزواحف).	كما دلت الآية السابقة على أول مراحل خلق الإنسان الأول الإعجازية، تشير هذه الآية إلى أول مراحل خلق باقي الناس الطبيعية من خلال التقاء نطفة الرجل ببويضة المرأة في قرار الرحم المكين ومرة أخرى ليس هناك أي إشارة محتملة أو ثابتة على حصر معنى الآية في مراحل التطور التي ذكرها الدكتور في تفسيره ومرة أخرى تخونه المنهجية والدلالات اللغوية والشرعية والعلمية.

الآية		
﴿خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا﴾	هذا هو الطور الأخير من الفقاريات وهو الثدييات التي تمر أجنتها بهذه المراحل في الأرحام.... وأعلى الثدييات هي الرئيسيات التي منها «الإنسان الطين».	وهذا الذي وصل إليه د. عمرو أخيرًا النتيجة المتوقعة التي رسمها خياله، فهي ليست نتيجة أبحاث علمية ولا دراسات شرعية. وبالنظر إلى سياق الآيات نعرف أن الله ﷻ يخبرنا عن مراحل خلق الإنسان داخل الرحم، هذا هو المعنى الظاهر والواضح والمفهوم من الناحية اللغوية والشرعية الذي يمكن استقاؤه من الآيات، والذي لا يمكن العدول عنه إلا في ظل حقائق قطعية أثبت من وجود الليل والنهار وليس تكهنات وظنيات وتصورات حول المراحل التطورية للكائنات وحيدة الخلية أو الطيور أو الثدييات. وكما تناولنا في فصل القراءة النقدية لأدلة التطور، فإن التشابهات بين البشر وغيرهم في بعض المراحل لا تعني أنهم تطوروا من بعضهم البعض، وإنما تعني ان خالقهم ومصممهم واحد.

الآية	تفسير د. عمرو	التعقيب
﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾	هذا هو خلق الإنسان البشر الذي تميز بعد فترة (ثم) كطور منفصل عن الثدييات وعن الإنسان الطين بنفخة الروح.	هذا التفريق المذكور بين الإنسان الطين والإنسان البشر ليس عليه أي دليل في الإسلام فلم يخبر به النبي ﷺ، الذي بلغ معاني القرآن كلها وتركنا على المحاجة البيضاء ولم يدع حتى الطير في السماء إلا أخبر الصحابة عنه، ولا تكلم عنه أحد من بعده حتى جاء د. عمرو. وعلى الرغم من ذلك فالآية لا تشير إلى هذا التفريق لا من قريب ولا من بعيد، وإنما تشير إلى آخر مراحل خلق الإنسان داخل الرحم حينما يصير إنسانًا سويًا مختلفًا تمامًا عما كان في أول الحمل وأوسطه.

لقد حان الوقت لأنصار التطور الموجه الذي حاولوا تفسير القرآن من وجهة نظرهم التطورية لمراجعة منهجيتهم وفهمهم للآيات وموقفهم ممن يعارض هذا الفهم. فالمسألة علمية وليست شخصية. والمعارضون على قدر من العلم الشرعي والتجريبي إلى الحد الذي يمكنهم من التفريق بين ما هو خرافة وبين وما هو حقيقة.

٧,٣,٣ تفسيرات متناقضة:

مثال آخر من التفسيرات المتضاربة المتهالكة لأنصار التطور الموجه

حول التفريق بين مصطلحي «إنسان» و«بشر» وهو تفسير الدكتور عبد الصبور شاهين رحمه الله. ولكن هذه المرة تتناقض التفاسير حيث خلص الدكتور عبد الصبور في كتابه «أبي آدم»[1] أن «البشر» هم الأجناس البدائية وأن «الإنسان» تطور منهم. وفي الحقيقة كلا التفسيرين خاطئ.

ففي تصور د. عبد الصبور: البشر هم الكائنات البدائية التي عاشت قبل الإنسان بملايين السنين، بينما الإنسان هو الإنسان العاقل الذي كرمه الله بالعقل وكلفه بالشرائع.

ولكن، على العكس من هذا التصور كما هو الحال في تصور الدكتور عمرو الأول، استخدمت لفظة «البشر» في القرآن للدلالة على الإنسان العاقل الذي أرسل الله إليه الرسل وأنزل عليه الكتب وأمره بالعبادة. على سبيل المثال:

○ عندما بشرت الملائكة مريم عليها السلام بعيسى تساءلت قائلة: كيف يكون لي ولد ولم يمسسني «أحد». وللإشارة إلى هذا المعنى ذكرت لفظة «بشر» وليس لفظة «الإنسان» العاقل كما قد يفهم من كلام د. عبد الصبور. قال الله عز وجل: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران: ٤٧].

○ والآية الواضحة التي تشير بأن البشر هم نفسهم الناس الحاليين هي الآية التي وصف الله عز وجل فيها أنبياءه المصطفون لتبليغ رسالته بأنهم «بشر». قال الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩].

○ وللتأكيد على هذا المعنى قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى

---

(١) عبد الصبور شاهين (١٩٩٨)، أبي آدم، قصة الخلق بين الأسطورة والحقيقة، الطبعة الثانية، مصر: دار أخبار اليوم.

لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنعام: ٩١].

○ حتى عندما رأت النسوة سيدنا يوسف عليه السلام لم يقلن إن هذا إنسان؛ بل قلن ما هذا «بشر». وذكر الله عز وجل ونقل عنهم مقولتهم، ومن أصدق من الله قيلًا وحديثًا؟! فيقول سبحانه: ﴿وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف: ٣١].

○ وأمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين «إنما أنا بشر مثلكم» باستخدام لفظة «بشر» وليس «إنسان». قال الله عز وجل: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ [الكهف: ١١٠].

○ وقد وصف الله اليهود والنصارى بأنهم «بشر»، فقال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [المائدة: ١٨].

○ وهناك أيضًا إشارة واضحة إلى أن الجنس البشري الحالي هم المعنيين بكلمة «البشر» في القرآن وليس أجناسًا بدائية سابقة، وذلك في وصف المشركين لمن يعلم النبي صلى الله عليه وسلم بأنه «بشر» يقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣].

○ كما خاطب الله الناس كلهم بالإشارة إليهم بكلمة «بشر» وذكرنا بأصل أبينا آدم [خلقه من التراب]. فقال سبحانه: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الروم: ٢٠] وفي هذه الآية أيضًا ما يرد دعاوى د. عمرو شريف في استخداماته لأحرف العطف والمدد الزمنية المتعلقة بها، فهنا يقول الله أنه خلقنا من تراب ثم استعمل (إذا) الفجائية، فبمجرد خلق الله لآدم عليه السلام، أبو البشر، انتشرت ذريته في الأرض بتقدير الله العليم الحكيم.

وهناك العديد من الآيات الأخرى التي تتناول الجنس البشري، بعضها استخدمت فيه لفظة «بشر» وبعضها استخدمت فيه لفظة «إنسان» حسب ما يقتضيه السياق ويتطلبه المقام.

٧,٣,٤ العداء الشديد لمفهوم الخلق المباشر:

وبعد هذه المنهجية المتضاربة والآراء المتداخلة المتشابكة المتقاطعة المتناقضة لأنصار التطور الموجه حول الآيات المتعلقة بالخلق، والتي لا تتعارض وتتناقض مع بعضها البعض ولكنها. أيضًا تتعارض مع التفسيرات الصحيحة الموثوقة الصادرة عن أهل العلم بالقرآن وتفسيره، وتختلف عما وصف به محمد ﷺ آدم عليه السلام، ومن الطبيعي أن لا تعتد بما وراء صريح الكتاب والسُّنَّة من آراء العلماء الراسخين العالمين بطرائق التفسير ومناهجه. بل ضربوا بذلك عرض الحائض وتسنموا سرابًا من نسيج خيالهم حول «حقيقة» التطور ومعارضة التفسير القرآني الصحيح لهذه الحقيقة المزعومة. بل الأدهى من ذلك أنهم وسموا تفاسير العلماء السابقين بأنها «سخيفة» في حين لا يوجد أسخف من تفاسيرهم.

٧,٤ ملخص الفصل:

نوقشت في هذا الفصل نقاط اتفاق وافتراق أنصار التطور الموجه في الغرب والشرق كما نوقشت تفاسيرهم للنصوص الدينية المتعلقة بالخلق وبآدم مناقشة نقدية. وبعد هذه الرحلة الطويلة بين الأدبيات المختلفة والانتقادات المتداخلة نصل إلى خاتمة هذه الرسالة في شكل نقاط مركزة تم بسطها في الرسالة والحمد لله.

الفصل الثامن

الخاتمة والتوصيات

٨,١ الخاتمة:

في ضوء هذه الرؤى العلمية الدينية الطويلة حول آدم، وبعد تحليل كل رأي وتمحيصه، يمكن للقارئ أن يدرك بشكل واضح أن التطوريين وأنصار التطور الموجه ضلوا طريقهم إلى آدم عليه السلام، فجعلوها مسألة علمية بحتة في حين أنها لا تقترب من العلم إلا في نذر يسير من جوانبها؛ لأنها معجزة من الله الذي إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون كما نصت على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وإجماع أهل العلم بالقرآن وتفسيره. وإذا كان خلق آدم خلقًا مباشرًا معجزًا لا يسير حسب قوانين الطبيعة بحذافيرها فلا مناص من استمداد حقيقته من الوحي والنور الذي أوحاه الله إلى عباده ليكمل الجزء المظلم من منظومتهم المعرفية الذي لا تصل إليه عقولهم ولا تبلغه المنهجية العلمية التجريبية المادية. فخطأ الأولون [من التطوريين الماديين] ينحصر في هذا ـ بالنسبة لهذه المسألة ـ بينما يزيد عليهم أتباع التطور الموجه بمحاولة السطو على آيات كتبهم المقدسة بدون بينة ولا برهان من علم أو لغة أو قرآن للتوافق مع هذه النظرة التطورية الكاذبة الخاطئة في أساسها وعمادها وفروعها وثمارها. ومن جانب آخر، فأهل الكتاب الذين يؤمنون بالخرافات الموجودة في العهد القديم وكذلك بعض علماء المسلمين الذين انساقوا وراء إسرائيليات بعضها مكذوب وبعضها لا نستطيع تكذيبه ولا تصحيحه أيضًا ضلوا طريقهم إلى آدم عليه السلام. والطريق الصحيح الواضح الذي لا تناقض ذاتي فيه ولا تعارض

مع حقائق أخرى خارجه هو طريق القرآن بالمنهجية الصحيحة الثابتة في تفسيره والسُّنَّة النبوية الشريفة بالمنهجية الصحيحة في قبولها وردها وفي فهم معاني مفرداتها ومتونها. ومن المناسب أن نختم بختام الشيخ الجسر واسع الأفق رحب الصدر [كما أثنى عليه د. عمرو نفسه] حين قال: «إن الثوابت القرآنية التي عليها مدار «العقيدة» في خلق الإنسان تتلخص في أن الله ﷻ:

١ ـ قد خلقه من تراب ومن طين ومن حمأ مسنون ومن صلصال كالفخار وورد أنه خلقه من ماء.

٢ ـ خلق الإنسان بيديه.

٣ ـ خلق الإنسان من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساءً.

وإذا كان ظاهر النصوص يفيد بأن الله ﷻ خلق الإنسان نوعًا مستقلًا، فليس في النصوص ما يفيد صراحة إن كان خلق آدم تم دفعة واحدة أو بتكوين متمهل. أما إذا قام الدليل القاطع على مذهب التطور، فيمكن تأويل هذه النصوص والتوفيق بينها وبين ما قام عليه الدليل. ولا ينافي ذلك عقيدة المسلمين في شيء، ما دام الأصل عندهم أن الله تعالى هو خالق الإنسان في كل حال». وبدورنا نقول بعد فهم أكثر تفصيلًا لأدلة التطور ومآلاته أنه لم يقم ولن يقوم أي دليل قاطع على مذهب التطور لاستحالة إقامة دليل قاطع تجريبي ملحوظ مجرب عليه.

٨,٢ التوصيات:

هناك عدد من التوصيات التي تبلورت خلال رحلة البحث، لعل من أهمها:

ـ هناك أخطاء منهجية بالجملة، شرعية وعلمية، في تأييد التفسيرات التطورية لآيات الخلق في القرآن.

ـ الخلط بين نطاقي العلم والوحي في بحث قضية آدم عليه السلام أدى إلى وضع معايير خاطئة للتعامل معها. من الضروري وضع مسألة وجود آدم عليه السلام

موضعها الصحيح في نطاقها الصحيح من الوحي الصحيح، حيث كانت حدثًا إعجازيًّا خارقًا للنواميس الطبيعية، شاء من شاء وأبى من أبى.

- ينبغي أن يكون الباحثون على وعي بنوعية ومستوى الخلاف مع المعارضين عند تناول هذه المسائل، وخاصة أن هناك عددًا كبيرًا من التصورات المختلفة لأتباع الرأي الواحد.

- ينبغي ان يتم تفسير القرآن بالمنهجية المعتبرة المبثوثة في كتب أصول التفسير وعلوم القرآن، وليس برأي غير المتخصصين أفرادًا أو جماعات.

- القضايا المتعلقة بالغيب والتي لا يمكن الوصول إليه من خلال المنهجية التجريبية أو العقل المجرد ينبغي الرجوع فيها إلى الكتاب والسُّنَّة، وحي الله المعصوم، ليس غير.

- لا ينبغي على الباحثين أن يعتقدوا بوجود تعارض بين القرآن والنظريات العلمية (أو الحقائق إذا زعموها حقائق) ثم يحاولون تفسير القرآن بما يوافق هذه النظريات.

- يجب أن يتوقف الباحثون المسلمون من أنصار التطور الموجه على استخدام القرآن لتأييد رؤاهم أو للخروج من التعارض بين ظاهره وبين نظرية التطور.

- ليس علينا أن نعتبر الباحثين المسلمين من المؤيدين للتطور الموجه على أنهم زنادقة أو فرقة مبتدعة، فضلًا عن أن يكونوا كفارًا، بمجرد اعتقادهم بالتطور الموجه ومحاولتهم - الخاطئة - لتفسير آيات الخلق في القرآن تفسيرًا تطوريًّا.

- ما زال، وسيظل، المنظور التطوري عاجزًا عن تقديم أي «حقائق» حول قضية آدم عليه السلام.

٨,٣ تقييدات البحث ونقاط الانطلاق لمزيد من الأبحاث:

لم تأخذ مناقشة القضايا التالية حظها الواجب في ثنايا البحث بسبب التقييدات المختلفة لعدد صفحاته وطوله ومنهجيته ويمكن لأهميتها إفرادها بأبحاث مستقلة:

- فلسفة العلم والعلاقة بينه وبين الدين.
- التفسيرات التفصيلية لما ورد في قصة الخلق في العهد القديم. الصحيح والباطل في ردود أهل الكتاب من المؤمنين بالخلق الخاص على التطوريين.
- القصة التفصيلية لآدم عليه السلام في الأدبيات الإسلامية المعتمدة وكيفية الفصل بين الإسرائيليات غير الثابتة والنصوص الصحيحة القطعية والظنية فيها.
- دراسة شاملة متكاملة لنقد النموذج التطوري من الناحية العلمية والمنطقية والاجتماعية.

٨,٤ ملخص الرسالة:

ينطلق أنصار التطور الموجه في بناء تصورهم الخاص حول آدم عليه السلام من ركيزتين أساسيتين، الأولى أنها قضية علمية بحتة والثانية أن التطور حقيقة مطلقة. وكِلا الركيزتين وهم كبير فضلًا عن أن يكونوا مدعمين بأدلة فضلًا عن أن يكونوا حقائق قطعية. وبالتالي؛ شحذوا هممهم للتوفيق بين التعارض الظاهر بين حقيقة التطور التي زعموها والوحي، ونصبوا مجانيقهم للتشكيك في التفسيرات التراثية للوحي وتقديم تفسيرات تطورية بديلة، سواء للبايبل أو القرآن. بينما تشير التفسيرات الصحيحة للوحي الثابت في القرآن والسُّنَّة والتي استخلصها علماء التفسير بمنهجية واضحة أن آدم عليه السلام خلقه الله خلقًا معجزًا وأنه أول جنسه وبالتالي لا مجال للمنهجية العلمية التجريبية في تقرير ما يتعلق به إذ لا يقع وجوده تحت نطاقها من الأساس. وكافة التفسيرات الشاذة التي خرجت علينا متأثرة بنظرية التطور مليئة بالخلط المنهجي والمعرفي ومفتقرة إلى الرسوخ الشرعي واللغوي. وتظل مسألة آدم خارج نطاق العلم ما لم تكن هناك حقائق علمية مثل دوران الأرض حول الشمس تتعلق به أو بأصل الإنسان، وحتى الآن ـ على الأقل ـ لا توجد إلا تكهنات وتخمينات ليس عليها دليل مادي واحد يمكن التحقق منه واختباره. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربّ العالمين.

قائمة المراجع

المراجع العربية:

١ ـ الأزهري (١٩٦٤). تهذيب اللغة. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢ ـ آلان جوجر وكيسي ليسكسن. (٢٠١٤). العلم وأصل الإنسان مصر: دار الكاتب للتوزيع والنشر.

٣ ـ ابن تيمية (١٩٩٥). مجموع الفتاوى. المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٤ ـ ابن حجر. فتح الباري شرح صحيح البخاري. المملكة العربية السعودية: مكتبة الرياض الحديثة.

٥ ـ أحمد بن فارس. مقاييس اللغة. دار الفكر.

٦ ـ أليستر راي. فيزياء الكوانتم: حقيقة أم خيال؟ مصر: دار الكاتب للتوزيع والنشر.

٧ ـ الفيروزآبادي. القاموس المحيط. بيروت: مؤسسة الرسالة.

٨ ـ حسن محمد أيوب (١٩٨٣). تبسيط العقائد الإسلامية (الطبعة الخامسة). بيروت: دار الندوة الجديدة.

٩ ـ خالد الشايع (٢٠١٦) معبد داروين: صفحات من التاريخ المنسي لأفكار داروين (الطبعة الأولى). المملكة العربية السعودية: مركز دلائل.

١٠ ـ د. زغلول النجار (٢٠٠٨). خلق الإنسان في القرآن الكريم (الطبعة الثانية) لبنان: دار المعرفة للنشر والتوزيع.

١١ ـ د. ن. ستاموس (٢٠١٤). التطور والأسئلة الكبرى: الجنس والعرق والدين وأمور أخرى القاهرة، مصر: المركز القومي للترجمة.

١٢ ـ دوجلاس فوتوياما (٢٠١٢). العلم عند الحافة: قضية التطور. القاهرة، مصر: المركز القومي للترجمة.
١٣ ـ ديفيد بيرلنسكي (٢٠١٦). وهم الشيطان. الرياض، السعودية: مركز دلائل.
١٤ ـ روزنبرج (٢٠١١). فلسفة العلم: مقدمة معاصرة. القاهرة، مصر: المركز القومي للترجمة.
١٥ ـ ستيفين س. ماير (٢٠١٦). شك داروين: مصر: دار الكاتب للتوزيع والنشر.
١٦ ـ سنن أبي داود.
١٧ ـ سنن الترمذي.
١٨ ـ صحيح البخاري.
١٩ ـ صحيح مسلم.
٢٠ ـ عادل زاير (١٩٩٧). معجم ألفاظ العلم والمعرفة في اللغة العربية. لبنان: مكتبة لبنان ناشرون.
٢١ ـ عبد الصبور شاهين (١٩٩٨). أبي آدم. قصة الخلق بين الأسطورة والحقيقة (الطبعة الثانية) مصر: دار أخبار اليوم.
٢٢ ـ عبد الله الشهري (٢٠١٥) ثلاث رسائل في الإلحاد والعقل والإيمان. مصر: دار الكاتب للتوزيع والنشر.
٢٣ ـ عبد الله القرني (٢٠١٣). المعرفة في الإسلام. مصادرها ومجالاتها (الطبعة الثالثة). المملكة العربية السعودية: مركز التأصيل للدراسات والبحوث.
٢٤ ـ عبد الله صالح العجيري (٢٠١٦) شموع النهار: إطلالة على الجدل الإيماني الإلحادي المعاصر حول وجود الله. لندن، المملكة المتحدة: مركز تكوين للدراسات والأبحاث.
٢٥ ـ علي عزت بيجوفيتش (١٩٩٤). الإسلام بين الشرق والغرب. ميونخ، ألمانيا: مؤسسة بافاريا للنشر والتوزيع.
٢٦ ـ عمرو شريف (٢٠١٣). كيف بدأ الخلق. القاهرة، مصر: مكتبة الشروق الدولية.
٢٧ ـ عمرو شريف (٢٠١٤). خرافة الإلحاد. مصر: مكتبة الشروق الدولية.
٢٨ ـ لودان (٢٠١٥). العلم والنسبوية: مناقشات في فلسفة العلم القاهرة، مصر: المركز القومي للترجمة.

٢٩ ـ م ريس (٢٠١٦). فقط ستة أرقام: القوى العظمى التي تشكل الكون. مصر: دار الكاتب للتوزيع والنشر.
٣٠ ـ مايكل بيهي (٢٠١٤). صندوق داروين الأسود. مصر: دار الكاتب للتوزيع والنشر.
٣١ ـ محمد أحمد السيد (٢٠١٥). التمييز بين العلم واللاعلم. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٣٢ ـ محمد بن منظور. لسان العرب (الطبعة الثالثة). بيروت: دار صادر.
٣٣ ـ محمد سيد المسير (١٩٨٧). الرسول والوحي (الطبعة الأولى). بيروت: دار ابن كثير.
٣٤ ـ مسند أحمد.
٣٥ ـ موريس بوكاي (٢٠١٠). الإنجيل والقرآن والعلم. القاهرة، مصر: دار الحرم.
٣٦ ـ نخبة من العلماء أصول الإيمان في ضوء القرآن والسُّنَّة. المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
٣٧ ـ هشام عزمي (٢٠١٦). التطور الموجه بين العلم والدين (الطبعة الثانية) المملكة المتحدة: مركز براهين.
٣٨ ـ هنري برجسون (٢٠١٥). التطور الخالق. القاهرة، مصر: المركز القومي للترجمة.
٣٩ ـ ويليام ديمبسكي وجوناثان ويلز (٢٠١٤). تصميم الحياة. مصر: دار الكاتب للتوزيع والنشر.

المراجع الأجنبية:

40 - n, S. (1990). *On Religion, The Bible, and Morality* Buffalo, New York: Prometheus Books.
41 - Anderson, M. (2012). *A closer look at genes and genetic engineering* (First ed.). New York, USA: Britannica Educational Publishing in association with Rosen Educational Services, LLC.
42 - Andrewes, F. W. (1906). *The Evolution of the Streptococci* (Vol. 2). The Lancet.
43 - Antoine ètienne Reynaud Augustin Serres. Annales des Sciences Naturelles (1834), 2 (ii), 248. Trans. in E. S. Russell, Form and Function (1916), 82.
44 - Baxter, B. B. (1971). *I Believe Because*. Baker Book House.

45 - Behe, M. (2008). *The Edge of Evolution*. Free Press. 2008

46 - Berry, R. J. (1985). *Creation and Evolution*. Leicester, UK; Inter-Varsity Press.

47 - Blackmore, V.,& Page, A. (1989). *Evolution: The Great Debate*. Oxford, UK: Lion Publishing.

48 - Bot, A. J. (january 2009). Reconstructing the ancestral angiosperm flower and its initial specializations. *The American Journal of Botany, 96*(1), 22-66. doi:10.3732/ajb.0t800047 Am. J. Bot. January 2009 vol. 96 no. 1 22-66.

49 - Briggs, D.,Erwin, D., & Collier, F. (1994). *The Fossils of the Burgess Shale*. Smithsonian Institution.

50 - Brumfiel, G. (2005). Who has Designs on Your Students' Minds? *Nature*, (434), 1062-1065.

51 - cambrian explosion. (n.d.). *The American Heritage Ø* Science Dictionary. Retrieved June 8, 2017 from Dictionary.com website http://www.dictionary.com/browse/cambrian-explosion

52 - Cline, A. (2016, February 11). Defining Science-How is science defined? Retrieved April 22, 2017, from thoughtco.com

53 - Collins, F. (2006). *The Language of God*. Free Press.

54 - Cooper, K. L., & Tabin, C. J. (2008). Understanding of bat wing evolution takes flight. *Genes & Development*, *22*(2), 121-24.

55 - Darwin, C. (1882). *The Descendant of Man and Selection in relation to sex*. New York: Scotland Edition.

56 - Darwin, C. (1882). *The Descendant of Man and Selection in relation to sex*. New York: Scotland Edition.

57 - Darwin, C. (1899). *In The Origin of Species by Means of Natural Selection with additions and corrections from sixth and last English edition*.

58 - Darwin, C. (1971). *In The Origin of Species by Means of Natural Selection with additions and corrections from sixth and last English edition*. London: J. M. Dent & Sons Ltd. Page 167. (page 18 of The Revised Quote Book).

59 - Darwin, C. (2006). *On the Origin of Species*. Mineola, New York: Dover Publications,Inc.

60 - Darwin, C. (2013). *On the Origin of Species by Means of Natural Selection*. USA: Dover Publications,Inc.

61 - Darwin, E. (1794). *Zoonomia. Or The Laws Of Organic Life*. UK.

62 - Darwin, E. (1803). *The Temple of Nature.*

63 - Darwin, F. (1888). *The Life and Letters of Charles Darwin: Charles Darwin. Letter to J. D. Hooker (24 Dec 1856).*

64 - Davis, P. H.; Heywood, V. H. (1973). *Principles of Angiosperm Taxonomy.* Huntington, New York: Robert E. Krieger Publishing Company.

65 - Dawkins, R. (1976, 2006). *The Selfish Gene.*

66 - Dawkins, R. (1987). *The Blind WatchmakerK Why the evidence of evolution reveals a universe without design.* New York: W.W. Norton & Company.

67 - Dawkins, R. (1987). *The Blind Watchmaker: Why the evidence of evolution reveals a universe without design.* New York: W.W. Norton & Company.

68 - Dawkins. (2006). *The God Delusion.* Bantam Press.

69 - Dawkins. Royal Institution Christmas Lecture, 'The Ultraviolet Garden', (No. 4, 1991). Quoted in Ramachandra, V. (2008). *Ubverting Global Myths: Theology and the Public Issues Shaping our World .*

70 - De Bodt, S; Maere, S., & De Peer, Y. V. (2005). Genome duplication and the origin of angiosperms. *Trends in Ecology and Evolution,* (20), 591-597. Retrieved May 11, 2017, from http://www.cell.com/trends/ecology-evolution/fulltext/S0169-5347(05)00249-1

71 - De Queiroz, K. (2005, May 3). Ernst Mayr and the modern concept of species. *PNAS: Proceedings of the National Academy of Sciences of the United States of America, 102.*

72 - Dembski, W. A. (1996). *What Every Theologian Should Know about Creation, Evolution and Design.* The Prnceton Theological Review.

73 - Ditfurth, H. V. (1984). *We are not just from this world.* München.

74 - dna. (n.d.). *Online Etymology Dictionary.* Retrieved June 3, 2017 from Dictionary.com website http://www.dictionary.com/browse/dna

75 - dna. (n.d.). *The American Heritage Ø* New Dictionary of Cultural Literacy, Third Edition. Retrieved June 1, 2017 from Dictionary.com website http://www.dictionary.com/browse/dna

76 - Ebifegha, M. (2009). *The Darwinian Delusion: The Scientific Myth Of Evolutionism.* AuthorHouse å.

77 - Eldredge, N. and Tattersall, I. (1982) *The Myths of Human Evolution.* Columbia University Press.

78 - Eldredge, N., (1989) *Macro-Evolutionary Dynamics: Species, Niches, and Adaptive Peaks*. New York: McGraw-Hill Publishing Company.

79 - Erasmus Darwin (1731-1802). n.d. Retrieved May 11, 2017, from http://www.ucmp.berkeley.edu/history/Edarwin.html

80 - Ernst Heinrich Philipp August Haeckel (1897) The Evolution of Man.

81 - Erwin, D., & Valentine, J. (2013). *The Cambrian Explosion*. Roberts & Co.

82 - Flew, A. (2007). *There is A GOD*. USA: Harper Collins Publisher.

83 - Fodor, J., & Piattelli-Palmarini, M. (2010). *WHAT DARWIN GOT WRONG* (First American ed.). New York, USA: Farrar, Straus and Giroux.

84 - Freeman, R. B. (2007). *Charles Darwin: A companion* (d online edition ed.), Compiled by Sue Asscher and edited by John van Wyhe.

85 - Futuyma, D. J. (2005). *Evolution*. Sunderland, MA: Sinauer Associates.

86 - GAuGer, A., Axe, D., & LuSkin, C. (2012). *Science and the origin of man*. USA: Seattle, Discovery institute Press.

87 - Giberson, K. W. (2008). *Saving Darwin: How to Be a Christian and Believe in Evolution*. San Francisco: HarperOne.

88 - Gilbert, S., Opitz, J., & Raff, R. (1996). Resynthesizing Evolutionary and Developmental Biology. *Developmental Biology*, (ñ),∘Ñ. Retrieved May 5, 2017.

89 - Goldschmidt, R. (1940). *The Material Basis of Evolution*. New Haven: Yale University Press.

90 - Gould, S. J. (1980). *The Panda's Thumb: More Reflections in Natural History*. Norton Paperback

91 - Group of Scientists. (2004). *Teaching about Evolution and the Nature of Science*. National Academy Press.

92 - Guessoum, N. (2011). *Islam's Quantum Question: reconciling Muslim tradition and modern science*. London: I.B. Tauris and Co Ltd. P 304

93 - Haeckel, E. (1880). *The History of Creation*.

94 - Hales, S. (2009). *Relativism and the Foundations of Philosophy*.

95 - Hall, B., & Hallgrimsson, B. (2008). *Strickberger's Evolution* (Fourth Edition ed.). Jones and Bartlett, LLC.

96 - Haught, J. F. (n.d.). *God and the New Atheism: A Critical Response to Dawkins, Harris, and Hitchens*. WJK Books.

97 - Haught, J. F. (n.d.). *Science and Religion: From Conflict to Conversation.*

98 - Hearne, W., & Hendry, R. (1959). "*The Origin of Life,)) Evolution and Christian Thought Today*". Eerdmans.

99 - https://www.scientificamerican.com/article/darwins-influence-on-modern-thought/

100 - Hugh, G., & Gauch, J. (2012). *Scientific method in brief.* UK: Cambridge University Press.

101 - Huxley, A. (1966), "Confessions of a Professed Atheist," Report¤ Perspective on the News.

102 - Huxley, J. (1966). *Essays of a Humanist*. New York: Penguin.

103 - Jones, J. S. (1993). *The Language of the Genes: Biology, History and the Evolutionary Future.*

104 - Kemp, T. S. (2005). *The Origin and Evolution of Mammals* (First Paperback ed.). Oxford University Press.

105 - Krauss, L. M. (2012,April 1). A Universe Without Purpose. Los Angeles Times. Retrieved May 6, 2017.

106 - Leakey, R. E., & Lewin, R. A. (1977). *Origins: What New Discoveries Reveal about the Emergence of our Species and its Possible Future.*

107 - linnean classification. (n.d.). *The American Heritage Ø* New Dictionary of Cultural Literacy, Third Edition. Retrieved June 7, 2017 from Dictionary.-com website http://www.dictionary.com/browse/linnean-classification

108 - Lonnig, W. (2011). *The evolution of the long-necked giraffe: What do we really know? Testing the theories of gradualism, macromutation, and intelligent design.* Munster: Verlagshaus Monsenstein und Vannerdat.

109 - macroevolution. (n.d.). *The American Heritage Ø* Science Dictionary. Retrieved June 8, 2017 from Dictionary.com website http://www.dictionary.-com/browse/macroevolution

110 - Marsak, L. M. (1961). *"Existentialism and Humanism," French Philosophers from Descartes to Sartre, ed.* New York: Meridian.

111 - Marshall, P. (2015). *Evolution 2.0.* Dallas, Texas: BENBELLA BOOKS.

112 - Mayden, R. L. (1997). M. F. Claridge, H. A. Dawah, M. R. Wilson, ed. *A hierarchy of species concepts: the denouement of the species problem. The Units of Biodiversity-Species in Practice Special Volume 54.* Systematics Association.

113 - Mayer, E. (1991). *One Long Argument: Charles Darwin and the Genesis of Modern Evolutionary Thought.*

114 - Mayr, E. (1942) *Systematics and the Origin of Species* (Columbia Univ. Press, New York).

115 - Mayr, E. (2002). *What evolution is?* UK: PHOENIX paperback.

116 - Mayr, E. (2009,November 24). Darwin's Influence on Modern Thought. *Scientific American.*

117 - Meyer, S. C. (2009). *Signature in the Cell: DNA and the Evidence for Intelligent Design.* USA: Harper One trade mark of Harper Collins.

118 - Meyer, S. C. (n.d.). *A Scientific History -and Philosophical Defense- of the Theory of Intelligent Design.* Discovery Institute. doi:http://www.discovery.org/scripts/viewDB/filesDB-download.php?command=download&id=3241

119 - microevolution. (n.d.). *The American Heritage Ø* Science Dictionary. Retrieved June 8, 2017 from Dictionary.com website http://www.dictionary.-com/browse/microevolution

120 - Miller, K. R. (199). *Finding Darwin's God.* New York: Harper Perennial.

121 - Milton, R. (1997). *SHATTERING the MYTHS of DARWINISM.* Rochester, Vermont: Park Street Press.

122 - Morris, H. M. (1989). *The long War Against God: The History and Impact of the Creation/Evolution Conflict.* Grand Rapids: Baker Book House.

123 - Muskhelishvili, G.،December 2013). Integration of syntactic and semantic properties of the DNA code reveals chromosomes as thermodynamic machines converting energy into information. *Cellular and Molecular Life Sciences, 70*(23), 4555Ù4567.

124 - Nagel, T. (1997). *The Last Word.* New York: Oxford University Press.

125 - New International Version. (1984). *The Holy Bible.* USA. International Bible Society.

126 - Nietzsche, F., & Translated by Hollingdale, R. J. (1990). *Twilight of the Idols and the Anti-Christ.*

127 - Niklaus, R. (1998, July 20). Denis Diderot. Retrieved May 11, 2017, from https://www.britannica.com/biography/Denis-Diderot

128 - Numbers, R. (2006). *The CreationistsK From Scientific Creationism to Intelligent Design* (Expanded Edition ed.). Harvard University Press.

129 - Persaud, C. H. (2007). *Evolution: Beyond The Realm Of Real Science.* Xulon Press.

130 - R. C. Lewontin, cited by¤ Berry, R. J. (1985). *Creation and Evolution.* Leicester, UK: Inter-Varsity Press.

131 - Raineri, D. (2001). *Introduction to Molecular Biology.* USA: Blackwell Science, Inc.

132 - Rana, F. (Ed.).،n.d.). *The Cell's Design eBook PDF Free Download How Chemistry Reveals the Creator's Artistry.*

133 - Richards, J. W., & A. (2010). *God and Evolution.* Seattle: Discovery Institute Press.

134 - Richards, J. W., & A. (2010). *God and Evolution.* Seattle: Discovery Institute Press.

135 - Russell, B. (1986). *Mysticism and Logic, Including a Free Man's Worship.* Unwin Paperbacks.

136 - Sager, C. (2008). *Voices for Evolution* (Third edition ed.). Berkeley, CA: The National Center for Science Education, Inc.

137 - Saheeh International. (2013). *The Qur'an*]Translation into English by Saheeh International[. KSA: Dar Qiraat.

138 - Sanderson, M. J. (July 2015). Back to the past: a new take on the timing of flowering plant diversification. *New Phytologist 207*(2), 257Ù259.

139 - Schwartz, H. (2004). *Tree of Souls: The Methology of Judaism.* Oxford University Press.

140 - Science Council. (n.d.). Our definition of science. Retrieved May 2, 2017, from http://sciencecouncil.org/about-us/our-definition-of-science/

141 - Scott, E. C. (2009). *Evolution Vs. Creationism; An Introduction* (Second Edition ed.). UK: GREENWOOD Press.

142 - Sears, K. E.,Behringer, R. R., Rasweiler, J. J., & Niswander, L. A. (april 2006). Development of bat flight: morphologic and molecular evolution of bat wing digits. *The National Center for Biotechnology Information.*

143 - Simpson, G. G. (1944). *Tempo and Mode in Evolution.* New York: Columbia University Press.

144 - Sinden, R. R. (1994). *DNA Structure and Function.* USA: Academic Press, Inc.

145 - Species. (n.d.). *Online Etymology Dictionary*. Retrieved June 7, 2017 from Dictionary.com website http://www.dictionary.com/browse/species

146 - species. (n.d.). *The American Heritage Ø* New Dictionary of Cultural Literacy, Third Edition. Retrieved June 7, 2017 from Dictionary.com website http://www.dictionary.com/browse/species

147 - Species. (n.d.). *The American Heritage Ø* Science Dictionary. Retrieved June 7, 2017 from Dictionary.com website http://www.dictionary.com/browse/species

148 - Stanley, S. M., (1981). *The New Evolutionary Timetable: Fossils, Genes, and the Origin of Species*. New York: Basic Books, Inc., Publishers.

149 - The University of California Museum of Paleontology, Berkeley, and the Regents of the University of California. (n.d.). Early Concepts of Evolution: Jean Baptiste Lamarck. Retrieved May 11, 2017, from http://evolution.berkeley.edu/evolibrary/article/history_09

150 - Tzortzis, H. A. (2016). *The Divine Reality: God, Islam & The Mirage of Atheism*. San Clement, CA: FB Publishing.

151 - Understandingscience.org. (n.d.). Science has limits: A few things that science does not do. Retrieved May 2, 2017, from http://undsci.berkeley.edu/article/whatisscience_12

152 - Valentine, J. W., & Campbell, C. A. (november-december 1975). Regulation and the Fossil Record: Evolution of the regulatory genome may underlie the rapid development of major animal groups. *American Scientist 63*(6), 673Ù680. Retrieved May 12, 2017, from https://www.jstor.org/stable/27845784?seq=1#page_scan_tab_contents.

153 - Valentine, J.W.,Awramik, S.M., Signor, P.W.,and Sadler, P.M. (1991). *The Biological Explosion at the Precambrian-Cambrian Boundary*. Evolutionary Biology, Vol. 25, Max K. Hecht, editor, New York and London: Plenum Press.

154 - Venema, D. (2011,September 7). Ask an Evolutionary Creationist: A Q&A with Dennis Venema. Retrieved July 1, 2017, from http://biologos.org/blogs/dennis-venema-letters-to-the-duchess/ask-an-evolutionary-creationist-a-qa-with-dennis-venema

155 - Wells, J. (2002). *Icons of Evolution: Science Or Myth6* (First Paperback ed.). USA: Regnery Publishing.

156 - Wells, J. (2002). *Icons Of EvolutionK Science Or Myth6* Washington, DC: Regnery Publishing.

157 - Wesson, P. (1991). *Beyond Natural Selection.* Cambridge,MIT Press.

158 - Wesson, P. (1991). *Beyond Natural Selection.* MIT Press, Cambridge, MA.

159 - William Provine, "Evolution: Free will and punishment and meaning in life." Slide from Prof. William B. Provine's 1998 "Darwin's Day" address, "Darwin Day" website, University of Tennessee Knoxville TN, 1998

160 - Wilson, E. (1999). *ConsilienceK The unity of knowledge.* New York: Vintage.

161 - Witham, L. A. (2002). *Where Darwin Meets The Bible: Creationists and Evolutionists in America.* USA: Oxford University Press.

162 - Womack, Mari (2005). *Symbols and meaning: a concise introduction.* Walnut Creek... [et al.]: Altamira Press.

163 - Yaroslavsky, E. (1940). *Landmarks in the Life of Stalin.* Moscow: Foreign Languages Publishing house.

164 - Zelnio, K. (2012, April 20). Species Concepts. *Scientific American.* Retrieved June 8, 2017.